القديس

الضفدع الذهبى

تأليف : ليسلى تشارتريس
ترجمة : صادق راشد



الضفدع الذهبى

١٠ قروش
فى : ج.ع.م

سور الأزبكية

عمر زينب يوسف

القديس
الضفدع الذهبي

للكاتب الانجليزى : ليسلى تشارتريس

ترجمة : صادق راشد

لا مفر لنا من أن نؤكد منذ البداية أن البروفسور همفرى نستور لم يكن فى حياته أستاذا بأى من تلك الجامعات التى الف أن يردد اسمها — عن عمد — فى كل ما يجرى به لسانه من حديث ، ولعله ما عرف الجامعات ابدا الا اذا كان قد مر أمام أبوابها صدفة واتفاقا • ومع ذلك فيجب أن نعترف أن ما لديه من مؤهلات الخبرة والذكاء والبراعة كفيل بأن يؤهله لشـــغل مثل هـــذا المنصب ، والتربع بجدارة على كرسى الاستاذية ، وان كان هناك كثيرون يؤمنون بأن الكرسى الوحيد الدى يستحق أن يجلس عليه انما هو الكرسى الكهربائى . ومع ذلك فلابد ان نعترف أيضا بأن فى هذا القول الشىء الكثير من المبالغة والتهويل ، فان البروفسور نستور لم يكن بالرجل الذى يجنح الى العنف والدم المراق ، فلعل ما يستحقه فعلا هو كرسى فى ركن من زنزانة — ومدى الحياة •

فى تلك الايام التى تجرى فيها أحداث هذه القصة كان البروفسور نستور قد بلغ من العمر الخـــامسة والخمسين ، ومع ذلك كان مايزال مفتول القامة ، موفور النشاط ، وان كان الشيب قد غزا شعره ومفرقه . وهذا الشيب — عند الكثيرين — عنوان العبقرية والنبوغ ودليل على الاستغراق فى العلم والاطلاع وان كان عند من يعرفونه حق المعرفة دلالة على ما كابد من خوف

وفزع كلما اوشك ان يتردد فى أعماله فيدخل السجن . وكان له شارب كبير يقصه فى عناية واهتمام ، فيضفى عليه هيئة المهابة والجلال ، ويبعث فى نفس من يراه شعورا بالاحترام والتبجيل .

ولكن على الرغم من هذه المؤهلات « غير العلمية » والتى لا يمكن أن تجعل له حقا فى كرسى الاستاذية بالجامعة ـ الا انه لم يكن بالجاهل القليل الاطلاع ، فقد كان خبيرا بالتزوير ليس له نظير فى البلاد ، ولو انشئت جامعة للتزوير لكان أحق الناس ليس بكرسى الاستاذية فيها فحسب وانما بكرسى العمادة أيضا . وقد تلقى فنون التزوير وعلومه فى جامعة « أوكار المجرمين » وهو بعد حدث شاب ، ونبغ فى الدراسة حتى ارتد اليوم وهو من أكبر الخبراء .

وكان من عادته ان لا يشاهد الا وتحت ابطه مجموعة من المجلات العلمية حتى يوحى لمن يراه انه استاذ بالجامعة . وهى طريقة يتبعها الكثيرون من النصابين والمحتالين حتى يوهموا الناس أنهم ايضا اساتذة فى الجامعات .

وفى هذه اللحظة التى نروى فيها هذه الاحداث كان البروفسور نستور جالسا الى المنضدة يرشف القطرات الاخيرة من كأسه وقد فرغ من الشراب تماما كما نضب جيبه من المال ، ذلك أنه اوشك فى تلك الايام أن يبلغ مشارف الافلاس .

وقال متوجعا وقد غشيه الحزن والاسى :

ـ ليت شعرى ما الذى دهانا حتى اصبحنا على هذه الحال مفلسين وقد خلا منا الوفاض .

ـ هذا لانك اصبحت عجوزا أجدب عقلك وركدت حيويتك ٠

انطلقت هذه العبارة من بين شفتى حسناء شقراء تجلس الى جواره .

لم تكن تلك الشقراء اللعوب ابنة للبروفبسور همفرى نستور ، وانما كانت زوجته ٠ ولكن لما كانت لا تكاد تبلغ من العمر نصف عمره ، فقد كان من الانسب ان يزعم أنها ابنة له ، فانه ان قال انها زوجته فلا مفر من أن يلقى كثيرين ينظرون اليهما فى استغراب ٠٠ ويتساءلون ـ ولو فيما بينهم وبين أنفسهم ـ كيف يقترن هذا العجوز بمثل هذه الصبية التى تتفجر بالحيوية والشباب ٠

وثمة فائدة اخرى لهذا الادعاء ينبغى أن لا تغرب عن بالنا ، فانها ـ بوصفها زوجته ـ تستطيع أن تساهم فى المؤامرات التى يحيكها ، وان تتخذ من أنوثتها وسيلة الى ايقاع المغفلين فى الاشراك التى ينصبونها .

ومع ذلك فكثيرا ما تمنى لو أنها عاملته بالاحترام المفترض ان توليه الابنة نحو أبيها ، بدلا من الشتائم التى تنهال بها عليه فى كثير من الاحيان ، وبدلا من هذه الاهانات التى ترميه بها خاصة اذا نضب منها معين المال ٠

واستطردت الشقراء تقول فى سخط لا يخالطه شيء من الرحمة :

لقد أصبحت خاويا لا نفع فيك ٠٠ لا أنكر أن لديك أشياء رائعة تدل على الحذق والبراعة ، ولكننا لا نجد

اليوم من يشتريها ، فأولى بك أن تجدد فى أساليبك « وتخترع » شيئا جديدا يساير روح العصر ٠

فقال البروفسور معترضا : هذا لان « الاشياء » القديمة ما تزال محتفظة بقيمتها ، وما زال الاسلوب التقليدى هو الناجح الذى يقبل عليه الناس ٠٠ أتنكرين ان تلك الاشياء هى السبب فيما نعمنا به من ترف ورفاهية ٠٠ ؟ وأنها هى مصدر الثراء الذى عشنا فيه طويلا ، وانه لولاها لما تيسر لنا أن ننزل فى هذا الفندق الفاخر ؟

وكان على حق فيما يقول ٠

فمنذ خمسة أعوام بلغ البروفسور القمة فى عمله ، وجمع ثروة كبيرة واستطاع أن يجرد كثيرين من الحمقى والمغفلين من أموالهم ، وأن ينقلها الى جيبه فى يسر وسهولة ، وان وجد نفسه فى بعض الاحيان مجبرا على أن « يشرف » السجن بزيارات قصيرة ، غير أن هذه الزيارات لم تزعجه كثيرا ، لأنه أمضاها يشحذ ذهنه من اجل أحبولة جديدة ينصبها لاحبائه المغفلين عند خروجه من السجن .

وخرج من السجن ــ منذ خمس سنوات ــ ونصب الاحبولة الجديدة ، ولكن غلطة فيها كادت تؤدى به الى السجن مرة أخرى ، ولكنه أبدل شخصيته وعبر الحدود . فحين استحكمت الأزمة واوشك أن يقع فى أيدى الشرطة فى ميناء اورليانز عند منتصف الليل ، تأبط ذراع « ابنته » واستقل الباخرة هاربا تحت اسم مستعار ، وان هى الا ساعات حتى ألفى نفسه فى بناما ــ احدى بلاد آمريكا اللاتينية ــ منزويا عن شرطة الولايات المتحدة الامريكية التى تسعى فى أثره ، وكان

سعيدا بهذا المنفى الذى أختاره لنفسه بدلا من أن يمضى فى السجن سنوات لا يدرى مداها ٠

ومهما يكن ، فان بناما خير ألف مرة من تلك المجاهل الاخرى التى كان يمكن ان ترسو بها السفينة ، فأنه حين استقلها لم يكن يدرى وجهتها على وجه التأكيد ، اذ كان كل ما يعنيه فى هذه اللحظة هو أن يبتعد ، وأن يبتعد بأقصى سرعة ممكنة ٠

وحين استقر فى بناما حمد الحظ الذى رماه فى هذه المدينة على كثب من قناة بناما ، وما تعج به من سفن رائحة غادية ، لا تنقطع حركتها ليل نهار ، وعلى ظهرها الوف الالوف من السواح ورجال الاعمال تتدفق من أيديهم أوراق البنكنوت فليس اسهل اذ ذاك من أن تندس بينها الأوراق المزيفة ، ولما كانوا فى عجلة من أمرهم فانه لا وقت لديهم لكى يدققوا أو يفحصوا وهكذا راجت اعماله وأطمأن باله ٠

أما من حيث رجال الشرطة فقد كانوا هم أيضا فى شغل عنه بمراقبة حركة البواخر وتنظيمها ، فلا وقت لديهم للاهتمام بالجرائم وضبطها ، وهبهم فطنوا الى أمره فلا أهون لديه من الفرار ، فان القناة لا يفصلها عن مدينة بناما الا شارع واحد يكفى أن تجتازه فى ثوانى معدودات حتى تصبح « خارج الحدود » فتقصر عنك يد القانون ، دون أن تكون هناك مخافر للحدود تعترض الطريق ، أو تطالبك عند العبور باثبات شخصيتك ٠

وهكذا استطاع البروفسور نستور خلال هذه الاعوام أن يدخر ما يربو على العشرين الف دولار ٠ وما جاءته هذه الثروة لأنه وابنته — أو زوجته — اليس كانا يحرمان انفسهما من المتعة ، فقد دابا على أن يستمتعا وينفقا

مطمئنين الى أن المغفلين من الكثرة بحيث تتاح لهم دائما فرص جديدة للاثراء . ولكنهما اختطا لأنفسهما خطة حكيمة ، وذلك أن يدخرا النصف من كل ما يصل الى أيديهما ، على سبيل الحيطة لايام الشيخوخة .

وكانت اليس هى وحدها الحارسة على معاش الشيخوخة ، تحتفظ به لنفسها وتسيطر عليه وتابى على زوجها أن يمد اليه يدا ، وكانت لا تفتأ تقول له :

ـ اتحسب ان المال سيظل يتدفق علينا بهذا الشكل طيلة العمر ؟ سياتى يوم تدب الينا الشيخوخة ونعتزل العمل ، فلابد لنا أن ندخر ، حتى يتسنى لنا أن نعيش فى المستقبل على مدخرات المعاش فى يسر ورخاء .

وكان البروفسور من حين لآخر يسائل نفسه عما اذا كان هو نفسه داخلا ضمن هذا التخطيط الذى تضعه اليس للمستقبل ، اما انها ـ حين تحين الساعة ـ ستتخلى عنه ، وتهرب وحدها بهذه المدخرات فلا ينال منها شيئا . . ان هذا المال لم يجتمع لديهما الا بالتعاون المشترك بينهما ، ولكن يبدو انها غير مقتنعة الا بشىء واحد ! هو أن هذا المال مالها وحدها ، وانه ليس له أن تمد اليه يدا مهما كانت الاسباب .

وهكذا ـ خلال الحديث الذى كان يدور بينهما فى ذلك الصباح ـ أثير موضوع مدخرات المعاش من جديد ، وهما يتحدثان عن هذه الضائقة المالية التى ألمت بهما فى الشهور الاخيرة .

وقال البروفسور همفرى نستور :

ـ اذا لم نوفق عاجلا الى « خبطة » سريعة ، فلابد فى أن اقترض شيئا من مدخرات المعاش .

فقالت اليس فى خشونة ولكن فى نبرات هادئة :

ـ اذن عليك يا بابا أن تهتدى فورا الى هذه « الخبطة » فان مدخرات المعاش ليس بنكا للاقراض

فقال فى الحاح : ولكن هذه حالة مستعجلة فضلا عن اننا ادخرنا نصف الارباح الاجمالية دون ان تقطع منها شيئا • فجميع النفقات وجميع المظاهر التى لابد منها فى مهنتنا تحمل بها نصف الارباح التى انفقناها ، وليس هذا من الانصاف فى شىء • ولا تنسى أن مشروعاتنا لا يمكن أن تكلل بالنجاح الا اذا توافر لدينا رأس المال •

ـ اذن ينبغى ان تعجل بأحد مشروعاتك ومازالت لديك بقية من المال ، اما ان تمد يدا الى المدخرات فهذا ما لا يمكن أن اسمح به مهما كان السبب ، فانك ان اخذت شيئا من المدخرات مرة ، فلن تلبث أن تتوسل بذريعة أخرى لتأخذ قدرا جديدا وهكذا تتناقص المدخرات رويدا رويدا حتى نجد انفسنا اخيرا وقد تلاشت مدخراتنا دون أن نشعر ،فنعود الى الفقر المدقع الذى وجدتك تكابده يوم ان التقينا لأول مرة ، ونضطر الى أن نقضى بقية ايامنا فى ملجأ للعجزة •

فقال يذكرها بأيام اللقاء الاول :

ـ الحق أنك أثبت ان لك حظا كبيرا من الذكاء ، فلقد دربتك فاستوعبت دروسى بسهولة ، وما كنت اتوقع أن تبرعى الى هذا الحد وأنت التى كان أكبر مطمع لك فى تلك الايام أن تحتالى على الناس ليقدموا اليك كأسا مجانا •

فقالت فى لهجة رقيقة لطيفة :

ـ وهذا ما جذبنى اليك يا بابا ، فقد توسمت فيك الذكاء ، والبراعة ، وحدثت نفسى بأنك الرجل الذى يمكن

ان يغترف المال اغترافا ، ولكن لو اننى توقعت منك ان تبدد كل ما ربحنا لكان لى فيك رأى آخر ·

ـ لو توافر لى رأس المال لامكننى أن أنفذ مشروعا مربحا ·· ان رأسى عامرة بالخطط والمشروعات ، ولا ينقصنى الا رأس المال ·· أتذكرين هذا الاسترالى الثرى الذى لقيناه فى الاسبوع الماضى ..؟ ما وقعته فى الشرك تماما حتى أصبح ألعوبة بين يدى لقد كان النجاح وشيكا ، ولم يكن لدى ريب فى اننى سأظفر منه ببضعة ألوف ، لولا أن أصيبت ابنته بشلل الاطفال فاضطر أن يطير راجعا الى بلاده ، وأغلب الظن أننا لن نسمع عنه خبرا بعد الان ·

فقالت أليس فى وجوم :

ـ لقد « طار » من يدنا على اية حال قبل ان نظفر منه ولو بسنت واحد ، وضاع كل ما أنفقناه ·

وتنهد البروفيسور فى أسى ، فقد كانت الصفقة توشك أن تتم لولا هذا الظرف الطارىء · ومضى يدير عينيه فى أرجاء القاعة محاولا ان يصرف ذهنه عن التفكير فى هذا الفشل الذى حاق به ·



كان البروفيسور همفرى نستور وزوجته اليس جالسين فى قاعة الاستقبال فى فندق « بناما » وهو من أفخم فنادق المدينة وأفخرها وأعلاها سعرا · وقد قام الامريكيون بتشييد هذا الفندق من أجل الامريكيين خاصة ، فقد كانت كل غرفة من غرفه مزودة بآلة لتكييف

الهواء ، ومفروشة بالسجاد الفاخر والاثاث الانيق ، وكانت الصحاف والاوانى الزجاجية من أرقى الانواع • ولهذا كـان يتردد على الاثريـاء من السواح الذين لا يرهقهم الانفاق ، ولا يحفلون بالدولارات وهى تنساب من بين أصابعهم بغير حساب •• وقد اعتاد البروفيسور نستور أن يختلف الى هذا الفندق باستمرار ، وذلك لاسباب واضحة مفهومة ، ففى مثل هذه البيئة يمكن أن تثمر مشروعاته وتأتى بالربح الوفير •

والتفت البروفسور الى زوجته وقال :

ـ بى شوق الى أن أتناول كأسا أخرى ، فهل لك اعتراض على هذا ••؟

ـ اشرب ما شئت ما دمت قادرا على دفع الثمن •• ولكن لا تفرط فى الشراب ، فمن سوء السلوك ان تغادر الفندق وأنت تتطوح فى مشيتك مستندا الى ذراعى •

وكان من الممكن أن يستمر بينهما الحديث على هذا النحو ، يتبادلان الغمزات واللذعات ، لولا أن برز فى مدخل القاعة فى هذه اللحظة زائر جديد تنم هيئته على انه أصلح الناس لان يكون هدفا لمشروع جديد من تلك المشروعات الفذة التى يتمخض عنها ذكاء البروفيسور فى ساعات التجلى والصفاء • وكان الدخول المفاجىء لهذا الزائر فى تلك اللحظة المقبضة اشبه بقنبلة انفجرت فجأة فكان لها دوى استرعى انتباه نستور وزوجته •

كان يرتدى بنطلونا وقميصا وحذاء على غاية من الاناقة وارتفاع الثمن مما يدل على أنه على حظ كبير من الثراء ، فالبنطلون من طراز انجليزى ، والقميص أمريكى الذوق ، اما الحذاء فما من شك فى انه صنع فى ايطاليا • ليس هذا فقط بل كانت تتدلى من ذراعه آلة

تصوير «لايكا» من أحدث الانواع وأغلاها ثمنا ، ولم يكن هناك شك فى انه سائح جاء يزور البلاد ، على انه لم يكن مجرد سائح عادى ، وانما كان من طراز خاص، ذلك الطراز الذى يصبو اليه نستور ويتلمس فيه فريسة سهلة للشباك التى فتلها وأعدها ويتمنى أن يطرحها على صيد ثمين ٠

وليس معنى هذا أن السائح من ذلك الطراز الخاص الذى تبدو عليه أمارات الغفلة والغباء ٠٠ كلا ٠٠ وانما كان يبدو من طراز السواح المستهترين الذين يهوون المغامرة ، ولا يضنون بالمال لكى يقضوا أياما ممتعة حافلة بالمفاجآت ، فهذه المشية السهلة المتراخية تدل على عدم المبالاة ، وهذه النظرات الساخرة الباسمة توحى بأنه انما ينظر الى الحياة نظرة متفائلة لا تدعوه الى التدقيق والمشاكسة ، وهذه الكاميرا الباهظة الثمن عنوان الثراء الكبير ، وعلى أنه رجل تتفجر نفسه بحب المغامرة ، فلو ان نستور فوض بأن «يخلق» صيدا على الصورة التى يهواها ، لما خلق الا هذا القادم الجديد بالذات ٠

وقد أذهلته المفاجأة الى حد لبث معه برهة يحملق فى الرجل مشدوها ، وقد فغر فاهه دهشة وذهولا ٠ وكان كذلك شأن أليس بحكم فراستها وخبرتها بما مر بهم من قبل من صيد وقع فى الشباك ٠

وكان نستور هو الذى ملك روعه أولا واستعاد اتزانه ورباطة جأشه ٠٠ نعم ٠٠ ان هذا القادم ليس سرابا كذلك السراب الذى قرأ عنه فى الكتب ٠٠ يتراءى للضالين فى الصحراء ، فيحسبونه عين ماء جارية ، فيهرعون اليه خفافا وقد انهكهم الظمأ حتى اذا بلغوه لم يجدوه الا حفنة

من الرمال تبدت لهم على البعد مياها تتلهف اليهـــا الشفاه ·· نعم ·· انه حقيقة واقعة وليس سرابـــا خادعا ·

ولعق البروفيسور شفتيه ، وقال فى كلمات وئيدة متمهلة :

ـ أليس ·· أتريدين منى أن أجرب مع هذا الرجل وسيلتى القديمة التقليدية ، أم تحبين أن تتولى أنت أمره بأساليبك العصرية ·· ؟

فقالت فى لهجة لطيفة ودودة :

ـ انه لك أنت فافعل به ما شئت ، اذ انه يبدو فريسة سهلة للطريقة القديمة التقليدية ·

وتريث البروفيسور برهة حتى أتى على ما تبقى فى كأسه من شراب ، ثم زايل مقعده أخيرا ، ومشى الى البار ، وأقبل على الزائر الذى اتخذ جلسته على أحد المقاعد العالية ، وقال له فى تردد واستحياء :

ـ معذرة يا سيدى ·· لقد أدركت من هذه الكاميرا التى تحملها انك تجيد التصوير ، فهل ترانى متطفلاعليك لو اننى رجوتك أن تلتقط صورة لى ولابنتى بهذه الكاميرا المتواضعة التى لدينا ··

وأجابه « سيمون تمبلار » فى تلطف وود :

ـ بل يسعدنى أن أكون رهن اشارتك ·

فما كان هذا الرجل الا سيمون تمبلار · بلحمـــه ودمه ·· !

واذا كان البروفيسور قد ظن انه وقع على صيد ثمين يقتنصه فى شباكه ، فقد أخطأ فيما ذهب اليه خطأ فاحشا ، فهذا « الصيد » المرجو لم يكن فى الواقع الا شباكا طالما اقتنصت صيدا بعد صيد ·· واذا كان قد ظن

انه اصاب فريسة سهلة ، فقد غفل المسكين عن أنه هو الفريسة السهلة ·

وقال البروفسور شاكرا :

ـ ولكن لاداعى للعجلة ·· فان لدينا فسحة من الوقت ·· وسنكون فى انتظارك حينما تتهيأ لك الفرصة ·

فابتسم تمبلار وقال وعلى شفتيه ابتسامة راضية :

ـ ان الفرصة مهيأة منذ اللحظة ، فليس لدى ما يشغلنى ·

وأفرغ الرجل كأسه فى جوفه ، ثم نزل عن مقعده ، ومشى وراء صاحبه ·

وقال البروفيسور : أليس ·· لقد تفضل هذا السيد فقبل أن يلتقط لنا صورة معا : أنت وأنا ·

ونهضت أليس واقفة ، وأقبلت عليهما وهى تقول فى استحياء :

ـ شكرا له ·· ما أكرمه ·· !

وقال البروفيسور يقدم اليه نفسه :

ـ اننى أدعى البروفيسور همفرى نستور ، وهذه هى ابنتى أليس ·· فهل لى أن أتشرف بمعرفة اسم السيد الذى أغرقنى بفضله ·· ؟

اننى أدعى سبستيان تومز ·

وقد أجابه تمبلار بغير ترددا ، فقد كان هذا هو أحد الاسماء المستعارة التى ألف أن يتخذها فى بعض المناسبات التى تعرض له ·

٢

نظرت اليه أليس بعينيها الزرقاوين الجميلتين نظرة يخيل لمن يراها أنه لم يتطوع بالتقاط صورة ، وانما تطوع

بأن يأتيها بالقمر ملفوفا فى ورق السوليفان وقالت هامسة :

ـ الحق أنك فى غاية اللطف اذ رضيت بأن تلتقط صورة لنا .. انك تعرف ما يحدث دائما فى مثل هذه الحالات ٠٠ التقط صورة لبابا ، وهو يلتقط صورة لى ، ولكن لم يحدث أبدا أن التقطنا صورة واحدة تجمعنا ٠٠ والحق أن هذا شىء مزعج خليق بأن يضايق المرء ٠

فقال تمبلار مبديا عطفه ومشاركته :

ــ صدقت .. لقد كابدت مثل هذا الشعور من قبل .

وقال البروفيسور ينحى على نفسه باللائمة :

ـ كان ينبغى أن أزود كاميرتى بجهاز الالتقاط التلقائى ٠

وقالت الفتاة : نعم ٠٠ ينبغى يا بابا أن نشترى هذا الجهاز فعلا ، فانه كفيل بأن لا يجعلنا نضايق هذا السيد

فقال القديس أو سبستيان تومز اذا شئت :

ـ اياك أن تشترى هذا الجهاز ٠٠ انى أحذرك من شرائه ٠

فقال البروفيسور فى استغراب :

ـ حقا ٠٠ ؟ وما السبب ٠٠ ؟

ـ لو كان معك جهاز الالتقاط التلقائى لما أتيحت لى الفرصة للتعرف الى ابنتك اللطيفة ٠٠ واليك طبعا ٠

فقالت أليس : أوه ٠٠ ! ما أظرفك يا مستر تومز ٠

وخرجوا الى ساحة الفندق ، ووقف الاب وابنته فى ظل نخلة باسقة وارفة الظلال ، وارتسمت على الشفاه إبتسامة لطيفة ، والتقط القديس الصورة المنشودة ٠

وقالت أليس تخاطب أباها فى نبرة التوسل

ـ ينبغى أن تلتقط صورة مع الضفدع ٠٠

فقال أبوها مؤمنا وقد زوى ما بين حاجبيه :
ـ ولم لا ٠٠ الا اذا كنا قد استنفدنا من وقت مستر تومز أكثر مما ينبغى .

فقال القديس متلطفا : أبدا ٠٠ ان وقتى ملك لى ، وليس لدى ما يشغلنى الا أن أسعد الناس ٠٠ لاسيما النساء الجميلات ٠

وكانت هذه الاجابة طبيعية ومتوقعة ، فأى انسان ـ مهما كان لديه ما يشغله ـ لابد أن يستبد به الفضول وهو يستمع الى هذه الكلمات عن صورة تلتقط مع ضفدع ، اذ لابد ان يتساءل عن ماهية هذ االضفدع الذى يراد أن تخلده الصورة مع الاب وابنته ٠٠ واذا كان الفضول من طباع الانسان ، فهو عند تمبلار أشد طباعه استقرارا وتأصلا .

وفتحت أليس حقيبتها ، وأخرجت منها كيسا صغيرا من الجلد فضته وتناولت منه لفافة صغيرة من الورق ، واقبل عليها أبوها يساعدها على فض اللفافة فانكشفت عن ضفدع صغير فى حجم البرتقالة ٠

لم يكن ضفدعا حيا ، وانما كان تمثالا صغيرا أبدعه صانعه ، وصب فيه كل حذقه وبراعته ، حتى ليخيل اليك على البعد انه ضفدع حقيقى ، لولا انه كان أصـــفر اللون اذ يبدو انه مصنوع من الذهب .

وقال البروفيسور : ارجوك أن تقرب الينا الكاميرا قليلا حتى تبدو صورة الضفدع أكثر وضوحا ونحن نتأمله بنظراتنا ٠

واطاع تمبلار التعليمات الموجهة اليه بغير تردد ، وسدد عدسة الكاميرا بصفة خاصة على الضفدع الذى كان مستقرا فوق لفافته وقد أمسكها الاثنان معا ،

ونظراتهما مستقرة عليه كأنما تريد أن تلتهمه • ثم ضغط الزر والتقط الصورة •

وابتدرهما تمبلار بقوله : مهلا لحظة واحدة ، فانى أحب ان التقط لكم صورة اخرى على سبيل التذكار

والتقط الصورة الثانية . فأعاد الضفدع الى لفافته . واللفافة الى الكيس الجلدى ، والكيس الى الحقيبة •

وقال البروفيسور يشكره فى لهجة تدل على الاهتمام :

ــ لست ادرى كيف أشكرك ، فانى فى الحق مدين لك بفضل كبير •

وقالت اليس : لاشك اننا انتزعنا مستر تومز من الاستمتاع بكأسه ، فعلينا أن نعوضه عما فعلنا به وندعوه الى مائدتنا ليتناول معنا كأسا •

فقال الاب : طبعا •• طبعا •• ما اغبانى اذا كان يفوتنى ذلك .. الا تتفضل يا مستر تومز بتناول كأس

وقال تومز : الحق اننى كنت أتوقع منكما هذه الدعوة •• !

وقد نطق بهذه العبارة الغامضة ذات المعانى البعيدة وعلى شفتيه نظرات ساذجة لا توحى بما يفكر فيه •

ورجعوا الى البار ، وأمر الاب بزجاجة من نبيذ بنما ، ومضى يحتسى كأسه فى تلذذ وهو صامت لا ينطق بكلمة • وفجأة ــ كأنما أطلقت الخمر لسانه ــ بدأ يتكلم يثرثر فى موضوعات تافهة متباينة ، وفجأة أيضا لاذ بالصمت من جديد • ونظرت اليه ابنته فى عطف واشفاق ، كأنما تقرأ ما يجول فى خاطره ، وتدرى الحقيقة وراء ثرثرته المفاجئة وما أعقبها من صمت مفاجىء .. وبدا عليها

انها تريد أن تقول شيئا ، ولكنها لا تدرى كيف تطرق الموضوع الذى يلح عليها ·

خف تمبلار الى نجدتها ·· لقد كان له من الذكاء م كشف له ما يدور فى خاطر الاب وابنته وما يفكران فيه ولذلك انبرى يقول بغير تردد حتى يخرجهما من ورط التردد الذى يعانيان :

ـ ان هذا الضفدع تحفة فنية رائعة ·

فقال البروفيسور : صدقت ·· انه تحفة رائعة ·

وأدنى منه مقعده فى حركة تمثيلية حتى ليخيل الي انه كانت تفصل بينهما أميالا لا بضع بوصات ·

وقال تمبلار : طبعا ليس من حقى ان اكون فضولي ولكن يخيل لى أنه مصنوع من الذهب ·· ؟

ـ انه من الذهب الخالص ·

ولاذ الرجل بالصمت من جديد ، وتباعد بمقعده ع القديس ، وأشاح بنظراته الى الناحية الاخرى ·

وقالت الفتاة : ما هذا الذى فعلت يا بابا ·· ؟ لم تبد هذه الخشونة نحو مستر تومز ·· ! انه لا ينوى ب شرا .. كل ما هنالك أن الفضول استبد به وهو يرا مهتمين بالتقاط صورة لنا مع الضفدع ·

وعض البروفيسور نستور على شفتيه ، كأنما يكاب صراعا داخليا ، ثم عاد وتحول الى تمبلار ، وأدنى من مقعده من جديد ، وقال فى صوت خافت :

ـ أرجوك أن تقبل اعتذارى يا مستر تومز ·· كل م هناك انى خشيت ان ازعجك بحديثى .. وبعد فأى حق لى فى أن أفضى اليك بمشاكلى العلمية ·· اننا معش العلماء أبعد الناس عن الثرثرة بما يواجههم من متاعب فى أبحاثهم ودراساتهم ·

وقالت اليس تستحثه :
ـ دع يا بابا مشاكلك العلمية جانبا ، واسرد على مستر تومز الجانب المشرق من الموضوع ٠
وسكت البروفيسور هنيهة ، ثم ما لبث أن أردف :
فليكن اذن ٠٠ أما سمعت من قبل بشيء يسمى سمكة زيتكى ٠٠ ؟
فقال القديس مداعبا : ـ انى ما سمعت بها من قبل ٠٠ فهل تراك اصطدتها بنفسك أو وجدتها سابحة فى حوض استحمامك ٠٠ ؟
ولم يأبه نستور بهذه الدعابة شأن كبار العلماء ، واستطرد يقول :
ـ سمكة زيتكى هى الضفدع الذهبى الذى يسكن بحار بنما ٠
ودس البروفيسور يده فى جيب سترته الداخلى ، واخرج حافظة جلدية رثة وفتحها فانكشفت عن رزمة من الاوراق محشوة فيها مجموعة من الصور ، وقصاصات من الصحف ، وأوراق قديمة مكتوبة بخط اليد ، وطائفة من الاوراق المختلفة حتى لتكاد تبلغ حجم كتاب صغير ٠ وجعل يعبث فيها حتى أخرج من بينها ورقة مطوية بدأت تتآكل وتبلى لقدمها ، وفضها فاذا هى قصاصات من مجلة « لايف » الامريكية ٠
ولم يكن فى القصاصة الا صورة كبيرة ملونة تمثل ورقة شجرة كبيرة الحجم ، وقد استقر عليها ضفدع ذهبى اللون ٠
وقال البروفيسور : هذا هو الضفدع الذهبى ، وهو من عجائب الطبيعة النادرة ، ولا يعيش الا فى المناطق الاستوائية المطرة من هذه البلاد ٠٠ انظر اليه ٠٠ انه

حيوان بحرى على غاية من الجمال .. وهذا الضفدع مرقش بنقط صغيرة سوداء تعلو ظهره ٠٠ انظر ٠٠ وهناك ضفادع أخرى ترقشها نقط حمراء ٠٠ اما الضفادع ذات اللون الذهبى الصرف فنادرة جدا ٠٠ ومن خصائص هذا النوع من الضفادع انها تموت بمجرد تعرضها للشمس ولو بضع دقائق ٠

وكانت هذه المعلومات التى أدلى بها الى تمبلار مسطورة فى الفقرة المنشورة فى القصاصة تحت الصورة ٠٠ وكان يقرؤها فى تؤدة واهتمام ، وفى صوت تتجلى فيه الجدية شأن العلماء ٠ ولم يخالج الشك تمبلار فيما سيعقب هذه المحاضرة العلمية الرائعة، فهو الان بلا جدال يمهد للالعوبة التى ينوى ان يبتز بها مالا من سيمون تمبلار ، وهو لا يدرى ان الرجل الجالس ازاءه انما خلق لكى يسرق الناس دون أن يسمح لاحد بسرقته او الاحتيال عليه ٠

وقال تمبلار فى نبرة تدل على التبجيل والاحترام لهذا العالم البحاثة المطلع :

ـ هذه معلومات رائعة ٠٠ أتراك انت الذى اكتشفت الضفدع الذهبى ٠٠ ؟

فقال العالم البحاثة فى صدق العلماء وامانتهم :

ـ ان زميلى السابق الدكتور زيتكى هو الذى اكتشف السمكة ، ولذلك سميت باسمه ، أما هذا الضفدع فانا الذى اكتشفته ولذلك أولى به ان يسمى « ضفدع نستور » بدلا من الضفدع الذهبى ٠

وضحك البروفيسور راضيا عن هذه الدعابة « العلمية » التى بدت عنده رائعة تدل على الذكاء ٠

وقالت اليس : ولكن ضفدعنا الذهبى نموذج مأخوذ عن الضفدع الاصلى المسمى بسمكة زيتكى ومطابق له تماما ·

وقال البروفيسور :ـ قبل أن يحضر الدكتور زيتكى ـ او أى من زملائنا الى هذه المجاهل ـ كان الضفدع الذهبى معروفا بطبيعة الحال للسكان الاصليين من أهل البلاد · وما من شك فى ان وجود الضفدع الذهبى كان عند هؤلاء البدائيين اسطورة تتفق وما يسيطر عليهم من خرافات ، فان تحول سمكة عادية الى ضفدع بعد فترة معينة من الوقت بدا عندهم معجزة تقصر دونها الافهام ، فان السمكة تظل سمكة طيلة حياتها ولا يمكن ان تتطور الى شىء آخر · وزاد من غموض الاسطورة ان لون هذا الضفدع كان ذهبيا شبيها بلون ذلك المعدن الذى كانوا يعثرون عليه من حين لاخر فى قاع النهر · اضف الى هذا انهم لاحظوا ان احدهم ما يكاد يمسك بهذا الضفدع حتى يموت ويلفظ أنفاسه دون سبب ظاهر ، ونحن الان نعرف هذا السبب وهو أن تعرضه لضوء الشمس ولو لحظات كفيل بأن يهلكه · اما سكان البلاد ـ وهم على ما كانوا عليه من جهل مطبق ـ فقد غاب عنهم هذا السبب · وفى ظل هذه الظروف خيل اليهم ان هذا الضفدع شىء مقدس ، فكان ذلك منشأ مذهب دينى لعبادة الضفدع الذهبى ·

فقال القديس يسأله فى اهتمام :

ـ أتعنى ان ضفدعك الذهبى أثر من الاثـــار القديمة · · ؟

ـ هذا مالا شك فيه ، فعمره يرجع الى خمسمائة عام او تزيد ، فهو من مخلفات تلك العصور البعيدة التى كان

فيها اهل هذه البلاد يعبدون الضفدع الذهبى · وقبل أن أحضر الى هذه البلاد لم ار الا ضفدعا واحدا من هذا النوع أتى به الى السواح وانا القى محاضرةفى جامعة متشيجان عن آثار كولومبيا القديمة · وقد أخبرنى انه عثر عليه فى جزيرة سانبلاس ، وعرضه على يستطلع رأيى فى قيمته الفنية كأثر من الاثار بغض النظر عن قيمته المالية · وقد تبينت على الفور انه ليس من صناعة أهل هذه الجزيرة ، ولو ان هذا السائح سأل الهندى الذى باعه اليه لعرف مصدره الحقيقى · وقد ذكرت للسائح أن ضفدعه يرجع تاريخه الى عهد بعيد جدا ، ربما الى العهد المايانى · وحاولت بطبيعة الحال ان اشتريه منه ، ولكنه ابى ان يبيعه ، فقد كان من الثراء بحيث أثر ان يضمه الى ما لديه من مجموعات التحفعلى سبيلالتذكارللرحلات التى قام بها ·

ـ وكان ضفدع هذا السائح بادرة وجهت ابحاثى ودراساتى . وقد اتفق ان سمعت عن سمكة الدكتور زيتكى ، وما ان القيت نظرة على صورتها الفوتوغرافية حتى تبينت على الفور أنها الانموذج اىذى نقل عنـــه الضفدع الذهبى الذى عرضه على ذلك السائح الثرى ·· وتابعت ابحاثى بعد ذلك فاكتشفت ان أهل هذه البلاد كانوا يعبدون الضفدع الذهبى ، وكان له معابد خاصة وكهنة يقومون بالطقوس الدينية المعهودة ·· ولكن ما شأنك أنت يا مستر تومز حتى احدثك بكل هذا ، فمثل هذا الحديث كفيل بأن يضجرك ·

فقال تمبلار فى اخلاص : بالعكس ·· انه حديث طريف جدا لم يرد له ذكر فى النشرات السياحية ·

هذا صحيح ·· فأنى لستمن الحماقة بحيث اعلن

على الملأ اكتشافاتى العلمية ، فحتى اليوم لم أكاشف احدا بسرى الا اليس ·

وقالت اليس توضح ما قصد اليه ابوها :

ـ على العلماء فى هذه الايام ان يكونوا شديدى الحرص والحذر ، شأنهم فى ذلك شأن المخترعين ، فانك تعرف ان الجامعات لا تمنح الاساتذة الا أجورا تافهة لا تتناسب مع مراكزهم العلمية ولكنها تغدق بلا حساب على من يوفق من بينهم الى كشف علمى ·· ولذلك يحرص من يصل منهم الى كشف علمى على ان يكتم سره حتى لا يسرقه منه زملاؤه ، كأنما قد اهتدى الى سر القنبلة الذرية ·

فقـــال البروفسور : اتلومينهم على هذا واجورهم بخسة فى حين ان مدرب كرة القدم يتقاضى من الجامعة اضعاف ما يتقاضى العالم الذى يحمل اكبر المؤهلات العلمية · ومع ذلك فان الكسب المادى لا يهمنى فى شىء ، اذ كل ما أنشد هو المجدالادبى ، والتماع اسمى فى المجالات الثقافية ، وان كنت لم ادخر من أجل ابنتى اليس الا القليل · ومع ذلك فهى تلح على ان انفق ما ادخرت من اجلها على البعثة العلمية الجديدة التى أريد ان أوفدها الى تلك المجاهل بحثا عن اسرار هذا المذهب الدينى · ولقد كونت حتى اليوم ثلاث بعثات وانفقت عليها من جيبى الخاص ، فحسبى هذا والا نفذ ما ادخرت من اجـل ابنتى ·· وقد رافقتنى اليس فى هذه الرحلات ، ولشد ما عانت المسكينة من تعب وارهاق .

وأمسك عن الكلام ، ونظر الى ابنته فى اعجاب ،فقال لها القديس :

ـ احقا شاركت اباك فى هذه الرحلات المضنية ٠٠ ؟

فأجابت : أتحسبنى كنت ارضى بأن تفوتنى هذه المغامرة ٠٠ ؟ اتعلم أننى وأنا بعد طفلة فى الثانية من عمرى كنت أتمنى لو انى خلقت ولدا ٠٠ ؟ لقد كنت اشارك الصبيان العابهم فأتسلق الجبل وأصيد السمك ، بل لقد تجرأت يوما ولاكمت الكثيرين منهم وهزمتهم ٠

ـ الحق أنك بطلة تثير الاعجاب ٠

وادرك البروفيسور ان الطعم قد بدأ يغمز ، وان السمكة توشك ان تلتهم الصنارة ٠٠ ان الرجل ينظر الى المرأة عادة على انها العوبة رقيقة لا تعرف الا الازياء وتمضية السهرات فى الملاهى ، اما حين يعرف انها تشارك الرجال مغامراتهم ، وتخرج الى بطون الجبال والصحارى تمشى فى الشمس المحرقة والرمال الملتهبة دون تذمر او شكوى ـ فان الرجل يزداد اعجابا بها وتقديرا لها ، وهو عند ذاك يمكن بسهولة ان يتردى فى المصيدة التى تحوكها من أجله . وما دام الامر كذلك فقد رأى البروفيسور ان الوقت قد حان ليكشف اوراقه بغير مواربة فقال :

ـ ولا اريد طبعا يا مستر تومز ان ازعجك بتفصيل ما لقمناه خلال هذه الرحلات التى كانت اشبه بعذاب جهنم، ولكن حسبى ان اقول انها اسفرت عن نجاح عظيم ، نجاح لم اكن اتوقعه ابدا ، فاننى لم أوفق فحسب الى اقامة الدليل على وجود هذه الديانة التى تدعو الى عبادة الضفدع الذهبى ، وانما عثرت أيضا على آثار هذه الديانة ٠

ونقل تمبلار نظراته المعجبة من وجه اليس الى وجه البروفيسور وقال متسائلا فى دهشة :

ـ أتعنى انك وجدت بعض تماثيل الضـفدع الذهبى ٠٠ ؟

ـ « بعض » التماثيل ٠٠ ! لقد عثرت على مجموعة كبيرة .. واذا شئت الدقة فأعلم اننى عثرت على سبعة وثلاثين تمثالا ٠

ـ من الذهب الخالص ٠٠ ؟

ـ نعم من الذهب الخالص ٠٠ : وقد عثرت عليها صدفة ٠

ـ وهل يتفق شكلها مع ذلك الضفدع الذى التقط الدكتور زيتكى صورته ٠٠ ؟

ـ تماما ٠٠ وسأحدثك الان بنبذة تاريخية موجزة عن نشأة هذا الموضوع ٠٠ انك تعلم ان الاسبان غزوا هذه المناطق منذ مئات السنين ، وكان الذهب هو هدفهم وغايتهم ، وقد خشى كهنة الضفدع الذهبى ان يستولى الاسبان على التماثيل الذهبية التى تمثل الههم المعبود ، فقرروا فيما يبدو أن يخفوها فى مكان لا يصل اليه الاسبان ، ولعلهم ذهبوا بهذه التماثيل الذهبيـة الى الكهوف او الى مخابىء فى باطن الارض حتى يصونوا تراثهم الدينى من عبث الغزاة المغيرين ٠٠ واعتقد ان التمثال الذى ذكرت لك ان احد السواح عرضه على كان من بين هذه المخلفات ، ويبدو أن هنديا عثر عليه صدفة فباعه الى هذا السائح ٠ ولكن بقية الكنز ظل مصونا لم تقع عليه عين أو تمتد اليه يد حتى عثرت عليه أثناء رحلتى الاخيرة ٠

فقال القديس يسأله :

ـ وهل التماثيل التى عثرت عليها من نفس حجم هذا التمثال الذى رأيته معك ٠٠ ؟

ـ أغلبها من هذا الحجم تقريبا • واعتقد أن هذه التماثيل كانت تتداول باعتبارها تعويذة يعلقها الكهنة فوق صدورهم • ولكن بين المجموعة ثلاثة تماثيل كل منها فى حجم كرة القدم ، ولعلها هى التى كانت تعلق فى المعابد • كما ان هناك تمثالا ضخم الحجم فى حجم اليس تقريبا ، لعله هو النموذج الاصلى الذى كانت تصاغ منه التماثيل الاخرى •

وهز تمبلار راسه بما ينبىء بذهوله وقال :

ـ وكلها من الذهب •• ؟

ـ من الذهب الخالص ياصديقى •

فقال القديس وقد تألقت فى عينيه ابتسامة من الجذل •

ـ وأنا الذى رثيت لحالك فى اول الامر ، واشفقت من هذا المرتب الضئيل الذى تتقاضاه من الجامعة •• الحق انى لو كنت اعلم ان دراسة الاثار تأتى الى صاحبها بمثل هذه الثروة لاحترفت هذه المهنة •

فابتسم البروفيسور نستور وقال وعلى شفتيه شبه ابتسامة اعتذار :

ـ أمن الفضول وسوء السلوك ان اسألك يا مستر تومز عن مهنتك ؟

فأجابه تمبلار فى بساطة ، وكان صادقا فى جوابه :

ـ يمكنك أن تعتبرنى مضاربا او مغامرا •• اننى رجل ارمى بنفسى الى اى شىء اتوقع أن يكون مثمرا .. ولا اكتمك أن حاستى السادسة طالما جلبت لى اكداسا من المال ، ولذلك ترانى اعتمد عادة فى اطمئنان على الالهام •

ولو أن البروفيسور نستور اراد ان «يخلق» لنفسه ضحية يفضلها على هواة ، لما وجد خيرا من مستر تومز ، فهو لا يتمنى فى حياته الا ان يكون ضحاياه من

هذا الطراز ، طراز المغامرين الذين يندفعون بحماس وتهور الى « شيء » لا يعرفون له كنها ، دون ان يترددوا لحظة فى ان يقذفوا اليه بأموالهم دون دراسة وروية ، فان ربحوا لم يحفلوا بما ربحوا ، وأن خسروا لم يأبهوا بما ضاع منهم من مال ٠

وتنهد مستر نستور وقال فى لهجة من الاسى حذقها لطول مرانه وخبرته بالاحتيال :

ـ وددت يا مستر تومز لو تهيأت لى حاسة سادسة مثلك ٠٠ فطالما غامرت وخسرت ٠

فضحك تمبلار وهو يقول : كيف تتحدث عن الخسارة ولديك هذا الكهف الذى يزخر بالذهب الخالص ٠٠ ؟ وهو ذهب معفى من الضريبة بغير جدال ٠

ـ ولكن ما جدواه وهذه التماثيل ما زالت وستظل خبيئة فى كهفها لا تمتد اليها يدى ٠

ـ انها على اية حال فى انتظارك حتى ترجع اليها وتحملها على ظهرك ٠

فهز البروفيسور رأسه فى حزن واسى وقال :

ـ ولكن تلك هى المشكلة العويصة التى تواجهنى والتى لم اجد لها حلا حتى الان ٠

فأنبرت اليس تقول مفسرة ما غمض من كلام ابيها :

ـ اننا لا نريد طبعا ان نطيح برؤوسنا ونقتل قبل ان يتاح لنا أن نمد يدا الى هذه التماثيل ٠

فزوى تمبلار ما بين حاجبيه وهو يستمع اليها دلالة على عدم الفهم ٠٠ فقال البروفيسور موضحا :

ـ عندما اكتشفنا التماثيل الذهبية كان فى نيتنا بطبيعة الحال ان نحملها معنا عند عودتنا ، وقد رجعنا الى

المخيم لنأتى بالات التصوير حتى نلتقط صورا نسجل بها ما اكتشفنا وهى على وضعها الراهن قبل ان تمتد اليها أيدينا ، وبغتة فوجئنا بصيادى الرؤوس البشرية وهم يهاجموننا .. انك طبعا لاتستطيع أن تصدق هذا يا مستر تومز وانت تعيش هنا فى هذه البلاد المتحضرة آمنا سليما بمنجاة من الاخطار ، ولذلك لا يمكن ان نتصور أنه بعد ساعة واحدة من الطيران يمكن ان تجد نفسك وسط الادغال المتشابكة ، وفى أرض تعيش على البدائية ، ولم تعرف اليها الحضارة سبيلا ، ففى هذه المجاهل قوم ما زالوا يعيشون على الفطرة ، ولا هم لهم الا اغتيال كل آدمى يضع قدمه فى هذه المناطق . وهكذا ما كدنا نولى ظهورنا الى الكهف متجهين الى المخيم حتى فوجئنا بصيادى الرؤوس البشرية ينقضون علينا من جميع الاركان ، وقد سمعنا طبولهم تدق على البعد ، فركبنا الفزع وأطلقنا سيقاننا للريح ننشد الفرار ، فأخذنا نركض صوب النهر حتى نستقل أحد القوارب وننفلت هاربين قبل ان يهتدوا الى مكاننا .. ولك ان تتصور المشاق التى استهدفنا لها اذ ذاك ، فقد كنا نسير عكس التيار ، والرياح تتلاعب بالقارب وتكاد تقلبه وتغرقه وامضينا يومين فى هذه المحنة حتى كتبت لنا النجاة وكفوا عن مطاردتنا .

ــ ومن كان فى القارب .. ؟ انت واليس وحدكما .. ؟

ــ بل كان معنا «لورد» الهندى الذى يعمل معنا بمثابة مرشد لخبرته بالادغال ومسالكها الخفية ، وهو شاب مخلص جم الذكاء ، وكان لنا دائما خير معين . وانى لاسأل الله أن يظل سليما معافى حتى نصحبه معنا فى

رحلتنا القادمة ٠٠ اعنى اذا قدر لنا أن نعود الى تلك المجاهل مرة أخرى ٠

فقال تمبلار : لو اننى عرفت ان فى المجاهل كهفا مليئا بالذهب لما ترددت لحظة فى العودة ، وما حفلت ابدا بدقات الطبول الرهيبة ٠٠ ! ان هذه الطبول عندى هى دعوة الى الحضور وليست انذارا بالفرار والتباعد ٠

فقالت اليس فى صوت ناعم النبرات :

ـ هذا صحيح .. ولكن هناك عقبة ليس من الهين أن يتخطاها الانسان .. اتحسب أن هذه البعثات الاستكشافية لا تقتضى مالا للانفاق عليها ؟ ٠

اننا مضطرون الان للعودة الى الولايات المتحدة لتدبير المال اللازم لبعثتنا الجديدة ٠

فقال القديس : اعتقد انكم لن تلقوا صعوبة فى هذا ٠

فقال البروفيسور فى شىء من التردد والشك :

ـ هذا ما اتمناه ٠٠ ولكن الصعوبة الى تواجهنا هى اننى لم التقط اية صورة للكهف وما فيه من ضفادع ذهبية او اثار من مخلفات ذلك العصر ، فكيف يتسنى لنا ان نقنعهم بأننا اكتشفنا هذه الاثار ٠٠ ؟ ان الامر فى هذا كله انما يتوقف على ما لى من سمعة علمية ٠٠ ومع ذلك فستكشف لنا الايام عاجلا ما تخبئه لنا ٠

وقالت اليس فى حماسة :

ـ ولكن يجب أن يؤمنوا بك يابابا ٠٠ يجب ان يصدقوا روايتك ٠

فقال البروفيسور وهو يربت على يدها فى حنان :

ـ طبعا يا حبيبتى طبعا ٠٠

وكانت التمثيلية مرسومة ببراعة منقطعة النظير ، وكان لكل منهما ـ الاب والابنة ـ دور يؤديانه ، وقد

اكسبهما المران وكثرة التكرار لونا من الاتقان لا يبدو معه انهما يمثلان ويلفقان ٠

وقال البروفيسور وقد ند عن صدره تنهدة من الاسى :

ـ حسبنا حديثا عن هذا الموضوع ، فقد اضجرنا مستر تومز بمشاكلنا بما فيه الكفاية ٠

ونظر فى ساعته وهو يقول :

ـ واظن أنه قد حان الوقت لكى أتصل بـامين المتحف ٠٠ فهل تأذن لى يا مستر تومز بالانسحاب ٠٠ ؟

ونهض واقفا ، واتجه الى ردهة الفندق فى خطوات متثاقلة ، شأن العلماء الذين يـرزحون تـحت اثقـال مسئولياتهم الجسيمة ازاء التاريخ والبشرية ، وجعلت أليس تتابعه بنظراتها وهو يتباعد عنهما ، وقد لانت ملامحها وتبدت فيها أمارات الاشفاق والعطف ٠

وغمغمت فى صوت هامس رقيق :

ـ مسكين أنت يا أبتاه ٠٠ ! أنه يرزح تحت أعباء ثقيلة يكاد ينوء بهـــا .. !

وقدم اليها القديس سيجارة وهو يقول :

ـ هونى عليك ، فما أحسب أن الامر من السوء بالقدر الذى تتصورين ، فانى أعتقد أن الجامعة لن تضن عليه بالمال اللازم لتمويل هذه البعثة الجديدة ٠٠ فحسبه أن يبرق الى الجامعة بما يريد فيأتيه الجواب عـاجلا بالموافقة ٠

فهزت راسها مستريبة وهى تقول :

ـ ولكن الامر ليس بالسهولة التى تتصورها ، فمامن أحد سمع قبل اليوم بهذه الديانة القديمة ـــ ديانة عبادة الضفدع الذهبى ، فلو أنه خرج عليهم بهذا الاكتشاف لما صدقه أحدا وأحسبك لا تجهل ما بين العلماء من غيرة

وتحاسد ، فهم أبدا يثيرون الشكوك حول كل اكتشاف علمى يأتى به أحدهم ، ويأبون التسليم به الا بعد أن يقعوا على دليل مادى قاطع . ولو أن الامر اقتصر على هذا لكان هينا مستساغا ، ولكن فى هذا الفندق رجل يحترف مهنة تنظيم الرحلات الى الغابات والادغال لجماعات السواح الذين يفدون الى هذه البلاد ، وهو يزعم ان هذه المجاهل خالية من صيادى الرؤوس البشرية ، وان كل ما يقال عن ذلك لا يعدو أن يكون اشاعات كاذبة لا ظل لها من الحقيقة .. ولا شك أن الهدف من هذا الادعاء واضح فهو لايريد أن يبث الذعر فىنفوس السائحين والا بارت مهنته . وأحسب انه لا يغيب عنك ما يمكن ان يرمى به حين يتحدث الى الجامعة عن صيادى الرؤوس وكيف هاجمونا فى الوقت الذى يؤكد فيه هذا الدعى منظم الرحلات ان لا وجود لهؤلاء الصيادين .. لا شك عندى أن رجال الجامعة اذ ذاك سيرتابون فى حديث أبى ويرمونه بالكذب والتلفيق .

فسأله اتمبلار : ولكن هل حاولتم وفشلتم .. ؟

ـ كلا .. اذ الواقع أن أبى لم يفاتح أحدا حتى الان باكتشافه فان ذيوع هذه الاخبار كفيل بأن يجر علينا المتعاب ، فلو ان حكومة بنما عرفت بأمر هذه الاثار وصدقت النبأ لادعت أنها صاحبة الحق الوحيد فى هذه التماثيل الذهبية ، ولاوفدت بعثة من جنودهم للاستيلاء عليها .. وأبى ـ كرجل من رجال العلم ـ ولا يحفل بطبيعة الحال بهذه التماثيل لقيمتها المادية ، ولا يعنيه تستولى عليها حكومة بنما أو الشيطان نفسه ، فكل ما يهمه هو أن لا يحرم من نسبة هذا الاكتشاف العلمى

الخطير اليه ، ان كل ما يبغيه انما هو المجد العلمى ولا شيء غير ذلك .. ولكن العلم ما يمكن أن يحدث لو أن حكومة بنما اوفدت بعثةعسكرية لاحضار هذه التماثيل ·· انها ستختفى حقا اثناء رحلة العودة ، وسيقسم الضباط اليمين على انهم وجدوا الكهف خاليا ليس فيه تمثــال واحدا .. كما أن من الجائز أن لا يعودوا أبدا من رحلتهم ·

ورأى تمبلار أن لا شأن له بما تدعيه الفتاة عن جنود بنما وشكها فى أمانتهم ، وايمانها بأنهم سيختلسون التحف لانفسهم ، وان كان قدهم بأن يقول لها ان جنود بنما أشرف جنود الولايات المتحدة وأكثر نزاهة ·

وقال فجأة يسألها كأنما يدفعه الفضــول الى الاستفسار :

ــ ولكن كم يمكن أن تتكلف مثل هذه البعثة ·· ؟

وكان الرقم حاضرا فى ذهنها ، فقد حفظته عن ظهر قلب بعد أن اتفقت مع أبيها على تقديره ، وأجابت :

ــ حوالى عشرة آلاف دولار ·

فقال القديس : ــ انه ليس بالمبلغ الباهظ ، وكثيرون على استعداد لان يمولوا البعثة مقابل حصة معينة فى التماثيل الذهبيــة ، نعــم ·· ينبغى ان ينظر ابوك الى الموضوع من زاوية تجارية بحتة ·· يجب أن يتنازل للممول عن حصة من الغنيمة ·

ــ هذه هى المشكلة ·· ان أبى لا يستسيغ أبدا أن يعالج هذا الاكتشاف العلمى بالاسلوب التجارى ·· فهو يرى أن القول بأن هذه التحف غنيمة تجارية ادعاء سخيف ·· ولعله فى تعصبه العلمى يؤثر أن تظل هذه الاثار الدفينة فى الكهف لا يدرى بها أحد على أن يراها تباع أو تذاب لكى تباع سبائك ذهبية ·

ــ اذن فكأنكم لا تنشدون الا رجلا محسنا لا يفعل الخير الا لوجه الخير ٠

ــ هذا صحيح ، فأبى ليس بالرجل العملى الواقعى ، ولست اللومه على ذلك ، فالعلماء عادة ليسوا بالواقعين اما انا فأختلف عنه فى هذا الشأن فلو اننى استطعت ان احتفظ له بقدر ولو ضئيل من هذه التحف بما يكفى لتسجيل مجده العلمى وبما يكفى للعرض فى المتاحف ــ فاننى ما كنت أحفل ببقية المجموعة ٠

ونظر اليها تمبلار صامتا لا يتكلم ، وان كانت نظراته تدل على اعجابه بها ، وتقديره لما طبعت عليه من الواقعية ٠

ومالت اليه قليلا حتى بدا نحرها فى نطاق نظراته ، وحتى بدا شذى عطرها يملأ أنفاسه ٠ وهمست :

ــ اسمع ٠٠ الواقع انى لا أدرى لم أتحدث اليك فى هذا الموضوع ، وأفضى اليك ٠٠ بمكنونات صدرى ٠٠ غير أنى أشعر أنك رجل حكيم متزن ٠٠ فدعنى أسألك : هبنى وفقت الى رجل من رجال الاعمال به ميل الى المغامرة ، وعقدت معه صفقة ولكن بشروطى الخاصة ٠٠ اعنى هبنى اتفقت مع هذا الرجل على أن يمول البعثة الاستكشافية مقابل جزء من الضفادع الذهبية ، ولكن بشرط أن نخفى هذا الاتفاق عن أبى ، فما الذى تراه أنت فى هذا الاتفاق ٠٠ ؟

فقال القديس يسألها : وكيف تعللين لابيك اختفاء ما نقص من الضفادع ٠٠ ؟

ــ سأزعم عنده أن صيادى الرؤوس البشرية اهتدوا الى الكهف كما اهتدينا نحن اليه من قبل واستولوا على جزء منها ٠ وبذلك سيكون أبى سعيدا بتشكيل البعثة ،

وسيتفرغ لكتابة أبحاثه ومقالاته العلمية عن اكتشافه الخطير ٠٠ هبنى فعلت هذا ، فهل أكون قد غدرت بأبى وثقته فى ٠٠ ؟

ونظر اليها القديس طويلا يسبر أغوارها ، ثم أجاب:
ـ لو أنك فعلت هذا لكنت حقا الابنة البارة بابيها ٠٠ ! انك بمثل هذا الاتفاق تكونين قد أسعدت البروفيسور وحققت مطامحه العلمية .. ولو كان الامر بيدى لعلقت وساما على صدرك هذا ٠

ثم نظر الى صدرها العارى فى افتتان وهو يقول :
ـ نعم ٠٠ فان هذا الصدر يستحق وساما ٠٠ وبهذه المناسبة اذا صح عزمك على أن تقومى بمثل هذه الصفقة فأرجو أن تخطرينى فانه يطيب لى أن أمول البعثة المنتظرة ٠

ونظرت اليه أليس وقد غامت عيناها ، وبدأت العبرات تتجمع فى مآقيها ، فقد وجدت فيه « المنفذ » الذى كانت تحلم به ٠

وفى هذه اللحظة أقبل عليهما البروفيسور ، فقد غمزت له بعينها تدعوه ، وهى تحسب أنها أعطته « الاشارة » خفية ، وان كان الامر لم يغب عن عين القديس الضاحكة . وجاء البروفيسور تلبية لاشارتها ، وقد ادرك من دعوتها أن « الطبخة » قد نضجت .

وقال البروفيسور نستور مستمرا فى أداء التمثيلية :
ـ يؤسفنى يا عزيزتى أننى مضطر الليلة الى أن أتركك وحدك ، فقد أخبرنى أمين المتحف وأنا أتحدث اليه أن نفرا من زملائى الاساتذة بجامعة كولومبيا سيحضرون الليلة لزيارة المدينة ، ولما علموا بوجودى أصروا على مقابلتى ٠ ولا أستطيع أن أدعوك الى مرافقتى لانك

تعلمين طراز الاحاديث التى تدور بين العلماء من امثالنا .. أنها أحاديث كفيلة بأن تضجرك .

فقالت اليس وعلى شفتيها ابتسامة هادئة :

ـ لا عليك منى يا أبتاه ، فقد دعانى مستر تومز لان أتناول العشاء معه الليلة .

وأدرك تمبلار أنها ترمى بهذا العشاء أن تحوك حوله الخيوط الاخيرة فى المؤامرة ، وكان سعيدا بأن يمشى الى الفخ المنصوب بقدميه طواعية واختيارا .

ـ ٣ ـ

كان من رأى أليس أن يتناولا العشاء فى مطعم حديقة رانشو ، وما تخطت قدماه عتبة المكان حتى طاب له اختيارها وراقه ذوقها ، فقد كان المطعم عبارة عن فناء فسيح الارجاء ، نسق على الطراز الاسبانى ، فقد قامت فى أركان ثلاثة منه سقوف مشيدة بالبلاط ذى الالوان الزاهية الجميلة ، تناثرت أمامها اشجار النخيل الوارقة الظلال ، وقد صفت فى ظلها موائد الطعام ، ووضعت فوقها شموع ترسل أضواء خافتة تتراقص وتتمايل اذا ما داعبتها هبات النسيم ، أما وسط الساحة فكان مكشوفا تعلوه قبة السماء تتلالا فيها النجوم بومضاتها الخابية الساجية .

وهكذا ، كان الجو حولهما يوحى بالمطارحات الغرامية ، ولكنه كان فى شغل عن هذا بالتفكير فى الفخ الذى ينصب تحت أقدامه ، وهو يساق اليه كالشاة المعصوبة العينين ، فى حين لا تعلم الفتاة أن هذه الشاة لا تلبث أن تنقلب ذئبا وان الفخ الذى تنصبه انما جعل

لكى تتردى فيه هى نفسها ٠
والتفت اليها تمبلار وهو يقول :
ـ ولكن حدثينى .. كيف سيتاح لك أن تنفذى خطتك ٠٠ ؟
فقالت : أنسيت أننى أعرف موضع الكهف كما يعرفه أبى ، وأننى أعرف مخبأ الضفادع الذهبية ٠
ـ أمعنى هذا أنك تنوين أن تذهبى بمفردك الى الكهف ٠٠ ؟ أنسيت صيادى الرؤوس البشرية ٠٠ فكيف تستهدفين لهذه المخاطرة ٠٠ ؟
ـ وهل تحسبنى أبالى فى سبيل تنفيذ خطتى ٠٠ ؟
ـ ولكنها مغامرة غير مأمونة ، وما أحسبنى أقرك عليها ٠
فهزت كتفيها فى غير مبالاة وهى تقول :
ـ وهل تحسبنى أجهل ما أستهدف له ٠٠ ؟ ولكن ما حيلتى ٠٠ ؟ ومع ذلك فلدى فكرة أخرى قد تغنى عن هذا كله ٠
ـ وما تلك الفكرة يا ترى ٠٠ ؟
ـ أنه لورو ٠٠ أعنى ذلك المرشد الذى ذهب بنا الى تلك المناطق فى الرحلات السابقة .
ـ وما شأن لورو بخطتك ٠٠ ؟ أتريدين أن تبعثى به وحده الى الكهف ٠٠ ؟
ـ ولم لا ٠٠ ؟ لورو ينظر الى أبى كما ينظر الابن الى أبيه ٠٠ ؟ وأهم من هذا أنه يعبدنى ٠
ـ يعبدك ٠٠ ؟ حسبته من عبدة الضفادع الذهبية ٠٠ ؟
فأرسلت ضحكة رقيقة وقالت :
ـ أتعرف أن لورو يحبنى ويهيم بى غراما ٠٠ ؟

ولعل مرد ذلك الى أننى شقراء زرقاء العينين وهو من الملونين ·· أو لعل السبب هو أنى أعطف عليه وأعامله بوصفه مخلوقا بشريا ·· لقد اصيب ساقه فى يوم من الايام بالتهاب حاد عانى منه عذابا شديدا ، فتوليت بنفسى علاجه وتمريضه ، وكنت اعد له الطعام بنفسى حتى تم شفاؤه ·· ومنذ هذه اللحظة وهو يعبدنى عبادة ·· ان هؤلاء البدائيين كالأطفال ، بالحنان تملك قلوبهم وتظفر باخلاصهم وولائهم ·· وبعد أن هربنا من صيادى الرؤوس البشرية ونجونا بأنفسنا أخبرنى لورو أننا سلكنا الطريق الخطأ ، وأنه لو كان يعرف منذ البداية أن هذا الكهف هو هدفنا لتيسر له أن يسلك اليه طريقا آخر ويعود الينا بالضفادع الذهبية ، دون أن تعترض سبيله المتاعب ·

وتناول تمبلار رشفة من كأسه على مهل ، وقال :

ـ وأين يمكن ان نعثر على هذا القاتل الجرىء ··

ـ أنه ما زال مقيما فى ضواحى المدينة ·· والواقع أنه جاء الى اليوم فى الفندق ، وكنت اذ ذاك بمفردى اذ كان أبى قد ذهب الى دار البلدية لبعض الشئون ·· وسألنى لورو عما اذا كان فى نيتنا أن نقوم برحلة جديدة الى هذه المجاهل ، وكدت أجيبه بأننا عدلنا عن متابعة البحث اذ نفذ ما لدينا من مال ، ولكن فجأة انبثقت فى ذهنى فكرة ايفاده وحده ، فسألته أن يعود الى الفندق فى التاسعة مساء ، ولك أن تلقاه اذا شئت فيشرح لك خطته بنفسه ·

ـ من الخير فعلا أن ألقاه بعد أن نفرغ من الطعام ·

وجعل تمبلار يواليها بالسؤال تلو السؤال عن الرحلة الاخيرة ، وكيف عثروا على كهف الضفادع الذهبية ، وكيف طاردهم صيادو الرؤوس البشرية ، وكيف أفلتوا

منهم ومضت تروى له فى ذلك تفاصيل مثيرة لا شك ان البروفيسور نستور كان قد لقنها اياها من قبل تأهبا منه تتناول مثل هذه المغامرات حتى يتسنى له أن يحوك منها قصة محبوكة منسقة ٠

وقال لها تمبلار وهو يرميها بنظرة تومىء بالاعجاب والتقدير :

ـ لاشك أنك وجدت حياة المغامرات رائعة فتانة ، وما احسبك مستقبلا ستتخلين عن مرافقة أبيك فى كل رحلة يقوم بها ٠

فهزت رأسها فى رشاقة وقالت فى صوت عـذب النبرات :

ـ لن ارافقه بعد ذلك فى رحلاته أبدا ، فانى أشعر أننى عبء ثقيل عليه .. مسكين أبى .. انمرتبه لا يكاد يكفيه فكيف أثقل عليه بنفقاتى .. ان فى وسعى أن استقل بنفسى وأكسب معاشى فاننى اجيد أعمال السكرتارية فعلى ان ابحث عن وظيفة التحق بها حتى اوفر لابى ما ينفقه على ، وفى نيتى عندما ارجع الى الولايات المتحدة ان ابحث عن رجل من رجال الاعمال يهوى الرحلات فأعمل لديه ، فأنى لا اكتمك أننى ولوعة بالترحال .

فنظر اليها تمبلار باسما وقال :

ـ ما أشق على من يستخدمك أن يقصر علاقته بك على العمل وحده ، فانك فتانة جذابة ٠ لا قبل للمرءبالصمود أمام اغرائك ٠

ـ أحقا ترانى جميلة ٠٠ ؟ ومع ذلك فلم لا ٠٠ ؟ اننى لست بعد من الطراز العتيق ، فاننى فتاة عصريـة الافكار ، وعقليتى مرنة مستجيبة .

وكان واضحا من هذه الكلمات أنها على استعداد لان تستجيب الى ما يطلب منها ٠

وجاء الهندى لورو وهما يحتسيان أقداح القهـــوة فدعاه تمبلار الى الجلوس ، وطلب له قدحا من البيرة ٠

وكان الشاب قوى البنية عريض المنكبين ، يرتدى بنطلونا وقميصا أبيض اللون ، وله شعر أسود غزير ، وفى أذنه قرط ذهبى كبير الحجم ٠ وكانت هيئته تنم على انه لص من قطاع الطرق ذوى الجرأة والجسارة ٠

والواقع انه كان قاطع طريق ٠٠

أما كيف تم اللقاء ، بينه وبين البروفيسور نستور ، فتلك هى القصة : عندما جاء البروفيسور الى هذه البلاد لاول مرة ، وقف على رصيف المحطة ينتظر حمالا يعهـد اليه بحقائبه ، وكان لورو هو ذلك الحمال المرتقب ، ولكنه بدلا من ان يحمل الحقيبة الى سيارة التاكسى انطلق بها بأقصى سرعته بيد ان نستور كان أسرع منه ركضا ، فما لبث أن لحق به عند منعطف الطريق فسدد اليه لكمة ساحقة ألقت به على قارعة الطريق ٠

وكان المنتظر أن يدعو نستور شرطيا فيعهد اليه باللص خاطف الحقائب ، ولكن البروفيسور ـ لدهشة الهندى المذهول ـ لم يفعل شيئا من هذا ، وانما مد يده ينهض اللص من سقطته ، وناوله ورقة بنكنوت من فئة الخمسة دولارات ، وهو يقول :

ـ ان اختطاف حقيبة سرقة تافهة ، فلم لا تعمل تحت امرتى ، فأحشو جيبويك بالذهب ٠٠ ؟

وسعد لورو بهذا العرض ، كما سعد نستور بقبوله اذ كان فى حاجة الى مواطن من اهل البلاد ، خبير بطباع اهلها ، حتى يعاونه فى تنفيذ مكائده الاحتيالية ·· وما لبث لورو أن ادرك انه ازاء « أستاذ » قدير فاخلص فى خدمته وتنفيذ تعليماته ، كما اتخذه نستور يده اليمنى ، فمضى يلقنه دوره ويدربه عليه حتى اتقنه واندمج فيه ، فأصبح يؤديه ببساطة أصيلة وببراعة الممثل القدير ·

وقال لورو ردا على سؤال تمبلار له عما ينوى ان يفعل :

ـ نعم ياسنيور ·· اننى على استعداد للذهاب الى الكهف فى أى وقت ·· ثم أعود ومعى الضفادع دون أية مشقة ودون ان تصادفنى المتاعب ·

فقال القديس يسأله وهو يرميه بنظرة فاحصة نفاذة :

ـ أذن لماذا صادفتك المتاعب فى الرحلة السابقة ·· ؟

ـ هذا لان صيادى الرؤس البشرية رأونى مع اعضاء الرحلة « البيض » فاسترابو فى أمرى وتوجسوا منى ، ولذلك هاجمونا جميعا دون تفرقة وقطعوا رؤوسنا ، فلم ينج أحدا منا الا نحن الثلاثة .

وضحك لورو وجرى بيده على عنقه وهو يقول :

ـ ان رؤوس البيض ذات قيمة كبيرة عند هؤلاء الهمجيين ، أما رأس الهنود من أمثالى فتافهة لا شأن لها ·· اما فى هذه المرة فسأذهب وحدى دون ان يرافقنى احد ، وسأذهب عاريا متجردا من الثياب ، وبذلك لن ينظروا الى الا على اننى هندى لاشأن له ·· وسنكون أصدقاء ·· وبذلك لن يتعرضوا الى بالسوء ·

ـ اذن ما الذى اقعدك عن الذهاب حتى الان ‥ ؟ لماذا لم تذهب وحدك وتأتى بالضفادع ‥ ؟

ـ أوه ‥ هل فاتك ياسنيور ان هذا يقتضى مالا ؟

ـ يقتضى مالا ‥ ؟ لقد حسبتك صديقا لصيادى الرؤوس البشرية وعلى علاقة طيبة بهم ‥ ؟

ـ طبعا ‥ طبعا ‥ انهم أصدقائى ‥ ولكنهم سيروننى أذهب الى الكهف ، ثم يروننى أعود حاملا الضفادع ‥ وصيادو الرؤوس البشرية ليسوا اغبياء ‥ أنهم يعرفون قيمة الذهب ‥ وعند ذلك ينسون ما بينى وبينهم من صداقة ، وينقضون على يطلبون راسى

فقال القديس : ـ حيرتنى يارجل ‥ ! تقول تارة أنهم اصدقاؤك ، ثم تقول تارة أخرى سيقطعون راسك .. !

فقالت اليس : حدثه يالورو بتفاصيل خطتك أذكر له الطريقة التى تضمن بها أن لا يناصبوك العداء ·

ومال لورو فوق المنضدة ، واستند عليها بمرفقيه ، وقال فى لهجة عميقة النبرات :

ـ البنادق ياسنيور ‥ البنادق ‥

ـ البنادق ‥ ؟ أتنوى أن تطلق عليهم النار ‥ ؟

فضحك لورو واجاب : اطلق عليهم النار ‥ ؟ كلا ‥ ؟ كلا ‥ كلا ‥ ومن الذى يجسر على ذلك ‥ ؟ لو اننى اصطحبت معى نفرا من الجنود لسرقوا البنادق أو الضفادع أو كليهما · ولو أننى اصطحبت معى نفرا من الهنود لما أجدوا على بشىء فانهم لا يجيدون اطلاق النار ، فضلا أنهم سيبادرون الى الفرار بمجرد أن تقع أنظارهم على الصيادين ‥ ولكن لدى فكرة أخرى رائعة ·

ـ وما تلك الفكرة الرائعة ياترى ‥ ؟

ـ سأبيعهم البنادق مقابل الضفادع ٠٠ عملية مبادلة ليس الا ٠

ـ وهل تحسبهم يرضون بهذه المبادلة !؟

ـ بل سيرحبون ٠٠ ان صيادى الرؤوس البشرية فى حاجة الى البنادق ، فهى عندهم تعنى مزيدا من الرؤوس ٠

وقهقهه ضاحكا وهو يقول :

ـ ولكن رأسى لن تكون من بينهم على اية حال فكن مطمئنا ٠

فسأله تمبلان : وما عدد البنادق التى تحتاج اليها ؟

ـ خمسون ٠٠ مع الذخيرة طبعا ٠٠ انها تكفى تماما

فقالت اليس معترضة : ولكن هذا مستحيل ٠٠ لو أنك حاولت أن نشترى هذا القدر من البنادق لظنت الحكومة أنك تنوى القيام بثورة وسارعت الى القاء القبض عليك .. أنسيت كم عانينا من المتاعب والعقبات حتى استطعنا ان نستصدر ترخيصا لمسدسنا مع أنه من عيار ٢٢ !!

فضحك لورو فى استخفاف وقال : اعطينى المال آتيك بالبنادق فى غمضة عين .. ان لى فى هذه البلاد أصدقاء كثيرين من بين الثوار لديهم البنادق ، ولديهم الذخيرة ، وفى نيتهم أن يشعلوا نيران الثورة فى هذه البلاد ، ولكن طال انتظارهم لساعة الصفر حتى أدركهم اليأس فان زعماءهم مترددون فى القيام بحركتهم ، ولذلك بدأوا يبيعون ما لديهم من بنادق ويتخلصون منها ٠٠ ويمكننا أن نبتاع منهم البندقية بذخيرتها بمائتى دولار .

فقالت اليس : انها اذن ستكون صفقة خاسرة فهذا يقتضينا عشرة آلاف دولار ثمنا للبنادق .

فقال القديس معترضا : وكيف تكون صفقة خاسرة وقيمة الضفادع أضعاف مضاعفة ٠٠ ؟

وقال لورو : هذه هى الوسيلة الوحيدة التى تضمن بها الحصول على الضفادع فى أمان ٠٠ دون ان تقطع رؤوسنا ٠

وأشعل تمبلار سيجارة ، نفث منها عدة أنفاس متلاحقة وقال :

ـ وما الاجور الذى تريد لقاء قيامك بهذه المهمة ٠٠ ؟

فارتسمت على شفتى لورو ابتسامة اللص المغامر وقال وهو يهز رأسه فى استنكار :

ـ أجر ٠٠ ؟ وهل يمكن أن أتقاضى أجرا من السينوريتا ٠٠ ؟

نظر الى اليس فى وله وافتتان واسترسل يقول :

ـ أجرى هو رضاؤها عنى ٠٠ ! عندما يتمرغ الكلب على قدمى سيدته لا يطلب أجرا ، بل يكون سعيدا غاية السعادة ٠

فقال تمبلار : اذن اتفقنا ٠٠ غدا صباحا ستكون العشرة آلاف دولار بين يدى السينوريتا ٠

ونهض لورو واقفا وقد أشرق وجهه ، وانحنى فى احترام أمام الفتاة ، وقال :

ـ سأنصرف الان لالقى أصدقائى الثوار ، واتفق معهم على صفقة البنادق ، فالى اللقاء غدا ٠

ومالبث ان ابتلعه الظلام ٠

ونظرت اليس الى سيمون تمبلار بعينين حالمتين وقالت :

ـ مستر تومز يخيل الى انى فى حلم فى يقظة ما كنت

أتصور أن تنجح فكرتى الجنونية ··· أحقا سنحصل على الضفادع ·· ؟

فقال تمبلار : من سوء التقدير أن تسميها فكرة جنونية ، فانها على العكس فكرة حكيمة رائعــة ، ويسعدنى أن لورو قبل القيام بهذه المهمة رغم ما يحفها من الاخطار ·

فقالت : أنه شديد الاخلاص لابى ·· ولى طبعا الم أقل لك انه يعبدنى عبادة ·· ؟

فقال القديس ضاحكا لقد رأيت فى عينيه أنك ضفدعة الذهبى المعبود ·

ثم مالبث أن أردف : والان وقد اصبحنا شركاء فهل لديك مانع من أن تذكرى لى فى أية منطقة يقع الكهف الذى يضم الضفادع الذهبية · ان عندى خريطة هنا تبين هذه البلاد ؟

وأخرج الخريطة من جيبه وبسطها على المنضدة بينهما ، فأدنت أليس مقعدها من مقعده ، ولامست كتفه بأسلوب أرادت به أن تلهب دماءه وفاح عبيرها فى أنفه، ولكنه ظل صامدا لا يسكره شذاها ·

وأومأت بأصبعها الى الخريطة وقالت :

ـ هنا فى هذا الموضع ·· المدخل الشرقــى لقنــاة بنمـــا ·· وعلينا أن نستأجر قاربا فى هذه المنطقة .. نفس القارب ويسير به فى خذاء الشاطىء حتى تتجاوز جزيرة تابوجا ·· أعنى هذه الجزيرة ·· ثم ندخل الى النهر ونسير فيه ·· وهو نهر عميق ملىء بالمنحدرات والتعرجات .. ولورو خبير بمسالكه .. ونتابع مجرى النهر حتى نصل الى هذه النقطة .

ووضعت أصبعها على موضـــع معين من الخريطـــة وقالت :

ـ هذا الموضوع هو بداية منطقة صيادى الرؤوس البشرية ٠٠ وبذلك يكون الكهف هنا ٠٠ على مسافـة قصيرة من نقطة تفرع النهر ٠٠ جهة اليسار ٠

وجعل تمبلار يتأمل الخريطـة فى اهتمـام ، كأنمـا استحالت خطوطها السوداء الى احراش وادغال يتوارى فى احشائها الصيادون وقد شرعوا رماحهم وسيوفهـم يتربصون بالرؤوس انتظارا لكى ينقضوا عليها فيجزونها عن الاجساد ٠

وتألقت على شفتيه ابتسامة مشرقة وقال :

ـ الحق أن هذه الرحلة ستروقنى فانى مـولع بالمغامرات ٠

فقالت : ماذا تقول ٠٠ ؟ افى نيتك أن تشترك فى هذه الرحلة٠٠ ؟

وكانت فى صوتها نبرة من الارتياع ، وأجابها :

ـ أتحسبين أن من كان مثلى يمكن أن يتخلف عن هذه الرحلة وما تنطوى عليه من مغامرات مثيرة ٠٠ ؟

فقالت : بل اننى كنت أتوقع أن تشترك فيها ، فانك تبدو مغامرا جسورا ، وفى عينيك ومضات من الولع بالاثارة ، وكان هذا هو ما يثير مخاوفى فانى اكره أن تستهدف لاى خطر ٠٠ لا مانع لدى من أن تنضم الى الرحلة ،ولكن بشرط واحد هو أن لا تتجاوز فى مسيرتك الفرع الثالث من فروع النهر ٠٠ انك لست مواطنا هنديا كلورو ، والصيادون لن يبقوا على رأسك اذا لمحوك ٠٠ ولو أصابك سوء لمت كمدا ، فعدنى ان لا تتابع الرحلة الى نهايتها والا فسخت ما بيننا من اتفاق والغيت الصفقة ٠٠

وكانت فى عباراتها لمسة من الحنان ، وكانت نبرات صوتها تتهدج بالخوف والاشفاق ، ولم يكن هناك مفر من ان يرميها القديس بنظرات تنم على الافتتان ، فأذا كانت اليس « تمثل » عليه دورا معينا ، فلم لا يجاريها حتى يثبت لها انه هو أيضا ممثل عظيم •

وأجاب فى اقتضاب : انك على اية حال صاحبة الامر والنهى ، ولابد من الخضوع لكل ما تشيرين به .

فقالت فى صوت خافت : أني أخاف عليك •• ولمست يده بأصابعها فى رفق •

وسألها تمبلار : ولكنه كيف تبررين سفرك وغيابك أمام والدك ؟ ألا تداخله الشكوك فى الامر ؟

وكان الجواب حاضرا فى ذهنها لا يعييها البحث عنه •

قالت ، انك تعلم اننا حجزنا مكانا فى الطائرة للعودة غدا الى الولايات المتحدة ، فقد كان ؟ مشروعنا ، هذا مفاجأة لم ندخله فى حسابنا .. والراى عندى ان انتحل عذرا اتخلف به عن موافقة أبى فى رحلته .. والحجة الوحيدة التى تخطر ببالى الان هى ان اتظاهر بالمرض مثلا ، ولكن لو اننى فعلت فاغلب الظن انه سيلغى التذاكر ويعدل عن السفر ليبقى الى جوارى •

وفجأة اشرق وجهها وهتفت ، آه •• لقد اهتديت الى عذر بديع •• انه يعرف اننى ابحث عن وظيفة سكرتيرة متنقلة ، فهل يمكن ان انبئه انك عرضت على أن اعمل سكرتيرة لك ، هل يضايقك ان اقول له هذا ؟

فضحك القديس قائلا : اذا كان الامر على مثل هذه السهولة ، فأعتبرى نفسك سكرتيرتى منذ هذه اللحظة.

فاخذت بذراعه فى لمسة رقيقة والتصقت به وقد غلبها

الانفعال ، ثم همست : لو ان لورو وفق فى مهمته لاعفيك من هذا الارتباط ، ولالفيت نفسك حرا تختار السكرتيرة التى تشاء ٠

فقال باسما : وما ادراك اننى اريد منك ان تعفينى ؟ فلو خيرت لما طاب لى ان اختار سواك .. ومع ذلك فلندع الحديث فى هذا الشأن الى ان يحين اوانه ، وكل ما ارجوه الان ان تجوز هذه الخدعة على ابيك فيرحل وحده دون ان يستصحبك معه ٠٠ ولكن لا تنتظرى منى اى عون فى هذه المسألة فاننى ساكون متغيبا ٠

ــ متغيبا ؟ ٠٠ ماذا تعنى ؟

ــ انى مسافر صباح الغد الى كريستوبال فان لى صديقا من ضباط البحرية يعمل فى هذه المنطقة ، وقد دعانى الى قضاء يومين معه فى صيد السمك فى نهر شارج ، وقبلت دعوته ٠٠ لذلك لا يسعنى ان اتخلف عن لقائه ، ولكنى سأرجع يوم الجمعة القادم ٠٠ فاذا وجدتك قد تركت الفندق عرفت ان خطتنا قد فشلت ٠

فقالت فى لهجة حازمة : بل ستجدنى فى انتظارك ، وخلال هذه الفترة يكون لورو قد فرغ من شراء البنادق ٠

وقبل أن يغادرا المطعم قدم اليها شيكا بعشرة آلاف دولار قيمة نصيبه فى مشروع الضفادع الذهبية ٠

وعندما رجع بها الى فندقها وقفت عند الباب تودعه ، فقبلته مرتين : مرة على وجنتيه ، ومرة على شفتيه ٠٠ بيد ان قبلة الشفاة كانت سريعة خاطفة ، ولكنها حرصت ان تودعها من الدفء والحرارة مما يوحى بما ينتظره من قبلات نارية اذا تمت الصفقة بنجاح وحصلوا على الضفادع الذهبية ٠

وكان « ابوها » جالسا فى مخدعه ينتظرها وقد استبد به القلق • ودخلت عليه مشرقة الوجه متهللة الاسارير ، فما أن طالعته بابتسامتها حتى تبين فى ملامحها انها وفقت فى مهمتها •

واقبلت عليه تقول ، لقد نجحنا •• لقد نجحنا •• ان الطبخة قد نضجت •

ــ حقا ؟

ــ نعم •• لقد سارت الامور على ما تهوى ، طبقا للخطة الموضوعة •• بل انه راحل غدا صباحا ليمضى بضعة أيام فى صيد السمك ، ولذلك لن يزعجنا بمرافقتك حين تتظاهر بانك ذاهب الى المطار •

فقال البروفيسور فى انزعاج : مسافر غدا •• ولكن متى يدفع الينا المال ؟

فضحكت وهى تبرز الشيك من حقيبتها ، وقالت :ــ لقد دفعه فعلا •• وها هو ذا الشيك معى •

وتناول منها الشيك فى لهفة وجعل يتأمله بأرتياح وقال : هذا رائع ! •• اذن فقد وقع بسهولة •

ــ لقاء قبلة واحدة •

فقال نستور فى شك وارتياب : قبلة ليس الا ؟ •• اليس هناك شىء أخر ؟

ــ ليس بعد •• ليس بعد •

فهز كتفيه فى غير مبالاة وقال فى استسلام : ومهما يكن فانه يستحق اكثر من قبلة ! •• غدا ساسافر الى سانتا كلارا واتوارى هناك ريثما يرحل مستر تومز ، حتى اتفادى ان يلتقى بى صدفة •• هذه حيطة لابد منها •

وسانتا كلارا مصيف صغير يقع على شاطىء المحيط، ولا ينزل به الا موظفو القنال ، وقلما يغشاه السائحون ، بل لعلهم لم يسمعوا به من قبل ٠٠ وكان من عادة البروفيسور ان يلوذ به بعد ان ينصب شباكه حول ضحيته ، حتى اذا أدركهم اليأس من الاعداء الى مخبأه رحلوا عن البلاد قانطين ٠

وقالت اليس : ولكن ستواجهنا بعض المتاعب هذه المرة ، فانه مصر على مرافقة لورو فى رحلته ٠٠ بيد اننى اقنعته بأن لا يتجاوز الذرع الثالث للنهر ، حتى لا يستهدف لهجمات صيادى الرؤوس البشرية ٠٠ وهذا معناه انه لابد لى من مرافقته واحتمال مشقات هذه الرحلة المضنية ، واسوا ما فيها أن أحس بالبندقية معلقة على كتفى حتى لتكاد تنخلع ذراعى من ثقلها .

هذه متاعب المهنة يا عزيزتى ، ولا مفـــر من أن تجرعى الكأس حتى ثمالتها ٠

فقالت ضاحكة : الذى يعيننى على الاحتمال هو انى سأجد فى ثمالة الكأس عشرة آلاف دولار ٠٠ ومع ذلك فسأحاول ان اغريه بالعدول عن مرافقة لورو ، وارجو أن أوفق الى شىء الهيه به عن السفر .

فتأمل نستور زوجته وقال : انى ارى طلاء شفتيك مشوها ، فلعلك وجدت هذا « الشىء » الذى سيلهيه عن متابعة الرحلة ٠

ــ قلت لك ليس بعد ٠٠ فحتى هذه اللحظة لم يظفر منى الا بقبلة واحدة ٠

ــ انها البداية على اية حال ٠

ــ هل تنهش الغيرة قلبك ؟ ٠٠ اذا كان الامر كذلك

فابحث عن امرأة سواى تشركها فى الاعيبك ، أم لعلك تحسبنى راضية عن الاقامة فى هذه المجاهل بعيدة عن الترف والرفاهية !



ومر يومان ، وحل يوم الجمعة الموعود ، ولـــكن سيمون تمبلار لم يعد على الفندق ، ولم تلق منه أى رسالة تليفونية .. وبدأ القلق يستبد بها ، فقد كان لابد من عودته حتى تنتهى الخطة المرسومة الى نهايتها المقـــــررة .

واخيرا ـ قبيل المساء ـ سمعت صوته عبر الاسلاك فقالت له فى صوت تنم نبراته عن الغضب : اين كنت يا مستر تومز ؟

فقال فى رقة : كنت مشغولا .. انك تتكلمين بلهجة الزوجة الحانقة .

فاستردت هدوءها على عجل وقالت : آسفة .. آسفة جدا .. ولكن القلق بدا يراودنى .. فبعد رحيل ابى ، وتخلفك عن العودة مبكرا ، بدأت اندم على بقائى ، اذ حسبتك لن تعود ، واخذت ارمى نفسى بالحماقة .

فاهتزت الاسلاك بضحكته المرحة وهو يقول : شيئان لا اقوى على الصمود امامها : حسناء ذات شعر اشقر ، ووسيلة هينة للحصول على المال .. وبهذه المناسبة ما الذى فعله لورو ؟ .. هل وثق فى مهمته ؟

ـ لقد اتصل بى اكثر من مرة ، وقد انبأنى انه استطاع ان يحصل على البنادق والذخيرة المطلوبة .. ولكن أصدقائه يستحدثونه على سرعة موافاتهم بالثمن .

ـ اذن عليك ان تبادرى الى البنك فى الصباح الباكر لكى تصرفى الشيك ٠

فقالت تسائله : ولكن ما الذى شغلك حتى تأخرت فى العودة الى حين حلول المساء ؟



ـ آه ٠٠ ان لدى نبأ عظيم ٠٠ لقد وقعت على مشروع آخر اضاعف رصيدى فى البنك عشرة مرات ، وسأنبئك عندما نلتقى ٠٠ هل اراك الليلة فى السابعة مساء لنتناول العشاء معا ؟

وظلت الى ساعة اللقاء تسائل نفسها عن سر هذه الصفقة الجديدة التى اشار اليها مستر تومز فى حديثه التليفونى .. أتراه صادقا فى حديثه ، أم أنه يتهكم عليها ويريد أن يقول ان رصيده سيزداد لانه سيسترد العشرة آلاف دولار ؟ ٠٠ ايكون قد التقى بنفر من الاصدقاء حدثوه بما بذر فى نفسه بذور الشك فى قصة البروفيسور ؟ .. أتراه قد عرف مثلا أن ليس فى هذه البلاد احد من صيادى الرؤوس البشرية ، وان الغابات والادغال آمنة لا تنطلق فيها رصاصة واحدة غادرة ؟ ٠٠ اتراه قد عرف أن « الضفادع الذهبية » اسطورة كاذبة ليس لها ظل من الحقيقة ؟

وجاء تمبلار الى لقائها ، وتبين اللهفة فى قسمات وجهها ، فابتدرها بقوله : لقد ذهبت الى صديقى لصيد السمك ، ولكن شباكى اطبقت على ما هو خير من ذلك ٠٠ ان صديقى ضابط طيار فى البحرية الامريكية ، وهو مقيم فى بنما مع اسطوله ٠٠ ولكنه غير قانع بمهنته ، وانما

تراوده احلام الثراء العريض ‧‧ ولكم تمنى ان تهبط به طائرته هبوطا اضطراريا على منجم من الذهب او الفضة او الماس ، حتى يكون له فضل الاكتشاف اخيرا فيصبح من اصحاب الملايين ‧‧ وقد تخلى اخيرا عن الذهب والماس ، ولم يعد يحلم الا باليورانيوم ‧‧ ولذلك يحمل فى طائرته دائما جهاز لقياس الاشعاعات ، وهو يمنى نفسه بأن يتذبذب الجهاز فجأة وهو فوق هذه المجاهل غير المأهولة ، فيعود الى اصحابه وهو يهتف بهم : « لقد اصبحت صاحب منجم لليورانيوم ! » ‧

فقالت تسأله : وهل عثر على اليورانيوم ؟

ـ ليس بعد ، ولكن الاحلام ما زالت تغزو ذهنه ‧‧ وقد ذكرت له عندما التقينا اننى جئت الى هذه البلاد ابحث عن الذهب لعلى اكتشف منجما خفى امره عن الناس ، واننى وشيك خلال ايام قليلة بأن اقوم برحلة الى مجاهل بنما واحراشها ‧‧ ولكنى لم احدثه طبعا عن الضفادع الذهبية ، فهذا سرنا الذى احرص على كتمانه ‧

فابتسمت فى وجهه وقالت : حسنا فعلت ‧

ـ اتحسبيننى من الغفلة بحيث افشى هـذا السر الخطير ؟ ‧‧ وقد اخبرنى صديقى الطيار بأن القوانين فى هذه البلاد تقضى بأن من حق الدولة أن تستولى على اى منجم يكتشفه الناس ، الا اذا كان المكتشف قد حصل على حق الاستغلال ‧

فقالت فى استغراب : حق الاستغلال ؟ ‧‧ اننى لم اسمع بهذا من قبل !

ـ حق الاستغلال هو عقد قانونى يبرمه الباحث مع الحكومة ، وبمقتضاه تصرح له بالبحث عن المعادن فى منطقة معينة ، وخلال مدة معينة ‧‧ فاذا اكتشف منجما كان له الحق فى استغلاله لقاء اتاوة يدفعها الى الدولة ،

فان لم تمنحه الحكومة حق استغلال ذهبت جهــود المكتشف هباء ، اذ يكون من حق الدولة أن تستولى الحكومة على المنجم دون ان ينال المكتشف لنفســه شيئا ٠٠ وقد نصحنى صديقى بأن اشترى حق الاستغلال لقاء الف دولار ، ولذلك أمضيت الايام الماضيه اتردد على مكاتب الحكومة حتى وفقت اخيرا الى الحصول على حق الاستغلال ٠٠ انظرى ٠٠ ها هو ذا العقد ٠

وأخرج من جيبه ورقة كبيرة الحجم مكتوبة على ورق سميك باللغة الاسبانية ، وراحت اليس تنظر فيها دون ان تفقه منها حرفا ، اذ كانت لا تجيد الا اللغة الانجليزية ٠٠ ولكنها استطاعت ان تفهم شيئا واحدا ، هو ان الوثيقة مشحونة بالاختام ، ومذيلة بتوقيع سبستيان ٠

وقالت تسأله : وما مضمون هذا العقد ؟

فأجابها القديس : بـغض النظـر عن المقدمـات والاصطلاحات القانونية ، يقول العقدان حكومة بنما قد منحت تومز سبتستيان حق البحث والتنقيب عن المعادن فى منطقة النهر لمدة عشرة أيام ، مقابل اجر قدره مائة دولار عن اليوم الواحد ، ومن حقه ان يمد هذه المدة ثلاثة شهور ٠٠ فاذا اكتشف شيئا من المعادن كان من حقه ان يستغلها لحسابه ويبيعها فى الاسواق ، على ان يمنح الدولة ما قيمته ٣٠ فى المائة من قية المســتخرجات ، وذلك لمدة خمس سنوات تؤول بعدها ملكية المنجم الى الدولة ٠٠ واعتقد ان هذه الايام العشرة كافية تماما للاستيلاء على الضفادع الذهبية دون ان تنــازعنا الحكومة فى ملكيتها ، ولولا هــذا العقد لتعرضنا للمتاعب ، اذ قد تزعم السلطات المختصة انه ليس لنا الحق فى الاستيلاء على الضفادع الذهبية .

فقالت اليس وقد اشرق وجهها : الحق انك ذكى لا

يفوتك شيء ، فقد كان من الجائز أن تصادر السلطات ضفادعنا .. اما الان فاننا لن نخشى شيئا من هـــذا القبيل .

فقال يسالها : وما الذى تم بشأن الرحلة ؟

ـ لقد اعددت القارب ، والبنادق رهن اشارتنا بمجرد ان ندفع ثمنها ٠٠ فهل تحب ان نرحل صباح الغد ؟

ـ فليكن ٠٠ فانى لا اطيق صبرا على لقاء ضفادعى المحبوبة .

ـ ٤ ـ

كانت رحلة لورو الى لقاء صيادى الرؤوس البشرية مشهدا تمثيليا رائعا ، ينبغى ان يقدر عنه اجر يدفعه المشاهدون ، فقد خلع عنه بنطلونه وقميصه ، وجاء عارى الجسد لا يستره الا قطعة من جلد النمر تدور حول وسطه ، وقد عقص شعره وراء راسه ، وطلى وجهه بالوان زرقاء وحـمراء ورشق فى قبعتـه ريش ابيض اللون .

وكان هذا الزى العجيب من وحى افكار البروفيسور نستور . الذى اراد ان يضفى على التمثيلية التى اعدها جرا سحريا حتى يتردى « الضـحيـة » فى الشـرك مبهورا ٠٠ مغمض العينين .

وقد لقن البروفيسور هذا الهندى دوره فحدقه فى اتقان وتدرب عليه ، وكان سعيدا بان يعمل تحت رئاسة البروفيسور ، موقنا انه بذلك يستطيع ان يربح اضعاف ما كان يتوقع لو انه عمل وحده لحسابه الخاص .

وكانت بالقارب لفافات ضخمة مربوطة باحكام ، قال

عنها لورو أن فيها البنادق التى سيقدمها الى صائدى الرؤوس البشرية ، وشهدت اليس انها فحصت اللفافات وتأكدت مما فيها ، وانها عاونت لورو فى لفها وربطها بعد أن قدمت اليه العشرة آلاف دولار ثمنها · ولكنها ـ بطبيعة الحال ـ كتمت عن تمبلار انهـا دفعت للورو ألف دولار لقاء قيامه بدوره التمثيلى ، وانها اقتسمت الباقى مع زوجها ·· او ابيها ان شئت ·

وكان من رأى لورو ـ وقد ظفروا بالمال ـ ان يبادروا الى الفرار ، ولكن البروفيسور عارض هذا الرأى ·· فلو أنهم هربوا لاستحال عليهم بعد ذلك أن يقوموا بمغامرة جديدة ، ولا ضطروا ان يغادروا البلاد هاربين من رجال الشرطة ·· واقتنع لورو بأن لدى البروفيسور خطة اخرى يستطيعون عن طريقها أن يعاودوا نشاطهم مرة بعد مرة دون أن يتعرض لهم البوليس بسوء .

وقال لورو : اذن ينبغى أن نتخلص من هذا الامريكى بمجرد مغادرتنا المدينة ·· فاذا ما اوغلنا فى النهر فاجأته بضربة على رأسه تفقده الرشد ، وعندئذ أشده الى احدى اللفافات وأقذف به الى اعماق النهر ·· فقد كانت اللفافات خالية من البنادق ·· محشوة بالاحجار ·

وقال البروفيسور معترضا : وهل تحسب ان قتل احد السواح مسألة هينة يمكن ان تمر ببساطة؟ ·· لو انك قتلته يا لورو لانقلبت الدنيا رأسا على عقب ، ولجندت السلطات كل شرطتها عن البحث عن القاتل ·· وثمة مسألة اخرى : اذا احتلت على احد المغفلين ، فالمتعة الكبرى هى ان تراه مطمئنا اليك واثقا من انك لم تخدعه ·

ـ ولكن كيف السبيل الى هذا ؟ ·· امن الممكن ان لا يفطن الى اننا خدعناه واحتلنا عليه ؟

ـ هذه مسألة هينة ٠٠ فاستمع الى ٠

ومضى البروفيسور يشرح للهندى خطته ، ويبين له تفاصيل الدور الذى سيقوم به ٠

واقتنع لورو برأى زعيمه ، ولكن التردد ما لبث ان خالجه وهو على ظهر القارب ٠٠ فاغتنم فرصة خلا فيها الى اليس وقال : وما الذى يدعونا الى ان نضيع الوقت ؟ .. اليس من الافضل ان اهاجمه الان ونقذف به الى اعماق النهر ؟ ٠٠ ان خنجرى حاد يمكن ان يفصل رأسه عن جسده فى لحظات ٠

فأخذتها الرعدة وقالت معترضة فى صوت حازم :

ـ لا تفعل شيئا من هذا يالورو ٠٠ اياك ان تخالف تعليمات البروفيسور ، فأنه قدير على وضع الخطط المحبوكة ٠٠ اضف الى هذا ان مستر تومز حصل على تصريح من الحكومة بالبحث والتنقيب ، ولا شك أن كثيرون يعرفون أنه خرج الى الغابات والادغال .٠ فلو انك قتلته لا نطلق رجال الشرطة يبحثون عن قاتله ، وبذلك نقع فى المآزق والمتاعب ٠

فقال لورو فى استسلام : أنت الزعيمة فمرى بما تشائين ٠

واقبل عليهما تمبلار فى هذه اللحظة فكفا عن الحديث ، ولكن لم يفت على ذكائه انهما كانا يتحدثان عن الطريقة التى يخلصان بها منه ، غير انه كان على يقين من أنهما لن يمساه بسوء ٠٠ فالحيلة التى ابتدعها عن حصوله على عقد بحق البحث والتنقيب ، كفيلة بأن تردهما الى الحذر والحيطة ما داموا يعرفون أن السلطات المختصة على علم بتحركاته ٠٠

وقال لورو : سنمضى الان فى مسيرتنا فى النهر مسافة

قصيرة ، فلنقل ميلا واحدا ، وبعد ذلك اغادر القارب وحدى ومعى البنادق وأذهب الى صيادى الرؤوس البشرية فى المنطقة التى يعشون فيها ، فأقدم اليهم البنادق ثم أعود اليكم صباح الغد بالضفادع الذهبية .

فقالت أليس وفى صوتها ما ينم عن القلق والانزعاج:

ــ ولكن كن على حذر يالورو .

فقال ضاحكا : انى حذر دائما فاطمئنى .. ان الصيادين أصدقاء لى ومحال أن يمسوا هنديا بأذى .. أنهم يكرهون البيض ويجززون رؤوسهم أما الهنود فلا .

ثم تحدث الى صاحب القارب بلغة أهل البلاد ، والقى اليه بتعليماته ، وكان الرجل يمت الى لورو بصلة القرابة ، وكان قبل أن ينضم الى العصابة صيادا شريفا ، ثم جرفه التيار فانقلب لصا يعمل تحت أمرة لورو .

وطلب اليه لورو أن يرسو بالقارب ،ثم تعاون الرجلان معا على انزال شحنات البنادق الى البر ثم وثب لورو الى الشاطىء ، وانطلق القارب من جديد يتابع رحلته ، ووقف لورو يلوح بيده مودعا حتى اختفى القارب عن ناظريه .

ووقف تمبلار على ظهر المركب الى جانب أليس وقد ران عليه الصمت يرقب الارض الخضراء التى تمتد على مجرى النهر .. وبعد قليل حول البحار الدفة الى الشاطىء مرة أخرى وأوقف المحرك ، ثم ألقى المرساة .

ونظر تمبلار الى أليس وقال وقد زوى ما بين عينيه مفكرا : هناك شىء يحيرنى ولا أعرف له تفسيرا .. لقد ذكرت لى أنه فى رحلتك السابقة هاجمكم صيادو الرؤوس البشرية وقتلوا جميع من كان معكم من الحمالين ، وأنك اضطررت أنت والبروفيسور ولورو أن تعودا أدراجكم

هاربين ، فظللتم تضربون فى الادغال والاحراش يومين كاملين حتى وصلتم الى شاطىء النهر · فركبتم القارب ونجوتم بأنفسكم ·· فالذى يحيرنى هو أننى سمعت من لورو الان أنه سيصل الى منطقة للصيادين فيعطيهم البنادق ويأخذ الضفادع ثم يعود الينا صباح الغد ·· فكيف اذن قطعتم المسافة فى يومين كاملين ، فى حين أن لورو سيقطعها خلال بضع ساعات ؟

وكان السؤال الذى القاه تمبلار اليها كفيل بأن يثير ارتباكها لولا ما طبعت عليه آليس من سرعة البديهة وحضور الخاطر ، اذ أجابته على الفور دون أى تردد :

ــ فى المرة السابقة لم نكن نعرف موقع الكهف المخبأة فيه الضفادع الذهبية فأخذنا نضرب فى الغابة هنا وهناك ، نستكشف الارض حتى اهتدينا الى الكهف · أما عند فرارنا فلم نشأ أن نسلك السبل المطروقة حتى لا يهتدى الينا صيادو الرؤوس البشرية ، بل اخذنا ندور ونلف ونتوارى داخل الاحراش حتى بلغنا النهر ، ولذلك كان لابد لنا ان تقطع المسافة فى فترة أطول من المألوف.

واعجب القديس بذكائها وقدرتها على التخلص من سؤاله الحرج ·

وقال القديس : انك على حق ·· وكان ينبغى ان ادرك هذا من تلقاء نفسى ·

ولم تشأ آليس وقد تخلصت من هذا المأزق أن تستهدف مرة أخرى لمثل هذه الاسئلة المربكة ، فقالت وهى تنشد أن تصرفه عن التفكير فى سؤال آخر :

ــ لم لا نتسلى قليلا بصيد السمك ·· ؟ لقد أخبرنى لورو أن هذه المنطقة من النهر حافلة بأنواع عجيبة من السمك ·

ولكن لم تكن بتمبلار رغبة فى صيد الاسماك ، اذ كانت عيناه تجولان بالشاطىء وتتفحصان مشارف الغابة فى اهتمام ، كمن يبحث عن شيء معين ٠

فقال لها :

ـ فلندع الصيد الان فانى أريد أن أتجول فى هذه المنطقة قليلا ، ولنتناول الان الطعام ، ثم نذهب معا نجوس خلالها ، فما يليق بعد أن أعود الى بلادى أن أقول لاصحابى أننى جئت الى هذه المجاهل فلزمت القارب أصيد السمك ٠ بل يجب أن أحدثهم عن مغامراتى واننى نزلت الشاطىء اجوس الغابة ، وبهذه المناسبة يجب ان نأخذ معنا البندقية فقد نوفق الى صيد ثعلب أو ذئب ٠

واذا فرغا من الطعام قال لها : والان هيا بنا ننزل الى النهر ، وهاتى البندقية معك ٠

وتمنت لو أنها اعتذرت عن مرافقته ، ولكنها خشيت أن يستريب فى الامر ، فغابت فى كابينة القارب لحظات ثم عادت تحمل البندقية الثقيلة مشدودة الى كتفها .

وانقضت أربع ساعات ٠

اربع ساعات كاملة وهما يسيران معا على الشاطىء حتى ادركها التعب ، وكادت تخر منهارة لفرط الاعياء ٠٠ أربع ساعات وهى تمشى الى جواره تغوص قدماها فى الاوحال فتقتلعها فى عناء وتعب ٠٠ وها هى ذى تتعثر فى الحجارة والصخور حتى لتكاد تنكفىء على وجهها ، والاغصان تتشابك من حولها وهى تشق طريقها فى وسطها فتخدش سيقانها وذراعها ، وتعلق بشعرها . وليت الامر اقتصر على هذا ، فهذه البندقية مشدودة الى كتفها تكاد تنوء تحت ثقلها ٠

ولم يكن فى وسعها أن تشكو وتتذمر ٠٠ الم تزعم له أنها فى رحلة الفرار قضيت يومين كاملين تضرب فى هذه

الارض بلا نوم أو طعام أو شراب ، فكيف تشكو الان وهى لما تمض الا ساعات قليلة ·· لو أنها تذمرت لداخلته الشكوك فى روايتها السابقة ، وهى لا تريد منه أن يرتاب فى أمر من الامور والا انكشفت الخدعة وعرف أنه كان ضحية مكيدة مدبرة ·

وظلت اليس تتابعه فى سيره دون تردد ، فاذا أسرع الخطى أسرعت فى أثره ، واذا تباطأ هونت معه من خطوها ، وقد أدركها الاعياء والتعب ·

وكانت تراه من حين لاخر ينحنى على الارض ويلتقط حفنة من الحصى أو التراب ، يقلبها بين يديه وهو يتأملها فى اهتمام .. وكانت تعجب لامره ولا تدرى تعليلا لما يفعل ·

وأخيرا لم تطق صبرا فقالت تسأله :

ـ ماهذا الذى تفعل ؟

فأجابها ضاحكا : ألم انبئك ياعزيزتى من قبل أننى مغامر أهوى المضاربة ·· اذا كنت قد حسبت أن ضفادعك الذهبية وحدها هى التى أغرتنى بالمساهمة فى مشروعك فأنت مخطئة فى هذا ، فان لدى انا أيضا مشروعاتى الخاصة بى ·· لقد فكرت فى الامر طويلا فى نفسى : ان عبدة الضفدع قد صنعوا لمعبودهم هذه الايقونات والتماثيل الذهبية ، فمن أين أتوا بالذهب اذن ·· لابد أن فى هذه المنطقة منجما للذهب لا ندرى مكانه .. ! اذن فالاشتراك فى حملة البحث عن كهف الضفادع الذهبية حتى تتاح لى فرصة أجوب خلالها هذه المنطقة وأبحث عن منجم الذهب ، ولذلك ترينني افحص الحصى والتراب من حين لاخر فقد أجدها مختلطة بالتبر

فقالت أليس وما يدريك أنك ستعثر على المنجم ؟

ـ أنني لن أخسر شيئا على أية حال ٠

وظل تمبلار يتابع سيره ، واليس ماضية فى أثره مجهدة مفككة الاوصال ، وهو مازال منكبا على فحص الحصى والتراب ٠

واخيرا قالت له : لقد اوشك الظلام ان يحل ، فينبغى ان نعود أدراجنا قبل هبوط الليل ٠

وقال تمبلار : كما تشائين ٠٠ اذ يبدو أن الحظ خانني فلن أعثر على منجم الذهب ٠

واستدارا راجعين الى القارب .

وحين صار منه على مسافة غير قصيرة هتف القديس :

ـ اليس ٠٠ انظرى ٠٠ !

ورمت ببصرها الى حيث يشير ، وأخذت عيناها صخرة قريبة تلمع وتتألق تحت ضوء الشمس .

وجرى تمبلار الى الصخرة والتقط حجرا صغيرا ملقى الى جوارها ومضى يفحصه فى اهتمام وهرعت اليه أليس ووقفت الى جانبه ترقب الحجر وهو يقلبه بين يديه ٠

وكان واضحا أن الحجر مختلط بتبر الذهب ٠

ودار تمبلار ببصره فيما حوله ، وأمأ الى حجر ثان ، ثم الى حجر ثالث ٠٠ كانت الحجارة متناثرة على الارض حوله ، وكلها تتألق وتلتمع تحت أشعة الشمس ، فلم يكن هناك شك بعد ذلك فى أن هذه الحجارة مختلطة بالتبر ٠٠ اذن فقد عثروا على منجم الذهب ! ٠٠

ووقفت اليس تتطلع الى ما حولها مبهورة الانفاس ، جاحظة العينين ، وبدأ انها توشك ان تنهار وتسقط ارضا لهول المفاجأة ، اذ بدأت تترنح فى وقفتها ، فبادر اليها تمبلار يسندها وهو يقول :

ـ هدئى من روعك ياعزيزتى تماسكى ٠٠ ارجوك ٠٠

نعم ·· هذا هو منجم الذهب المنشود فلنحمل معنا الان حفنة من هذه الحجارة على سبيل التذكار ، وبعد ذلك ابدأ فى استغلال المنجم ·

فقالت : ولكن القارب لن يتسع لكل هذا ·

فقال ضاحكا : القارب ·· ؟ أحسبت يا عزيزتى اننى أفكر فى القارب ·· ؟ الا تدركين أن هذا منجم الذهب ·· ان ما يستخرج من الذهب فى يوم واحديمكن أن يملا عدة قوارب ·· أنه مشروع ضخم يحتاج الى راس مال كبير ·· اذ لابد لنا من آلات الاستخراج وآلات التصفية لفصل الذهب عن التراب والحصى ··

فقالت تسأله وهى ما زالت مشدوهة زائغة العينين :

ــ أهو مشروع كبير الى هذا الحد ·· ؟ اذن فقد تحققت أحلامى ·

ــ انى خبير بالمناجم يا عزيزتى .. وأعرف مما رايت أن لا قبل لى وحدى بتمويل هذا المشروع اذ لابد من تكوين شركة كبيرة تدير المشروع وتتولى استخراج الذهب ، وبطبيعة الحال سأساهم فيها بكل ما لدى من مال ، ثم الوذ ببيتى مطمئنا ، أنتظر المال وهو يتدفق بين يدى·· لقد أصبحت من أصحاب الملايين ·· والان هيا بنا الى القارب حتى نشرب كأسا احتفالا بهذا النصر ·

ورجعا الى القارب ، وأليس غارقة فى الصمت لا تتكلم ، فقد شتت المفاجأة ذهنها ، واذهلها هذا الثراء المفاجىء الذى هبط عليها من السماء ، وجعلت تشحذ ذهنها علها تهتدى الىوسيلةتجعلها شريكة لمستر تومز فى منجم الذهب الذى اكتشفه ·

وقالت له وقد استقرا فى القارب :

ــ سآخذ دشا باردا فأرجوك أن تعد شرابا ريثما

أفرغ من الاستحمام ٠
وانساب الماء البارد على جسدها ، وانعش ذهنها ، وبدأت تجمع شوارد ذهنها فلما اقبلت عليه متهللة الاسارير مشرقة الوجه ، ناولها كأسها وهو يقول :
ــ انه بلا شك منجم غنى وفير الذهب ، ومما يؤسف له أن صيادى الرؤوس البشرية طاردوكم فى الرحلة السابقة ، والا لعثر البروفيسور على هذا المنجم أثناء تجواله ولعدوتم من أصحاب الملايين .
فقالت وعلى شفتيها ابتسامة تتالق بالفتنة والاغراء :
ــ من محاسن الصدف أننا سألناك أن تلتقط صورتنا والا لما قدر لك أن تعثر على هذا المنجم ٠
ثم لاذت بالصمت لا تسعفها بديهتها على عبارة تطرق بها الهدف الذى يتردد فى ذهنها ٠
ورفع القديس كأسه فى يده يلوح به ، وقال :
ــ فلنشرب نخب لورو المغامر الجسور .. !
وأفرغ الكأس فى جوفه ، ثم مضى يرقبها بنظرة فاحصة ، محاولا أن يسبر غورها ، وأن ينفذ الى ما يجول فى أعماقها .
وعادت اليس تبتسم من جديد ، وقالت :
ــ يجب أن نسوق الخبر الى أبى فى حرص وحذر ، والا ذهبت المفاجاة بلبه ٠
وتأملها تمبلار برهة ثم قال :
ـ معذرة اذا سألتك سؤالا صريحا ، فانى أخشى أن يكون هناك لبس فى الموضوع ٠٠ لقد خيل الى أنك تعتقدين أننا شركاء فى هذا المنجم ٠٠ ؟
فقالت : أو لسنا شركاء ٠٠ ؟
فلاحت على شفتيه ابتسامة ساخرة وقال :

ـ هل أنت جادة فيما تقولين ٠٠ ؟ ان شركتنا لا تنصب الا على شىء واحد : الضفادع الذهبية ٠٠ هذا ما اتفقنا عليه ٠٠ سأمول الرحلة فاذا وفقنا الى العثور على الضفادع كان لى نصفها .. أليس هذا هو الاتفاق الذى عقدناه ٠٠ ؟ فما شأن المنجم اذن بهذه الضفادع ٠٠ ؟

فقالت وقد تصلب فكها وان جاهدت أن تكتم غضبها :

ـ ولكن أتنكر أنه ما كان ليتهيأ لك ان تستكشف المنجم لولا أننا أحضرناك الى هذه المنطقة ؟ لو أنك لم ترافقنا فى هذه الرحلة لما اكتشفت المنجم ٠

ـ هذا صحيح ٠٠ ولكن قياسا على هذا المنطق يمكنك أن تقولى اننى لو لم أذهب الى البار أتناول كأسا لمـــا تقابلنا ، ولكن ليس معنى هذا أن الساقى أصبح شريكا لنا .. اننى يا عزيزتى رجل مغامر أهوى المضاربة ، وقد سبق أن ذكرت لك اليوم فى عبارة واضحة صريحة أن هدفى من وراء الرحلة ليس الضفادع الذهبية وحدها ، فقد صارحتك بأن لى هدف آخر وان لم أبينه لك ، والمنجم هو هذا الهدف الذى أعنيه ، فقد كنت أتوقع أن أعثر عليه ٠٠ ولذلك لا مفر لى من أن أعتبر أننى وحدى مالك هذا المنجم ، وليس لك حق المشاركة فيه ، ولذلك أرجوك أن تنسى أنك أصبحت من أصحاب الملايين ٠

ورمته بنظرة غاضبة شزراء ، ولو تركت الى سجيتها لهشمت كاسها فوق رأسه ٠

ولكنه تغاضى عن نظرتها التى تشف عن الغضب والحقد ، وتشاغل يملأ كأسه من جديد ٠

وفجأة ٠٠ تعالت ضجة هادرة ، صادرة من أعماق الغابة ، وتجاوب بها الافق كأنها هزيم رعد يدوى فى أرجاء المكان ٠

وهتف القديس : أسمعت هذا الدوى ٠٠ ؟ ما هذا يا ترى ٠٠ ؟

فأجابت وفى صوتها نبرة من الخوف :

ـ هذه هى الطبول ٠٠ !

وهرعا الى ظهر المركب يستطلعان الامر ، فوجدا أن الربان قد سبقهما ، وفى يده بلطة يقطع بها الحبال التى تشد المركب الى الشاطىء ، وكان الهلع باديا فى وجهه.

وأخذت المركب تنساب على سطح الماء فى هوادة ولين ، وأشجار الغابة تقوم على الشاطىء وقد غشيها الظلام لولا قبس ضئيل ينعكس عليها من ضوء القمر الباهت ٠

ومن أعماق الغابة كانت تنبعث دقات الطبول ، كأنها صرخات مارد عملاق يهز الارض والسماء ، فتمتد وتنتشر فوق الافق ، ثم تتلاشى بعيدا ، وتعود من جديد تتدفق من جميع الارجاء ٠

وقال القديس : يبدو أن لورو وزع براميل الخمر على صيادى الرؤوس البشرية ، فذهبت بلبهم وأقاموا حفلا صاخبا ٠

وتعلقت آليس بذراعه ، وتعمدت أن تلصق جسدها بجسده حتى تشعره بأنها ترتجف ، وقالت وقد أخذتها رعدة جارفة :

ـ كلا ٠٠ أنه ليس حفلا للبهجة والمسرات ٠٠ أنه نذير شر مستطير ٠٠ أنهم لا يدقون الطبول فى احتفالات السرور ، بل يدقونها عندما يتعطشون للدم ٠٠ هذه طبول الموت والرؤوس المجزورة ٠٠ لقد سمعتها من قبل ، ومحال أن أنسى ٠٠ !

وأخذتها الرعشة من جديد ٠

وقال ربان المركب : هذى هى طبول الموت ، ولذلك

قطعت الحبال وانطلقت بالقارب هاربا ٠
وشقت المكان صرخة رعب حادة ، طافت فوق الرؤوس وتجاوبت بها الاصداء ، حتى لكأن كل ركن فى الغابة يصرخ ويستغيث ، وفجأة انبترت الصرخة وسكنت ، وما عادت تتردد من جديد ٠
وهتفت اليس وهى تنشج بالبكاء:
ـ يا الهى ٠٠ ! ما هذا ٠٠ !
وهم تمبلار بأن يبتعد عنها ، ولكنها تعلقت بذراعه وقد أدركت مقصده ، وهتفت به :
ـ كلا ٠٠ كلا ٠٠ محال أن أدعك تنزل الى البر ٠٠ ما الذى تستطيع أن تفعل ٠٠ ! محال أن أجعلك تستهدف الى الموت ٠
وبدأت تتراءى لانظارهم أضواء تتألق فى الغابة .
تبدت لهم مجموعة من المشاعل يحملها نفر من الرجال عراة الاجساد ، وهم يهرعون صوب الشاطىء صارخين مهللين ، وقد أخـــذتهم حمى الرقص فجعلوا يقفـــزوا راقصين ٠
وقالت اليس وقد احتواها الفزع :
ـ رباه ٠٠ ! هؤلاء هم صيادو الرؤوس البشرية ٠٠ ! لا شك أنهم غدرو بلورو وقتلوه ٠٠ ! الا تبالهم ٠٠!
واقترب المتوحشون حملة المشاعل من الماء ، ثم جمدوا فى أماكنهم بغتة ، وعلى ضوء المشاعل تبدت للانظار رأس تعلو رمحا مشرعا فى الهواء .
ولم يكن من العســير ان يدرك المــرء لاول نــظرة ان الرأس التى تعلو الرمح هى رأس لورو المغامر الجسور ٠
ها هو بهيئته المعهودة : الشعر المعقوص خلف قفاه ، والالوان الزرقاء والحمراء التى تلطخ وجهه ، والقرط

الكبير الذى يتدلى من أذنيه ، والريش الابيض المرشوق فى قبعته ٠

وجعل المتوحشون يدورون حول حامل الرأس وهم يرقصون ويصرخون ، ولم يكن هناك أدنى شك فى أن هذه هى رأس لورو ٠

ولكن سيمون تمبلار كان يعرف أنها راس زائفة ٠ وكان معجبا بالبروفيسور نستور ، وبمقدرته الفذة على الخداع والتحايل ٠

نعم ٠٠ فلم يكن ما رآه رأسا حقيقة ، وانما تمثالا ابدعه نستور وصنعه فى اتقان ، وأضفى عليه هيئة لورو ، سواء فى ملامحه العامة أو فى الزى الذى بدأ به عند قيامه بالرحلة ، اذ البسه الريش والقرط ، كما طلا الوجه بالالوان التى اتخذها لورو ٠

وكان هدف البروفيسور من وراء ذلك واضحا ٠ فعندما يرى تمبلار الرأس معلقة على الرمح سيدرك على الفور أن صيادى الرؤوس البشرية غدروا بلورو وقتلوه ، واستولوا فى الوقت ذاته على البنادق ٠ وبذلك تكون الرحلة قد فشلت ، واستحال الاستيلاء على الضفادع الذهبية ، وبذلك يعود تمبلار الى بلاده دون أن يتقدم بأية شكوى ، فقد راى بعينيه ما انتهت اليه الرحلة المشئومة ، فكيف يطالب بعد هذا باسترداد العشرة آلاف دولار التى ساهم بها فى هذه المغامرة ٠

وابتسم القديس وقال فى نفسه : الحق أنها خدعة بارعة ٠٠ ولكن البروفيسور نسى أن سيمون تمبلار لا ينخدع بسهولة ٠٠ !

فقد أدرك تمبلار منذ اللحظة الاولى أن حكاية الضفادع الذهبية ليست الا أحبولة حيكت ببراعة لكى

يتردى فى شباكها حتى يسلبوا منه العشرة آلاف دولار ٠٠ واستقر رأيه منذ هذه اللحظة على أن ينصب بدوره شركا للبروفيسور يسترد فيها ما دفع مضافا اليه الفوائد ٠٠ !!

وأطلقت اليس صرخة رعب وفزع ، وصاحت :

ـ أنه لورو ٠٠ ! لورو المسكين !!

وفى هذه اللحظة انطفأت المشاعل كلها دفعة واحدة ، فساد الظلام ٠ وتناهت اسماعهم اصوات السهام وازيزها وهى تضرب صفحة الماء حول المركب ، وأسرع الربان يدير المحرك مبتعدا بالقارب عن هذه المنطقة المشئومة ٠

وجذبت اليس تمبلار من يده ، وهرعت به الى الكابينة يلوذان بها من السهام المتناثرة حتى لا يطيش أحدها فيصيب منهما مقتلا ٠

ولم تمض لحظات حتى كانت المركب قد ابتعدت ، وران السكون على المكان ، ولم يعد يسمع فيه صوت الا نشيج اليس وهى تنتحب من أجل مصرع لورو ٠

وطوق تمبلار اليس بذراعيه ، وضمها الى صدره يربت على ظهرها فى رفق وحنان ، محاولا ان يهدىء من روعها ٠

وقالت الفتاة معولة والنبرات تفيض من عينيها :

ـ أنها غلطتى ٠٠ ! أنا الملومة ٠٠ ! الذنب ذنبى ٠ ! أنا التى دفعت لورو الى منيته ، وأنا التى تسببت فى ضياع أموالك ٠

فقال تمبلار يسرى عنها : لورو هو الذى ألقى بنفسه الى التهلكة حين ظن أنهم أصدقاء لا يغدرون به ، فهو الذى تطوع بالقيام بهذه الرحلة ، ولم يجبره انسان على

ما فعل ، فاذا كان قد أخطأ التقدير فهذا شأنه وحده ، ولا يمكن أن يلومك أحد على شيء ٠٠ أما عن نقودى التى ضاعت فهذا ايضا شأنى وحدى ٠٠ اننى مغامر أهوى المضاربة ، والمضاربون لا يجهلون أنهم قد يـربحون وايضا قد يخسرون ٠٠ فهونى عليك ولا تبالى بشىء .

وغمغمت فى صوت خافت يمزقه نشيجها :

ـ الا ما أطيب قلبك ٠ !

وتابعت المركب رحلتها ، وضوء القمر يبزغ خافتا من استار الظلام ، واليس ساكنة الى صدره لا تتكلم وانما ترتجف قليلا من حين لاخر كلما طغى عليها الانفعال .

وقال تمبلار : أتدرين انى غير نادم على العشرة آلاف دولار ٠٠ ؟ لقد أسفرت الرحلة عن عثورى على منجم الذهب ، ولذلك سأبادر من فورى الى السفر الى الولايات المتحدة وهناك أؤلف شركة لاستغلال المنجم براس مال لا يقل عن مليون دولار ، ثم أعود بعد بضعة أيام ومعى آلات الحفر والتنقيب وتنقية الذهب ٠

ثم فرك كفيه سرورا وهو يقول :

ـ فاذا كانت قد فاتتنى الضفادع الذهبية ، فقد ظفرت بالذهب الذى صيغت منه الضفادع .. ! اخيرا اصبحت من أصحاب الملايين ٠٠ ! اننى أملك الان حق البحث والتنقيب فى هذه المنطقة ، وقد عثرت على المنجم واصبح من حقى وحدى أن أستغله لحسابى لانى ساعود ومعى قوة مسلحة من الجند تطاردهم وتفتك بهم حتى يلوذوا بالتلال هاربين ٠

وتأملته اليس بنظرة تفيض غيظا وقالت ونبـرات صوتها تنبض بالكمد :

ـ هل أفهم من هذا أنك تعتبر نفسك المالك الوحيد لهذا المنجم ، وأننا لسنا شركاء لك ؟

فقال ضاحكا ولضحكته صدى من التهكم والسخرية :

ـ اننى فعلا المالك الوحيد للمنجم ، اما أنت فحسبك أنك ملكت قلبى ·· لى أنا منجم الذهب ولك أنت منجم الحب والغرام ·

فصعدته بنظرة حانقة وقالت وهى تقرض على أسنانها :

ـ كنت احسب انك تحبنى ؟

فأجاب وبرات السخرية لا تزايل صوته :

ـ انى أحبك طبعا ، ولكنى أحب الذهب أكثر من أى شىء ·

ولاذت اليس بالصمت لا تتكلم ، وان دوت فى اعماقها ثورة عارمة تمنت معها لو انها هشمت رأسه وقذفت به الى أعماق النهر ·

ـ ٥ ـ

قال البروفسور نستور يخاطب سيمون تمبلار فى صوت وقور ، وقد علت سيماه علامات المهابة والجلال :

ـ يبدو يا مستر تومز ان الله قد استجاب الى صلواتى وحقق آمالى ·· انك تعلم اننى اصبحت على شفا الافلاس بعد أن انفقت جميع مدخراتى على رحلات الاستكشاف ، وكدت ارجو من وراء هذه الرحلة الاخيرة أن أعوض خسارتى فنعود بالضفادع الذهبية وبذلك يكتب لى المجد الادبى ويتضاعف مرتبى وادعى الى القاء محاضرات اجنى من ورائها الكثير ، ولكن المحاولة الاخيرة فشلت

كما تعلم وأسفرت عن مصرع لورو وضياع اموالك التى ساهمت بها فى هذه البعثة · ولكن معجزة غير متوقعة حدثت وعوضتنا عما وقع ، فبالنسبة اليك وقعت معجزة عثورك على منجم الذهب · اما بالنسبة لى انا فقد وقعت معجزة اخرى ·

فقال تمبلار متسائلا :

ـ حقا ؟ ·· وما هى معجزتك أذن ؟

ـ انك تعلم اننى رجعت الى الولايات المتحدة لالقى محاضرة علمية فى جامعة ميامى ، وكنت قد أصدرت قبل ذلك تعليماتى بأن يحولوا الى هذه الجامعة جميع ما يرد الى من رسائل، وهناك وجدت فى انتظارى رسالة عجيبة ·

ـ رسالة عجيبة ·· ! فيها كنزا ·· !

ـ هو ما تقول ·· نعم ··وجدت كنزا فى احدى الرسائل ·· لقد مات عم لى يعيش فى البرازيل ، وترك وصية يوصى لى فيها بثروته وكانت الرسالة من منفذى الوصية يخطروننى فيها بما أصبت من ثراء · وقد كان الامر عندى مفاجأة كادت تذهب بلبى ، فقد انقطعت الصلة بينى وبين هذا العم منذ سنوات طويلة ولم أكن أعرف من أمره شيئا فما أدرى ان كان فقيرا أم غنيا ·· ولك أن تتصور حالتى وأنا أفض الخطاب ففاجأنى على غير انتظار بهذا الكنز كما وصفته أنت .

وقدم الى تمبلار خطابا مطويا ، نشره فاذا به مكتوب على الالة الكاتبة ، ويعلوه بحروف المطبعة اسم مكتب لاحد كبار المحامين بنيويورك وفيه يخطرون البروفسور نستور ما كان من وفاة عمه وانه أوصى له بخمسين ألف

دولار ، وانهم فى انتظار تعليماته بشأن التصرف فى هذا المبلغ ٠

وقلب القديس الخطاب بين يديه فاحصا ، وقدم الى البروفسور نستور تهانيه القلبية ، وبدا على البروفسور انه مغتبط بهذه التهنئة أشد الاغتباط ، وان كان قد غاب عنه ان تمبلار لم يكن يهنئه بالثروة المزعومة التى هبطت عليه ، وانما كان فى الواقع يهنئه ببراعته الفذة فى تزوير الخطاب ٠٠ وتمبلار ــ بلا شك ــ من أقدر الناس على تقدير براعة المزورين وهو ــ كما تقرر ذلك سجلات الشرطة ــ أبرع من زور الوثائق والمستندات ٠

وقال القديس باسما : الحق أنها صفقة رابحة ٠

وكان القديس صادقا فى عبارته ، اذ كان يعنى بكلماته انها صفقة رابحة بالنسبة الى شخصه ، وليس بالنسبة الى الوارث المزعوم ٠ فقد رسم منذ اللحظة الاولى خطة معينة ، وها هو ذا يرى خطته تسير فى سبيل النجاح ٠

وقال البروفسور :

ــ انها طبعا صفقة رابحة .. ولقد كان كل همى بعد أن تلقيت الرسالة ان أعجل باتخاذ الاجراءات الضرورية فى أقصر وقت ممكن حتى لا أتخلف عن متابعة بعثة الضفادع الذهبية ، فسافرت من فورى الى نيويورك وقابلت المحامى ، وعدت من فورى لاعرف ما تم بشأن رحلة لورو ٠

فقال القديس ، وحسنا فعلت ٠

ــ ولم يكن الحصول على الارث بالامر المعقد ، أذ لم يكن يعدو مجرد توقيع طائفة من الاوراق تصبح الخمسون ألفا بعدها رهن أشارتى ٠ وقد صدمت عندما افضت الى اليس بما أصاب لورو المسكين وقد قتله هؤلاء

المتوحشون ٠٠ ولكن الشيء الذى أزعج اليس حقا لم يكن مصرع لورو ، وانما ضياع اموالك التى ساهمت أنت بها فى هذه البعثة ٠٠ والمسكينة حزينة من أجلك وتشعر بأنها أجرمت فى حقك ٠ كما أنها حزينة من أجل لورو ، وترى انها هى التى دفعت به الى حتفه ٠

وكانت اليس خلال هذا الحديث لائذة بالصمت بادية الحزن ، فما سمعت كلمات ابيها حتى ترترقت العبرات فى عينيها ٠٠

وقال القديس يرفه عنها : هونى عليك ٠٠ اما اخبرتك انك غير مسئولة عن مصرعه ٠٠ انك انت التى ٠٠

ورفع البروفسور يده يسكته بايماءة مهذبة وهو يقول :

ـ أرجوك ٠ لا داعى لاثارة هذا الموضوع من جديد . . كل ما ارجوه منك هو ان تسمح لى بأن اعوضك عن خسارتك ٠٠ انك ساهمت فى الرحلة بعشرة آلاف دولار، وضاعت عليك كلها . . ولهذا سأعيدها اليك فاننى اعتبر نفسى مسئولا عما أصابك

وأخرج من حافظته ورقة مطوية قدمها الى تمبلار فنشرها فاذا هى شيك على البنك بعشرة آلاف دولار ٠

وتأمل تمبلار الشيك يتفحصه ، وأيقن أنه شيك صحيح غير مزور .

وقال البروفسور : ارجوك أن تعتبره هدية منى اليك وطوى القديس الشيك ودسه فى جيبه وهو يقول :

ـ مادمت تصر على هذا فلا مناص لى من القبول ٠

وقال البروفسور : لقد اسعدنى ان اعرف انك عثرت على منجم الذهب ، فما الذى تنتوى فى هذا الشأن ؟

ـ الواقع أن الوقت لم يتسع أمامى بعد لكى اتخذ اى

اجراء فى هذا الصدد ، بل انى أتكتم الامر حتى الان ولا أريد أن يعرف به أحد ، وقد رجوت اليس ان لا تحدث أحدا بأمر هذا الاكتشاف ، فانى أخشى اذا انتهى النبأ الى السلطات الحكومية أن تتدخل فى الامر وتقرر تأليف شركة وطنية لاستغلال المشروع يساهم فيها الماليون من أهل البلاد فتكون لهم اليد العليا فى ادارة الشركة ، فى حين أنى اريد أن أؤلف الشركة من اصدقاء لى حتى تكون لنا السيطرة الكاملة على ادارته . ولذلك أنوى أن أعود فورا الى الولايات المتحدة ، وأجمع من اصدقائى نصف مليون دولار رأس مال للشركة ، وسأساهم انا فى هذا المبلغ بمائة الف دولار .

وقال البروفسور مؤمنا : هذا خير ما تفعل وبهذه المناسبة حدثتنى اليس بسوء التفاهم الذى شجر بينكما بشأن ملكية المنجم ، فقد اعتقدت أن لها حقا فى ملكيته ، وهى بلا شك على خطأ فى هذا فالمنجم ملك لك وحدك ولا شأن لنا به انك انت صاحب حق البحث والتنقيب ، وانت الذى اكتشفت المنجم ، فكيف خطر لاليس انها شريكة لك فى المنجم

فقالت اليس فى شبه اعتذار : لقد ادركت الان اننى كنت مخطئة ، فأرجوك أن تقبل اعتذارى .

فربت تمبلار على يدها فى رفق وقال :

ــ تأكدى ان لا شىء يبدر منك يمكن أن يغضبنى .

وقال البروفسور مستطردا وقد علت شفتيه ابتسامة توسل ورجاء :

ــ لقد كنا شريكين فى مشروع الضفادع الذهبية ، فلم لا نكون شريكين فى هذا المنجم ؟ لا أعنى طبعا ان لنا حقا فى مشاركتك فى ملكيتك المنجم ، وانما اعنى أننى أرجو

أن تسمح لنا بالمساهمة فى الشركة التى تنوى أن تؤلفها لاستغلال المشروع ٠٠ ان هذا سيتيح لى مرة أخرى ان ارتاد هذه المناطق وقد يساعدنى الحظ على العثور على الضفادع الذهبية ٠

فقال تمبلار : هذا محتمل فعلا ٠٠ ولا مانع لدى من أن أدخلك مساهما فى الشركة ٠٠ ولكن ما هو المبلغ الذى يمكنك أن تساهم به فى رأس المال ؟
وتريث البروفيسور برهة مفكرا ثم قال :

ـ انك تعلم ان مدخراتى جميعها قد تبددت ، ولست أملك الان الا ما آل الى من هذه الوصية التى تركها لى عمى ٠٠ ولكنى لا أحب أن أخاطر بما ورثت الا اذا كنت على يقين من انه مشروع رابح ٠

فقال تمبلار : اولى بأليس أن تتكلم بدلا منى فقد رأت كل شىء بنفسها ، وكانت الحجارة حولنا تتألق تحت ضوء الشمس وقد اختلط بها التبر ٠٠ فبكم تنوى أن تساهم ؟
ونظر البروفسور الى أليس ، ففتحت حقيبتها وتناولت منها خمسة شيكات كل منها بخمسة آلاف دولار ، قدمت أربعة منها الى تمبلار وردت الخامس الى حقيبتها ٠
وقالت : هناك عشرون ألفا من الدولارات هى كل ما نستطيع أن نقدمه كرأس مال فى هذا المشروع .

فقال القديس وهو يقلب الشيكات بين يديه :

ـ عشرون الفا ٠٠ هذا مبلغ كبير ٠٠ انى أوثر ان اقبل منكما عشرة آلاف فقط ، فمهما كان المشروع ناجحا فنصيحتى اليكما أن لا تستغلا فيه كل ثروتكما ٠٠ يكفينى نصفها ٠

واعاد اليها تمبلار شيكين من الشـيكات الاربعـة ، واحتفظ لنفسه بالعشرة آلاف دولار ٠

وقالت اليس معترضة : ولكنى اصر على أن ٠٠

فقاطعها تمبلار بقوله : وانا مصر على أن لا أقبل الا عشرة آلاف لا تزيد دولارا واحدا ٠٠ أنى لا احب أن أخالف مبادئى ٠

ثم تناول ورقة بيضاء من جيبه وهو يقول :

ــ والان سأحرر لكم ايصالا بالمبلغ .

وحرر الايصال ، وقدمه اليهما متضمنا هذه العبارة :

« استلمت من البروفيسور همفرى نستور واليس نستور مبلغ عشرة آلاف دولار أتعهد فى مقابلها أن أقدم اليهما اسـهما فى شركة الضفادع الذهبيـة لاسـتخراج المعادن وذلك بمجرد أن يتم تأليف هذه الشركة » ٠

ودست اليس الايصال فى جيبها راضية مغتبطة ، دون أن تفطن الى الاحبولة التى تردت فيها ، فأبرع محام فى البلاد لا يمكن أن يجد فى هذا الايصال سندا يجر به تمبلار الى ساحات المحاكم ، فقد صيغت عباراته ببراعة وذكاء ، بحيث لا يمكن أن تسفر عن ادانته ٠ فهو فى هذا الايصال يعد «أن يقدم الاسهم بمجرد تأليف الشركة ، ومعنى هذا انه اذا لم تتألف الشركة فهو غير مطالب بتقديم الاسهم ، ومن حقه أن يحتفظ بالمال المدفوع حتى يتم تأليف الشركة ، واذا ما ألفت كان مطالبا بتقديم الاسهم ٠٠ فالمسألة كما ترى حلقة مفرغة ليست لها الا نتيجة واحدة ! هى احتفاظ سيمون تمبلار بالعشرة آلاف دولار ٠

وقال تمبلار : والان يجب أن أودعكما يا شريكى العزيزين فانى راحل من فورى الى الولايات المتحدة لاعود بعد أسبوع ومعى المعدات والالات اللازمة ·

وتصافح الثلاثة فى حرارة وحماس ، وانصرف القديس تشيعه نظرات البروفيسور فى مودة وأخاء ·

وقال البروفيسور يخاطب زوجته :

تباله ·· ! انه أنانى جشع ·· كان بودى أن اكتتب فى هذه الشركة بعشرين ألف دولار ، ولكنه أبى الا أن يجعلها عشرة آلاف فقط ·

فقالت أليس : هذا لانه كماقلتأنانىجشع ·

ولكن الشىء الذى لم تكن تدريه أليس هو أن القديس لم يكن أنانيا جشعا ، وانما كان على العكس رحيما بارا ·

لقد عرف تمبلار منذ اللحظة الاولى أن البروفيسور ينصب له مكيدة يحتال بها عليه ويبتز ماله ، وأن حكاية الضفادع الذهبية أكذوبة ملفقة ، وأن قصاصات الصحف التى قدمها اليه مزورة · فاستقر رأيه على أن يجاريه فى أوهامه ، وأن يلقى عليه درسا لا ينسى ، فتظاهر بالغفلة والغباء وقدم اليه العشرة آلاف دولار مساهمة منه فى بعثة الضفادع الذهبية ، وفى الوقت نفسه اتخذ العدة لكى يستردها مضاعفة ·

وذهب القديس الى صديقه الضابط الطيار بحجة قضاء بضعة أيام فى الصيد ، ولكنه قضاها مع صديقه فى نثر برادة الذهب على الارض وعلى الحجارة فى المنطقة التى عرف تمبلار انه سيذهب اليها مع اليس . فلما خرج معها يرتادان المكان ، ورأت اليس الحجارة تتألق فى ضوء الشمس زعم لها تمبلار انه اكتشف منجما

للذهب ، وهكذا وقعت فى الاحبولة بغباء وأعاد اليه البروفيسور العشرة آلاف التى سبق أن دفعها ، كما اكتتب بمبلغ مماثل فى هذا المشروع الوهمى : مشروع منجم الذهب ٠



واستقل تمبلار الطائرة عائدا الى الولايات المتحدة وقد طابت نفسه بما فعل ٠

وجعل يردد فى سره :

ـ مسكين هذا البروفيسور ٠٠ ! لقد أوقعه سوء حظه فى ٠٠ ! أيحسب أن فى وسع من كان مثله أن يحتال على من كان مثلى ٠٠ ! أرجو أن يجد فى هذا درسا ينفعه ٠٠ !

وفى ذات الوقت كان البروفيسور واليس غارقين فى أحلام الوهم يترقبان الثروة المزعومة التى ستهبط عليهما من منجم الذهب ٠٠ !!

القسم الثانى

صفقة السلاح

١

كان ذلك فى فندق لارو ، فى مدينة المكسيك فى بلاد المكسيك .

ولكن على الرغم من هذا لم يكن للفندق أى طابع مكسيكى ، لا فى واجهته الخارجية ، ولا فى نقوشه الداخلية ، ولا حتى فى الاسم الذى خلعوه عليه . فقد كان الفندق ، منذ بناه صاحبه ، معروفا باسم فندق لارو ، وهو اسم مكسيكى صميم ، ثم اذا به يتغلب فجاة متخذا اسم « فندق ريتز » . ولم يقنع صاحبه بأن يضفى عليه هذا الاسم الاجنبى وحده ، وانما صبغ بالصبغة الاوروبية كل شىء فيه حتى المفروشات والصور التى تعلو الجدران . واذا كان فى هذا الفندق شىء مكسيكى فهو الطعام وحده ، فقد اشتهر الفندق بما يقدم من اطباق وطنية شهية يسيل لها اللعاب ، وتتحلب الشفاه . وما من سائح زار المكسيك الا سعى الى فندق ريتز يتناول فيه ولو وجبة واحدة من الطعام .

وعلى غير انتظار تلقى سيمون تمبلار دعوة بتناول الطعام فى فندق ريتز .

وكانت دعوة عجيبة شاذة لا يتوقع انسان أن يتلقاها ، فقد كان الداعى هو الكابتن كارلوس اكسافييه حكمدار البوليس .. ! حقا .. ما أغرب هذا .. ! فالمدعو هو أكبر لص فى العالم ، والداعى هو الرجل المسؤول عن

الامن واعتقال اللصوص .

وقال تمبلار وقد علت شفتيه ابتسامته الساخرة :

ـ ليست هذه أول مرة أتلقى فيها دعوة من رجال الشرطة .. فأحيانا يدعونني لكى يشيعوني الى خارج الحدود فى موكب لا يقل أبهة وفخامة عن مواكب الملوك .. وأحيانا يدعونني باعتباري نعمة هبطت عليهم من السماء لكى أميط اللثام عن سر جريمة غامضة تصببت جباههم عرقا دون أن يكشفوا لغزها العويص.. وفى أحيان أخرى يدعونني لكى ينذروني بالويل والثبور اذا أنا حاولت أن أرتكب سرقة فى المدينة التى يشرفون على الامن فيها .. أما دعوتك هذه فلم يكن فيها شىء من هذا .. مجرد دعوة لتناول الطعام على حساب الشرطة .. ترى هل رأيتم ـ وقد أعياكم الامر ـ أن تدسوا لى السم فى الطعام .. ؟

فضحك الكابتن كارلوس وقال :

ـ وهل يمكن أن يؤثر السم فيمن كان مثلك .. ؟ يخيل الى أنك لو شربت قدحا من السم الزعاف لا نقلبت أوفر صحة وأصح بدنا .

ـ اذن فهى دعوة شاذة .

ـ وأنا أيضا شرطى شاذ .

وكان الكابتن كارلوس هو الذى تولى اختيار الطعام لنفسه ولضيفه . وفى هذه اللحظة كان أمام تمبلار طبق شهى من السمك من نوع طيب المذاق لا تجده الا فى أنهار المكسيك ، والى جانبه زجاجة خمر من الشيليان وهو مشروب وطنى يدير رؤوس السياح اعجابا .. وسكرا .

ولم يكن هناك شك فى أن مثل هذه الوجبة الفاخرة كفيلة بأن تستنفد شطرا كبيرا من المرتب الذى يتقاضاه الكابتن كارلوس .

وقال تمبلار وقد استبد به الفضول :

ــ فى بعض الاحيان يستعين بى رجال الشرطة على جلاء معضلة استغلقت عليهم ، ولم يجدوا لها حلا . ولكنى لا أكتمك انهم ما حاولوا أبدا أن يمهدوا للحديث بمثل هذا الطعام الفاخر .

وكان الجوب : ولكن ليست لدى معضلة أريد أن أسألك العون فى جلائها .. كل ما أبغى منك هو أن أستمتع بصحبتك وحديثك .

كان رجلا بدين الجسم ، أصلع الرأس ، له شارب طويل نام لاشك انه يوليه عناية كبيرة ، فيضيع وقته فى فتله ، ويضيع ماله فى اغراقه بالادهنة والبريانتين . وكان اذا أكل مضغ الطعام بصوت مسموع كأنه وقع أقدام الجند وهم يدقون الارض ، واذا تكلم لوح بيديه وحرك عضلات وجهه كمن يمارس تدريبا رياضيا عنيفا . اما عيناه ــ رغم ذلك ــ فكانتا تنمان على الصدق والاخلاص ، وتوحيان بأنه رجل أمين شريف .

وقال كارلوس اسكافييه : لقد أمضيت حياتى وأنا أقرأ عن مغامراتك وحوادثك .. فقد كانت مغامراتك تشغل الصفحات الاولى من الصحف ولا تجد انسانا الا وهو يتحدث عنها .. وبطبيعة الحال كنا جميعا نجهل من هو القديس فقد كان شخصية مجهولة لا يعرفها انسان . ولو لم تكشف للناس شخصيتك الخفية منذ سنوات لما عرف أحد من تكون .

فقال القديس : ولكن هناك كثيرين يجهلوننى الآن .

واسترسل حكمدار البوليس : ولكم تمنيت أن ألقاك فى يوم من الايام .

فضحك تمبلار قائلا : لكى تلقى القبض على ..؟ كثيرون من رجال الشرطة تمنوا ذلك ، ولكنهم أخفقوا .

ـ كلا ٠٠ كنت أحلم بأن اقابلك بوصفك بطلا ٠٠ نعم ٠٠ اننى من أشد المعجبين بك ٠

فابتسم تمبلار وقال : اذا صدرت هذه الكلمات من شرطى فهى بلاشك أمر عجيب شاذ ٠

فقال كارلوس فى حماسة ، ومن عينيه تطل نظرات الاعجاب :

ـ قد يكون الامر شاذا فى البلاد الاخرى ، أما فى المكسيك فهو أمر طبيعى الا يثير الدهشة ، فهنا ليس من الشذوذ فى شىء أن يعجب الشرطى بمن كان مثلك ٠٠ معذرة ٠٠ أعنى بمن كان لصا مثلك ٠

ـ عجبا ٠٠ ! وما السبب ٠٠ ؟

لعلك تجهل يا سيدى أن الثورات هى التى خلقت بلادا تسمى المكسيك ٠٠ ومعظم الرجال الذين خلقوا بلادنا وانشأوها ٠٠ أعنى معظم أبطالنا ٠٠ كانوا من قطاع الطرق قبل أن يتولوا حكم البلاد ٠٠ وحتى فى هذه الايام تجد أن الحزب الذى يمسك بمقاليد السلطة يطلق على نفسه اسم حزب الثورة ، ولهذا فنحن معشر المكسيكيين لا نخفى عطفنا على الخارجين على القانون خصوصا اذا كانوا من طراز روبين هود ٠ وقد علمت مما قرأته عنك أنك من هذا الطراز ٠ فانك لا تخرج على القانون لمغنم شخصى بحت ، وانما تهدف قبل كل شىء الى اقرار العدالة ، ورد الحقوق المغتصبة ، ورفع المظالم عن المظلومين ٠٠ أليس هذا صحيحا ٠٠ ؟

ـ يمكنك أن تقول هذا ٠٠ الى حد غير قليل ٠

ـ ولهذا تجدنى سعيدا بهذا اللقاء ٠

وتأمل تمبلار برهة ، ثم أردف :

ـ وقد وجدتك كما تصورتك ٠٠ طويل القامة ، قوى

البنية ، لك بسمة ساخرة هازئة ، ومن عينيك تطل الجرأة والجسارة ، وكلماتك ونبرات صوتك تدل على عدم المبالاة والاستهانة بالاخطار ·· صدقنى ·· ان لك هيئة القرصان الجسور الجبار ·· نعم ·· انه ليسعدنى أن أجالسك وأتحدث اليك ·· ان النظر الى وجهك وعينيك متعة لا تنسى ·

ومن باب التواضع أدار تمبلار وجهه بعيدا ، وأشاح بعينيه ·

ولكنه حين أشـــاح بعينه تركزتا على سيدة تجلس وحدها على احدى الموائد عبر القاعة ·

لقد لمحها حين دخلت المطعم ، تخطو فى خطى رشيقة ، وانيقة ، وقد طوقتها هالة من الجمال والجاذبية · ومنذ دخولها وهو يختلس اليها نظرات خفية حتى لا يبدو غير مكترث بمضيفه .

وكانت العين لا تخطىء فى شعرها المصبوغ وثيابها الانيقة أنها أمريكية الجنسية · وكانت فى هذه اللحظة ما تزال ترشف الكوكتيل من كأسها ، ومن حين لاخر تنظر فى ساعة يدها نظرات قلقة متلهفة ·· لا شك أذن أنها فى انتظار شخص ما · وتأمل تمبلار يدها ، وأدرك من دبلة الزواج التى تدور بأصبعها أنها انما تنتظر زوجها فى الغالب ، فلم يكن القديس ليتصور أبدا أن يجرؤ أى عاشق على أن يتخلف عن موعد تضربه له مثل هذه الفتنة الطاغية · ومع ذلك فان من المحتمل أن تكون فى انتظار صديقة لها من النساء فان كثيرا من السائحات يسافرن وحدهن دون الرجال وقد تكون هذه الحسناء احداهن · كما أن من الجائز أنها حضرت الى المكسيك لتطلب الطلاق من زوجها ·

ثم ما يدريه أنها متزوجة ٠٠ ؟ دبلة الزواج ٠٠ ؟ وهل هذا دليل مؤكد على أنها مرت بتلك الحالة المعروفة التى تأتى فيها أمام الموثق برجل أبله لكى يوقع ويبصم على أنه أصبح عبدا خاضعا لها ٠٠ ؟ فى كثير من الاحيان ترى السائحة أن من الحكمة أن تلبس دبلة وهى تطوف بمختلف البلاد حتى تدرأ عن نفسها ملاحقة العشاق والمعجبين ، فيكفوا عنها اعتقادا منهم أنها متزوجة ، وبذلك تتاح لها فرصة فريدة لكى تختار بنفسها الصديق الذى ترتاح اليه ٠

وهكذا مضى تمبلار يدير فى رأسه شتى الخواطر عن هذه الحسناء وهو ماض فى اختلاس النظرات اليها فى خفية عن مضيفه .

وانتزعه ماركوس اسكافييــه من خواطره بقوله :

ــ هلا صارحتنى بما تنوى أن تفعل فى بــلاد المكسيك ٠٠ ؟

وتناسى تمبلار ــ لحظات قصيرة ــ هذه الفتنة الجالسة على قيد خطوات ، واستقر بصره على مضيفه وقال :

ــ انني مجرد سائح عادى ليس الا ٠

وترددت فى رأسه ذكريات سابقة ، قديمة وحديثة ٠٠ لم يكن هذا السؤال بالجديد عليه ، فلطالما وجه اليه من قبل ، مرة بعد مرة ٠٠ وجه اليه من رجال الشرطة ، ومن رجال العصابات ، ومن المغامرين من أمثاله ٠٠ لماذا جئت الى هذه البلاد ٠٠ والجواب أيضا لم يكن بالجديد عليه ٠٠ اننى سائح عادى ليس الا ــ ولكن لم يصدقه أحد من قبل ٠٠ تمبلار ٠٠ سائح عادى ٠٠ أهــذا كلام معقول ٠٠ أهذا كلام يمكن أن ينفذ الى الرأس ٠٠ ؟ ان

تمبلار لا يمكن أن يضع قدمه فى مكان الا امتلأ بالمغامرات والالاعيب والحيل الشيطانية ٠

وكأنما أراد أن يؤكد اجابته فاستطرد :

ـ ليس فى نيتى أن أقدم على أية مغامرة من أى نوع كان ٠٠ وحتى اذا جاءت المغامرة بقدميها تطرق بابى ، فانى سأصيح بها : اذهبى عنى فانى سائح عادى ٠٠ لقد جئت أشاهد الدنيا ٠٠ أريد أن أتفرج على مصارعة الثيران ، وأتسلق جبل اليكو ، وأستمتع بمشاهد الرقص الوطنى ، ولا تنس أيضا أنى سأمضى أياما أصطاد السمك فى أكابو لكو ، وياليتنى أجد أصدقاء طيبين مثلك يدعوننى الى أن أتناول مجانا هذه الاطباق الشهية من أسماككم الشهية ٠

وابتسم حكمدار الشرطة ابتسامة خفيفة وقال :

ـ هذا شىء مؤسف ٠٠ هذا شىء مخيب للامال ٠

فنظر اليه تمبلار فى استغراب وقال :

ـ كنت أحسب أن قولى هذا سيسعدك ، ويجعلك مطمئن البال ، فتنام ليلك سعيدا قرير العين ٠

ـ اننى شرطى ياصديقى ٠٠ وعلى شىء كبير من الذكاء وسعة الحيلة ، فهل تحسبنى أسعد بأن أكون شرطيا فى هذه البلدة الهادئة الخاملة التى خلت من المغامرين ورجال العصابات .. ؟ لقد توقعت عندما عرفت بحضورك أن تكون قد أتيت وفى جرابك احدى المغامرات ، وبذلك تتاح لى فرصة لمواجهتك ، ويقوم بيننا نضال لذيذ ، وتتوالى المعارك أنصب لك فخا فتفلت منه ، أدبر لك كمينا فتهزأ بى ٠٠ وهكذا ٠٠ تقوم بيننا مبارزات بديعة مسلية ، وأخيرا تقع فى قبضتى وأزج بك فى السجن ٠٠ نعم ٠٠ هذا ما كنت أتمناه !

وذكر تمبلار واللقمة تدور فى فمه أن السمك شهى لذيذ ، وان كارلوس هو الذى دفع الثمن ، فرأى أنه ليس من اللائق أن يصارحه بأن مئات من رجال الشرطة تمنوا مثل ما تمنى أن يظفروا به ، ففشلوا فى ذلك فشلا ذريعا . ولذلك أكتفى بأن قال متأدبا :

ـ طبعا .. طبعا .. وأنا أيضا كنت أتمنى أن أجعلك تقبض على

فقال كارلوس اسكافييه :

ـ ليس هذا ما أعنيه تماما ، وانما أعنى أنه كان .. يسعدنى أن أرقبك وأنت تعمل ، فقد صارحتك بأننى من أشد المعجبين بك ، ولو لم أكن شرطيا لكنت واحدا من أعوانك .. وفضلا عن هذا فلا شك عندى أنه قبل أن اقبض عليك ستتاح لك فرصة تصلح فيها فاسدا ، أو ترفع ظلما .

ونظر اليه القديس مستفسرا فأجاب :

ـ نعم .. فأنت لا تقدم على مغامراتك حبا فى الكسب ، وانما ترمى دائما الى اقرار العدالة ورفع الظلم .. انك تأخذ من الاغنياء لتعطى الفقراء .

وساد الصمت برهة ، ثم مالبث ضابط الشرطة أن أردف :

ـ لقد قبضت من قبل على عشرات من المغامرين واللصوص ورجال العصابات .. ولم يكن من بينهم بالطبع أحد من طرازك .. ولكن ذهبت جهودى سدى ، وأنت وحدك الذى يستطيع الانتقام لى وتوقيع القصاص .

ـ أتعنى أنهم يفلتون من المحاكمة ، ولك ما سمعت من مقدرة وذكاء حاد ؟

ـ أننى أبذل جهدى طبعا . ولكن مما يؤسف له أنهم

يفلتون رغم الادلة التى أبذل ليلى ونهارى فى اعدادها ، ورغم تيقنى من اجرامهم ٠

ـ أتعنى أن المحكمة تطلق سراحهم وترفض ادانتهم ؟

ـ هذا هو ما يحدث فى أغلب الاحيان ٠

ـ هذا عجيب ٠٠ مع انى على ثقة من براعتك ٠

وهز كارلوس اسكافيبه كتفيه بلا اكتراث واسترسل :

ـ تلك هى الحقيقة ياصديقى ٠٠ وهذا يحدث عندكم أيضا ٠٠ وفى كثير من بلاد الدنيا ٠٠ ان بعض المحلفين والقضاة لدينا مازالوا يقبلون الهدايا ، ولا يعتبرونها رشوة ٠ ولكن هذه الهدايا كفيلة بأن تؤثر فى أحكامهم وقراراتهم ٠٠ طبعا ٠٠ هذه مسألة مخجلة،ولكنها لم تعد منتشرة كما كانت من قبل ٠٠ ومع ذلك فهناك كثير من المجرمين يفلتون بسبب الهدايا التى يقدمونها الى المحلفين ٠ ولذلك كم تمنيت أن يكون لدينا واحد من طرازك .. سيمون تمبلار يفرض القصاص على من افلتوا من العقاب ٠٠ أتمنى أن يكون لدينا رجل مثلك يفرض بنفسه حكم العدالة ٠٠ أتريد الان قدحا من القهوة أو كأسا من البراندى ؟

وأشار الى الجرسون بالاقتراب ، وأشعل تمبلار سيجارة لنفسه ، وفى الوقت ذاته اختلس نظرة الى الحسناء الجالسة على مائدة قريبة عبر القاعة ٠ كانت ما تزال وحدها ليس معها جليس ، ونظرها يتردد الى الباب وقد بدت على وجهها أمارات نفاد الصبر ٠

وقال القديس فى نفسه :

ـ اللعنة على هذا الشرطى ٠٠ ! لو أننى كنت وحدى الان لاستطعت بطريقة أو بأخرى أن أقحم نفسى عليها واتعرف بها ٠

وغشيت الحسرة قلبه ٠٠ آه ٠٠ لو كان وحده ٠٠ !
وقد أنسته هذه الحسرة المتعة التى شعر بها من قبل ٠٠٠ متعة أن يدعوه شرطى لتناول الطعام على حسابه ، وأن يدعوه أيضا بشكل يكاد يكون صريحا الى أن يعاود نشاطه ويقدم على بعض مغامراته فى هذه البلاد ٠
وبصعوبة بالغة تخلص من شرود ذهنه ، وارتد الى المتعة الثانية فقال فى استغراب :

ـ هل أفهم من حديثك أنك تدعونى الى الرجوع عن التوبة ٠٠ ؟ انك تعلم أننى فى العهد الاخير قد تبت وأنبت وأصبحت مواطنا صالحا فهل حديثك دعوة لى بالتخلى عن التوبة ٠٠ ؟
واذ رآه صامتا لا يجيب استرسل يقول :
ـ هل أنت غاضب ياترى على الحكومة الحالية وتريد منى أن اقلبها لك ، أملا ان تأتى حكومة جديدة تكون معها أسعد حظا ٠٠ ؟
فأجاب اسكافييه على عجل :
ـ كلا ٠٠ كلا مطلقا ٠٠ انى راض على هـذه الحكومة
فتأمله تمبلار بنظرة فاحصة نفاذة ٠٠ فأسرع الشرطى يقول :

ـ آه ٠ انك لا تصدقنى ٠ ! انك تحسب أننى أقول هذا مدفوعا بالخوف . . ؟ كلا يا صديقى . اننى اعرف ان هذه الحكومة ليست هى الحكومة المثالية التى أنشدها وأتمناها ، ولكنها ليست أسـوأ من غيرها ان كل الحكومات سواء ٠٠ ومع الوقت ستخرج بلادنا من تخلفها ٠٠ ومهما يكن فرجال هذه الحكومة شرفاء أمناء لا يقبلون الرشوة ، ويرفضون الاستغلال الاجنبى ٠٠

وهى محبوبة من الشعب ومحل رضائه ٠ أنك تعرف أن الشعب المكسيكى متقلب مندفع محب للثورات ولا يرضى ببقاء حكومة واحدة فى الحكم زمنا طويلا ، ومع ذلك فهو راض عن هذه الحكومة ولا يريد أن يغيرها لانها حكومة الثورة ورجالها شرفاء كما قلت لك ٠٠ ولكن هناك حزبا واحدا هو الذى يريد اسقاط هذه الحكومة ٠٠ هل تدرى من هو زعيم هذا الحزب ؟

ـ أتعنى جوزيه جاليسكو ٠٠ ؟

ـ جاليسكو ٠٠ ؟ انه مجرد واجهة ٠٠ مجرد ستار ٠٠ انه خطيب مفوه يلهب مشاعر الجماهير ، وكلماته تندفق من فمه فيهتاج لها الناس ويثورون ٠٠ ان جاليسكو هو خطيب الحزب ، وهو يعمل بأجر ٠٠ ولكننى أعنى الرجال الذين وراءه ٠٠ الرجال الذين يحركونه ويتولون زعامة الحزب المعارض فى الخفاء ٠٠ ؟

فقال القديس : الحق أنى لا أعرف ٠٠ من يكونون يا ترى ٠٠ ؟

ـ الاخوة انريكو ٠٠ انهم الزعماء الحقيقيون للحزب المعارض . . وما أظنك سمعت باسمهم من قبل . . ولكننا هنا نعرف فضائحهم ومخازيهم

ولما ظل تمبلار لائذا بالصمت استطرد كارلوس قائلا :

ـ خلال سنوات طويلة والاخوة انريكو يربحون أرباحا فاحشة على حساب الشعب المكسيكى المسكين ٠ كانوا يسرقون أموال هذا الشعب من المقاولات والتوريدات الحكومية ، وقد أفسدوا كبار الموظفين بالرشاوى ، فيوردون نصف الكميات المتفق عليها ومع ذلك يتقاضون الثمن كاملا ، أو يبنون جسورا أو عمارات حكومية بأسوأ المواد فلا تلبث أن تنهار ٠ وقد كان رئيسنا

الحالى الجديد هو الذى كشفهم وأمر بالتحقيق معهم وطرد الموظفين المرتشين الذين تعاونوا معهم، ولذلك نقموا عليه وقرروا أن يعارضوه ويثيروا الشعب ضده محاولين اسقاط الحكومة الحالية ليأتوا بحكومة فاسدة تتعاون معهم ، واستأجروا جاليسكو ليرأس الحزب المعارض لقدرته الخطابية الفذة ٠٠ واذا نظرت هناك ستجد اثنين من الاخوة انريكو ، على المائدة المجاورة لمائدة تلك الحسناء التى ماكففت لحظة طيلة الساعة الماضية عن اختلاس النظر اليها ٠

واختلجت عينا تمبلار خجلا ، فقد كان يحسب أن الشرطى الماكر لم يفطن الى أنه كان يغرق الحسناء بنظراته ، ونظر الى المائدة التى عناها كارلوس نظرات مختلسة ٠

لقد فطن من قبل الى الرجلين ولاحظ أنهما كانا ينظران أيضا الى الشقراء الفاتنة ، وليس هذا فقط بل كان يبدو من اشاراتهما ونظراتهما انهما كانا يدرسان قوامها ويبحثان مواطن فتنتها ٠ ولكنه لم يلق بالا اليهما فيما يعدو ذلك ٠ وما خطر له أبدا أن هذين الرجلين المغازلين هما اللذان يتزعمان حركة الانقلاب ويثيران الشعب ضد حكومة أمينة شريفة حتى يجلبا الى منصة الحكم حكومة فاسدة مرتشية يستطيعان فى ظلها أن يسرقا أموال الشعب ٠

وكانت ثيابهما أنيقة مفصلة على أحدث طراز ، تزين أصابعهما الخواتم ذات الفصوص الماسية الكبيرة ، وكان بربطة عنق كل منهما دبوس ضخم يساوى ثروة . ولكن مظاهر الثراء التى تحوطهما لم تكن لتخفى ما تنم عليه

قسمات الوجه من الصرامة ، وما ينبعث من العيون من القسوة وامارات الشر ٠

وقال اسكافييه : الاكبر منهما هو مانويل ، أما الاصغر فيدعى بابلو ٠٠ ولكن الاثنين لا يختلفان شرا وقسوة ٠٠ وهما فى سبيل المحافظة على الملايين التى سرقاها لا يتورعان عن ارتكاب أية جريمة ، ولا يترددان فى اشعال ثورة ضارية تأتى على الالوف من الابرياء ٠

وجاء الجرسون بالمشروبات المطلوبة ، فصب البراندى والقهوة فى الاقداح ، واغتنم تمبلار الفرصة لكى يتأمل الاخوين انريكو مرة أخرى ٠ وأتاح له هذا فرصة جديدة لكى يتأمل الشقراء اختلاسا اذ كانت المائدتان متقاربتين ٠ وقد لاحظ من جانب عينه ان الشقراء تطيل اليه النظر ، وكانت نظراتها توحى بالاهتمام الشديد ، وكان فى هذا ما أشاع الغبطة فى نفسه ، فقد راودته الاحلام بأن الشقراء فتنت به ، ومن يدرى ؟ ربما قام بمغامرة ، ولكن ليس من النوع الذى يتطلع اليه كارلوس ٠

وقال يسأل صاحبه ضابط الشرطة :

ـ اتعتقد حقا أن الاخوة انريكو لهم القدرة على اشعال نيران الثورة فى البلاد ٠٠ ؟

ـ انهم يسعون الى ذلك فعلا ، وقد تحدثوا فى الامر الى جاليسكو ولا تنس أن لجاليسكو اتباعا كثيرين . وفضلا عن ذلك فهو يتميز بمقدرة خطابية فائقة ، واذا قام فى الجماهير خطيبا أشعل الحماسة فى قلوبهم ، واستطاع أن يحركهم كما يشاء ، وانت تعرف ما يمكن أن يقدم عليه الغوغاء ٠ والرعاع اذا فقدوا عقولهم ، ومع ذلك فان الغوغاء عاجزون عن العمل الا اذا كانوا مزودين بالسلاح ٠٠ وهنا يأتى دورالاخوة انريكو ٠ ان لديهم

أكداسا من المالٰ ، وفى سبيل تحقيق أهدافهم لن يترددوا فى انفاق مئات الالوف وتزويد الحزب المعارض بالسلاح الذى يعوزه ٠ وليس من المستبعد أبدا أن الاخوين يتامران الان لشراء صفقة سلاح ونحن ننظر اليهم ؛ ولعلهما سيلتقيان الان ببعض التجار لاتمام الصفقة

فقال القديس فى استغراب :

ـ هذا عجيب ٠٠ ! كيف يجسران على التآمر والاقدام على شراء السلاح وانت جالس على قيد خطوات منهما ٠٠ ؟ كيف يتآمران تحت سمعك وبصرك ؟

فضحك كارلوس اسكافِييه حتى اهتز شاربه المضمخ بالدهون ٠ ولكنه حين تكلم كان صوته متجهم النبرات :

ـ أتحسب انهم يخافوننى ٠٠ هؤلاء الاخوة انريكو ؟ اننى مجرد شرطى ٠٠ انى حقا حكمدار للبوليس ومنصبى كبير ٠٠ ولكن هناك من هم أكبر منى منصبا ٠٠ أتحسبهم يهتمون بمن كان مثلى ٠٠ انهم لا يتعاملون الا مع الكبار ٠٠ أؤكد لك يا صاح انهم لا يشعرون بوجودى ولا يحسون بى ٠٠ اننى فى رأيهم أتفه من أن ينظروا الى ٠٠ ولكنى غير غافل عمايعملون ٠٠ ان مهمتى تقتضينى أن ابحث وأن أكتشف ٠٠ وقد بحثت ، واكتشفت ٠

ـ ومع ذلك تبدو عاجزا لا تستطيع أن تفعل شيئا ٠٠ الا تستطيع أن توقف نشاطهم ؟

ـ لو اننى ذهبت الى الكبار بالمعلومات التى لدى لقالوا عنى أننى مجنون ، ولاوقفوا هم نشاطى بدلا من ايقاف نشاط الاخوة انريكو . ولا أغالى اذا قلت لك انهم قد يقبضون على ويرموننى فى السجن بأية تهمة ٠ وفضلاً عن هذا فان الاخوة انريكوا من كبار الاغنياء ، وهم

بثرائهم وأموالهم يشغلون فى المجتمع مركزا مرموقا فكيف اتعرض لهم بغير دليل قاطع ؟

وساد الصمت لحظة ثم أردف :

ـ ان المكسيك لم تعد تحتمل ثورة جديدة ٠ انها ستدمرها وتقضى عليها .. ان هذه الثورة ستكــون لحساب اللصوص والمرتشين ٠ وما من شك فى أن الحكومة الجديدة لكى تضمن بقاءها ستسلم البلاد الى الاجنبى يستغلها ويستنزف أموالها وثرواتها ٠ ولكن ما عسانى أفعل لكى أنقذ بلادى ؟ ٠٠ لا شىء ٠٠ لو أننى تحركت لتحرك ضدى كبار الموظفين الذين يتقاضون الرشوة من الاخوة انريكو ولبادروا الى القضاء على ٠

ونظر اليه تمبلار يتأمله ٠٠ كان يتكلم فى اخلاص وكان جليا أنه رجل شريف يحب بلاده ٠

وقال كارلوس وفى صوته نبرات من الاسى :

ـ من أجل هذا أسفت لانك أصبحت تائبا عــن المغامرات . كنت اتمنى أن يفعل القديس مالا استطيع أنا أن أفعله ٠ وفى هذه الحالة أستطيع أن أغمض عينى اذا خرج من هذه المغامرة وجيوبه طافحة بالمال فكل ما يهمنى هو أن أفسد الامر على انريكو ٠

وجاء الجرسون بفاتورة الحساب ، وأخذ يــرفع الاوانى والاقداح وتمبلار يفكر فى خلال هذا فيما يمكن أن يقول ردا على كلمات كارلوس

وتناول كارلوس فاتورة الحساب ونظر فيها ثم دسها فى جيبه وهو يغمغم بصوت خافت :

ـ انها مأساة ٠٠ ماساة محزنة ٠

فقال تمبلار متسائلا وعلى شفتيه بسمة خفيفة :

ـ هل مبلغ الفاتورة ضخم الى هذا الحد ؟

فابتسم كارلوس وهو يقول :

ــ انك تعرف اننى لا اقصد هذا .. المأساة هى أنك تبت عن المغامرات والا استطعت أن تفسد صفقة السلاح ، التى ينوى الاخوة انريكو شراءها ·

وجاء الجرسون يحمل رقعة مطوية قدمها الى الشرطى ، فما القى عليها نظرة حتى زوى ما بين حاجبيه ، فقال القديس يسأله :

ــ ما الذى جرى ·· ؟ هل حدث أمر خطير

ــ كلا ·· مجرد سرقة عادية ·· لقد هاجمت احدى العصابات بيت أحد زعماء الحزب الحاكم ·· ولهذا ينبغى أن أذهب بنفسى لمعاينة الحادث · ومساعدى ينتظرنى فى الخارج فيجب أن أصحبه الى مكان الحادث ·

ونهض اسكافييه واقفا ، وحين هم تمبلار بالوقوف لينصرف فى رفقته أوما اليه بيده قائلا :

ــ أرجوك لا داعى لانصرافك ·· يمكنك أن تبقى حتى تفرغ من كأسك ، ويمكنك أن تطلب كأسا أخرى أو كئوسا أخرى ·· وطبعا على حسابى ·· أرجوك أن تبقى ·

ثم التمعت عيناه فى تخابث وقال :

ــ ومن يدرى ؟ ربما اتيحت لك فرصة بعد انصرافى لكى تلقى حسناءك الشقراء ، وتقضى معها سهرة رائعة ·· وسأزورك فى فندقك فى الوقت المناسب ·

ثم صافح تمبلار وتركه يحلم بتلك السهرة مع شقرائه الفاتنة ·

وارتد القديس الى مقعد ،وأحس نشوةالبراندى تسرى فى عروقه فصب لنفسه قدحا من القهوة ٠

ثم حول رأسه فى بطء ناحية الحسناء الشقراء ٠ وعند ذاك لمحها تحيى رجلا جاء الى مائدتها ٠ وكان هذا الرجل زوجها ٠

ـ ٢ ـ

واأسفاه ٠٠ تلك هى حال الدنيا ٠٠ !

جالسة وحدها ٠٠ ليس معها أحد ٠٠ وهذا الشرطى يقيده بجلوسه معه لا يستطيع منه فكاكا ؟ وعندما ينصرف ، ويخيل اليه أن المغامرة وشيكة على أن تبدأ ، وانه يستطيع الان أن يتقدم اليها ، ويفرض نفسه عليها ، ومن المحتمل جدا أن يمضيا معا سهرة جميلة ـ عند ذاك يأتى زوجها فيفسد بحضوره كل شىء ٠

وتنهد تمبلار أسفا ، وأشعل لنفسه سيجارة ينفث مأساته مع دخانها الذى كان ينعقد فوق رأسه سحائب تلبث أن تتبدد فى الهواء ٠

ثم انتقل بخواطره فجأة الى الحديث الذى جرى بينه وبين ضابط الشرطة ٠

أليس هذا عجيبا ٠٠ ؟ لقد اعتاد طيلة حياته أن لا يلقى شرطيا الا حذره من الاقدام على مغامرة ٠ أما هذا الشرطى ـ فعلى النقيض ـ يطلب اليه فى الحاح أن يعود الى مغامراته المألوفة ٠ أنه يشرح له كل شىء ٠٠ يذكر له الاسماء ٠٠ والاسباب ٠٠ والخفايا ٠ ثم يساله فى الحاح أن يفعل شيئا ٠٠ وليس هذا فقط بل انه يشير فى

صراحة الى أنه سيتغاضى عن تمبلار اذا ملأ جيوبه بالمال نتيجة لاقدامه على هذه المغامرة ٠

يا له من شرطى ذكى ٠٠ ! لقد عرف كيف يقنع تمبلار ٠٠ ! انه حقا الان تائب عن المغامرات ، ولكن ما عساه يفعل ازاء هذا الاغراء القوى ! مغامرة تلذ له من تلك المغامرات القديمة ، وأكداس من المال يحشو بها جيوبه ، فكيف يقوى اذن على المقاومة .. ؟

وليس هذا فقط ٠٠ بل انه أيضا أثار انتباهه الى مغامرة أخرى لذيذة مع تلك الفاتنة الشقراء ٠ ولكن فجأة تنشق الارض عن زوجها فيهبط فى اللحظة التى لا ينتظره فيها أحد ، وبذلك تفسد المغامرة الثانية فلا يبقى أمامه بعد ذلك الا المغامرة الاولى ٠

وكان أبسط حل خطر لسيمون تمبلار هو أن يقتل الاخوة انريكو وبذلك يتخلص منهما ٠ وفى الوقت ذاته يجب أن يقتل الزوج أيضا لكى يتخلص منه بدوره ٠

ولم يكن لديه شك فى أن الرجل هو زوجها ٠ فقد كان من الطراز العادى الذى لا يمكن أن يفتن أية امرأة ، وخصوصا اذا كان لها مثل هذا الحسن ومثل هذه الفتنة . قد يكون زوجا طيبا ولكن من المؤكد انه رجل مشغول ليس لديه متسع من الوقت يقضيه مع زوجته ٠٠ والزوجة الذى يتخلى عنها زوجها وينصرف الى أعماله ، لابد لها هى الاخرى من أن تتخلى عنه وتنصرف الى المعجبين . فالمرأة مخلوق غريب ، تحب دائما أن تستمع الى كلمات الاعجاب والثناء ، فان أعوزتها الكلمات عند زوجها سعت اليها عند الاخرين ٠

وكان الرجل فى الاربعين من العمر ، عريض الفك ، يضع على عينيه نظارة لا شك أنها هى التى جعلته لا يرى ما لامرأته من حسن خلاب وكانت هناك شعرات بيضاء

توخط مفرق رأسه ، وكان جليا أنه لا يفكر الا فى العمل ، وأنه لا يمكن ان ينسى عمله وهو قادم يجالس زوجته،فقد كان يحمل تحت ابطه حقيبة منتفخة الاوراق ٠٠

وقالت تسأله فى لهفة ٠٠ لهفة الزوجة التى طال انتظارها للزوج الذى تخلف عن موعدها :

ــ ما الذى أخرك حتى الان ٠٠ ؟

ــ انه التاكسى الذى كنت أستقله ٠٠ لقــد اصطدم بسيارة أخرى وتحطم الرفرف ، ولسوء الحظ كانت السيارة الاخرى هى سيارة الشرطة لو أنها سيارة عادية لانتهى الامر فى لحظــات ، ولكنهم ســاقونى الى مركز البوليس ، وكادوا يحبسوننى بصفتى شاهد عيان ٠٠ اننى آسف يا عزيزتى ولكنها ليست غلطتى كما ترين ٠٠

ثم تحول الى الجرسون وطلب قدحين من المارتينى ٠ ونمت نظرات الأخوين انريكو على خيبة الأمل ، فقد كان جليا أنهما كان يمنيان النفس ــ هما أيضا ــ بقضاء سهرة ممتعة مع الحسناء الشقراء ومع ذلك فقد استمرا يلاحقان الزوجين بنظراتهما فى غيظ وكمد ٠

وبعد سكتة قصيرة قالت تسأل زوجها فى اهتمام :

ــ هيه ٠٠ وما الانباء ٠٠ ؟ ماذا فعلت ٠٠ ؟

فقال فى نبرة عتاب واستنكار :

ــ لا شىء ٠٠ لم أتقدم خطوة واحدة ٠٠ صدقينى يا دوريس ٠٠ لقد خطر لى أن أتخلى عن كل شىء وأن نقفل راجعين الى بلادنا ٠

فقالت فى نبرة

ــ ولكن ليس هذا عهدى بك يا شيرم ٠

ــ وما جدوى المكابرة ٠٠ ؟ اننى أعرف متى أكون فاشلا ٠٠ ولا يسعنى الا أن أعترف الان بأننى فشلت ٠٠ لقد سمعت قبل أن أحضر الى هذه البلاد أنه ليس من

الصعب الاتصال بحكومات أمريكا اللاتينية واقناعها بالشراء . ويبدو ان هذا صحيح وان أحـــدا لم يكذب علي · ولكن يجب أن نعرف قبل كل شيء أصحاب النفوذ الذين يجب أن نتصل بهم ·· ولكن مما يؤسف له انني أخفقت في الوصول الى أصحاب النفوذ الذين في يدهم الامر · ومع ذلك فما فائدة الندم ·· لقد انتهى الامر ويجب أن نعود الى بلادنا ·

ولم يحاول تمبلار أن يبذل أي جهد في استراق السمع ، بل لم تكن به حاجة الى بذل شيء من الجهد · كان المطعم هادئا لا تسمع به أصوات صاخبة عالية ، وكانا يتحدثان في صوت واضح مسموع ، اذ يبدو أن الانفعال جعلهما لا يفطنان الى ارتفاع صوتيهما · فضلا عن أنهما كانا يتحدثان باللغة الانجليزية · فخيل اليهما أن ليس بين الحاضرين من يفهم هذه اللغة الانجليزية ومهما علت أصواتهما فستظل سرا مستغلقا على السامعين

وجاءه الجرسون بكأس أخرى من المـارتيني كان الكابتن ماركوس اسكافييه قد أمر له بها عند انصرافه. ثم تحول عنه الى الحسناء وزوجها وقدم اليهما كأسين من المارتيني . ومضى تمبـــلار ينظر الى سقف القاعة وجدرانها ، وان كانت أذناه مرهفتين تستمعان الى الحديث الدائر ·

واستطرد الزوج بنفس الصوت المرتفع :

ـ يا لها من قصة محزنة ·· ! في أول الامر تعاقدت على توريد هذه الشحنة من البنادق والمدافع الرشاشة الى ايران ، وكان من حسن حظي أنني تغلبت على الشركات الكبيرة المنافسة ، وظفرت بالصفقة دونها · ثم شددت رحالي الى واشنطون ، واستطعت أن أحصل على ترخيص بتصديرها في الوقت الذي أعتقد فيه الناس

جميعا أن من المستحيل أن توافق الحكومة على تصدير هذه الشحنة ·· وبعد ذلك استأجرت مركبا شحنت فيه الاسلحة ، وأنت تعلمين أنه من الصعب الان العثور على مركب للايجار · وبعد كل هذه الجهود كبدتنى مشقة كبيرة ، لم تكد المركب تخرج الى عرض البحر حتى قامت الثورة فى ايران فسقطت الحكومة القائمة ، والغت الحكومة الجديدة جميع الصفقات السابقة ·

وقالت زوجته تسأله :

ـ وبطبيعة الحال كنت قد دفعت ثمن شراء الاسلحة ، وبذلك تجمد راس مالك . .؟

ـ تماما ·· ومع ذلك لم أحفل بالامر ولم يضايقنى الا الان فقط · كنت سعيدا بأننى أخرجت الاسلحة من الولايات المتحدة بترخيص قانونى سليم ، فلن يكون من العسير على بعد ذلك أن أبيعها الى اية دولة فى العالم حين أجد مشتريا · وقد خطر لى أننى قد أجد فى المكسيك سوقا رائجة ، فان أسلحة الجيش من الطراز القديم الذى انتهى عهده . وكنت على يقين من انهم سيرحبون أشد الترحيب بشراء أسلحة حديثة · ومع ذلك فلم أجد مسئولا واحدا أعرض عليه الصفقة وأتحدث اليه · فهل هذا معقول . . ؟ مركبى تجوب البحر الكاريبى وفى عنابرها خمسون ألف قطعة سلاح من أحدث الانواع ، ثم لا أجد مشتريا واحدا ·· ! أنه حقا لشىء محزن ·

كان القديس يستمع الى هذا الحديث فى هدوء ، دون أن تهتز عضلة واحدة فى وجهه ، ولكنه كان مرهف الأذنين مشدود الأعصاب ، يترقب فى لهفة ما يمكن أن يحدث بعد ذلك ·

وقالت زوجته ترفه عنه :

ـ ولكن الغلطة ليست غلطتك يا شيرم ٠٠ لقد بذلت كل ما فى وسعك ، فان اخفقت فلا ضير عليك من ذلك ٠٠ عليك الان أن تبيع الصفقة فى مكان آخر ٠٠ فليست المكسيك هى كل بلاد الدنيا ٠٠ ثم لا تنس أننى أريد أن اشاهد البلاد الاخرى ٠

وارتسمت على وجهها ابتسامة لطيفة زادتها فتنة وجمالا ٠

وقال زوجها : وأين هى هذه البلاد الاخرى ؟ ان الحال لن تتغير ٠٠ يجب قبل كل شىء أن أهتدى الى أصحاب النفوذ والا فشلت فى أى بلد كما فشلت هنا ٠

وتجلى كل شىء امام تمبلار ، وانكشف الغموض ٠

مثل هذا الحديث لا يمكن أن يدور فى مكان عام ، وبمثل هذا الصوت المرتفع ، وحتى لو كان باللغة الانجليزية التى يجهلها أهل البلاد اذ أن من المحتمل أن يكون بين الحاضرين من يجيدها ـــ نعم ٠٠ هذا لايمكن أن يحدث عفوا ٠٠ لابد أن يكون هناك هدف مقصود من وراء هذا الحديث الذى أريد من اسلوبه وطريقته أن يسمعه الناس ٠

ورفع كأسه الى شفتيه يرشف جرعة من المارتينى وعيناه تدوران فى أرجاء المكان ٠

كان الاخوان أنريكو يراقبـــان الامريكى وزوجته ، ويستمعان الى حديثهما فى لهفة ، كأنهما ذئبان يتربصان الفريسـة ، ويهمان بالانقضاض عليها .

وعرف تمبلار بوحى من الهامه أن الامريكى انما قصد أن يسمع الاخوان هذا الحديث ، فلابد انه يعـرف شخصيتهما ، وانه يريد أن يبيع لهما السلاح ، ولكنه آثر هذه الطريقة على ان يتقدم اليهما بعرضه مباشرة ٠

وضحك الامريكى وقال :

ـ سأذهب الى أحد المنجمين ليكاشفنى باسم أى رجل يريد أن يقوم بثورة فى هذه البلاد ، فأهرع اليه وأعرض عليه شراء هذه الاسلحة واعتقد أن هذه هى الطريقة المثلى للتخلص من هذه الشحنة .

وتحدث مانويل أنريكو الى بابلو .. وتحدث بابلو أنريكو الى مانويل وهز كل منهما رأسه موافقا .. واتبسم كلاهما .

ثم وقف مانويل واقترب من المائدة المجاورة ، وأنحنى تحية ، ثم قال بلغة انجليزية سليمة :

ـ أسألكما المعذرة ، ولكنى سمعت عفوا ما دار بينكما من حديث .

فقال الزوج فى شىء من الارتباك :

ـ لم أكن أحسب أن هنا من يعرف الانجليزية .

ثم تبادل مع زوجته نظرات مرتبكة ، فقال له المكسيكى :

ـ لا عليك منى ولا تخف .. لقد فهمت مشكلتك .. سمعتك تقول ان أهم شىء هو الاتصال بذوى النفوذ . وأعتقد أننى وأخى نستطيع أن نكون لك عونا كبيرا .

وأومأ برأسه ناحية أخيه الذى كان ما يزال جالسا الى مائدته .

وقال الزوج باسما وقد بدت على وجهه امارات التفاؤل :

ـ يسرنى أن أسمع منك هذا .. هل أنت جاد فيما تقول .. ؟

ـ كل الجد .. واسمح لى أن أقدم لك نفسى .. اننى مانويل أنريكو وهذا أخى بابلو .

وكان بابلو قد غادر مائدته ، وذهب اليهما منضما الى أخيه .

وقال الامريكى : اننى ادعى شيرمان أنكلر ·· وهذه بالطبع زوجتى مسز أنكلر ·

وأخرج من جيبه حافظة ضخمة تناول بطاقة منها قدمها اليهما ·

وهتفت زوجته وقد استخفها الابتهاج :

ـ شيرم ·· هذه بلا شك هى البادرة الطيبة التى كنت ترجوها .. لقد تبدد تشاؤمى وأصبحت متفائلة .

فأجاب زوجها فى تؤدة :

ـ وما يدرينى ··؟ سنتبين الحقيقة عاجلا · ولكن هذا المكان لا يصلح للاحاديث الخطيرة الخاصة بعقد مثل هذه الصفقات · انكما فيما أعتقد لم تطلبا العشاء بعد ، فهل تقبلان دعوتى لتناول العشاء فى مكان اكثر هدوءا ··؟ ان سيارتى بالخارج فهيا بنا الى مخبأ سرى لا يسمعنا فيه أحد .

ونهضوا جميعا ، واتجهوا الى الباب ، ثم توقفوا لحظة لكى يدفعوا الحساب ·

وفجأة استدارت الشقراء الفاتنة ، ونظرت الى تمبلار ·· نظرة طويلة متأملة ·· فاحصة ·

واستشف تمبلار من هذه النظرة ، فى يقين لا يخالطه اى شك ، أن الحسناء لاتجهل شخصيته الحقيقية وأنها تعرف أنه المغامر الجرىء سيمون تمبلار ·

ـ ٣ ـ

كانت هذه النظرة منها كفيلة بأن تثير دهشته ، ولكن كل مَا رآه الليلة ملأ قلبه بالدهشة ، حتى لم يعد به مكان لذرة جديدة منها ..

خيل اليه أن ما مر به خلال الساعة الماضية كان أشبه بمسرحية محبوكة وضعها مؤلف قدير ، وحشاها بالمفاجآت المتتابعة ٠

شرطى يدعوه الى العشاء ٠٠ رجل الامن يحرضه على القيام بمغامرة ثم يعده بأن يغمض عينيه عنه اذا طاب له خلال مغامرته أن يسرق ٠ صفقة سلاح تعقد امامه وفى صوت مرتفع واولى بها أن تدور فى الخفاء وأخيرا زوجة صاحب الصفقة تصارحه بنظراتها أنها تعرف أنه المغامر الجسور ٠

فما معنى هذا كله ٠٠ ؟ لقد أسدل الستار على الفصل الاول من المسرحية فما هى يا ترى أحداث الفصل الثانى ؟ ما الذى يريدون منه ؟ ما الذى يريده حكمدار البوليس كارلوس اسكافييه ؟ ٠ وما الذى تريده مسز انكلر زوجة بائع السلاح ٠٠ ؟ ما نوع المغامرة التى يعدونها من أجله ٠٠ ؟ والى اى هدف يرمون ٠٠ ؟

نزل الستار على الفصل الاول ، فهل يظل جامدا مكانه لا يحفل بمشاهدة الفصل الثانى ٠٠ ؟ أهذا معقول ٠٠ ؟ أهذا مما يتفق مع طبيعته الفضولية ، ومع أسلوبه الجرىء فى المغامرات ٠٠ ؟

لابد له اذن من أن يقتفى أثرهم ، ويسترق السمع لما يدور بينهم من أحاديث ٠٠

وهم بأن يثب واقفا وينطلق وراءهم ٠ ولكنه ما لبث أن تريث مترويا فى الامر ٠

لقد سمع انكلر يقول للاخوين انريكو انهم سيذهبون الى مكان هادىء يتمون فيه حديثهم السرى عن الصفقة السرية ، فما يكون من أمرهم اذا رأوه يتتبعهم ؟ سيدركون على الفور أنه هو الرجل الذى كان فى المطعم

الاول على قيد خطوات منهم ، ولا شك أنهم سيوجسون وتداخلهم الشكوك فى دوافعه . وهذاالشك خليق بأن يقضى على الخطة ويفسد المغامرة التى تهفو اليها نفسه .

ومع ذلك ، فما الذى يدعوه الى اقتفاء اثرهم ٠٠ ؟ انه يستطيع بغير حاجة الى تكبد هذه المشقة أن يتكهن بما سيجرى بينهم سيعرض عليه الاخوان انريكو استعدادهما لشراء صفقة السلاح ، وبطبيعة الحال سيحصل انكلر على الثمن الذى يحدده ٠

ولكن لماذا رمته الحسناء بهذه النظرة ٠٠ ؟ أكانت تريد فقط أن تظهره على أنها لا تجهل شخصيته ٠٠ ؟ وما فائدة ذلك .. ؟ أم ان هذه النظرة تنطوى على معنى آخر ٠٠ ؟ هل هى دعوة موجهة اليه لكى يشترك معها فى مؤامرة معينة ، ولذلك ارادت أن تقول له انها تعرف أنه سيمون تمبلار ؟ ٠

دارت هذه الخواطر فى ذهنه دون أن يجد جوابا مريحا لهذه التساؤلات ٠٠

وظل مكانه هادئا ، وعدل عن اقتفاء خطواتهم ٠ ومضى يحتسى قدح المارتينى ، وأخيرا نهض واقفا وغادر الفندق ٠٠

كانت السماء ممطرة ، والجو مشحونا بالرطوبة ٠ وفى ليلة كهذه يكون من العسير عليك أن تجد تاكسيا فارغا ولكن كان من حسن حظ تمبلار ان ظفر بتاكسى افرغ شحنته أمام باب المسرح المجاور فاستقله على عجل قبل أن ينقض عليه سواه ٠

ولقد كان فى نيته قبل أن يلقى اسكافييه أن يقضى سهرته فى احدى دور اللهو ، اما الان فقد تبخر كل هذا ،

واستقر رأيه على أن يمضى من فوره الى فندقه ليتدبر أمر هذه المغامرة الجديدة ·

وقال للسائق :ـ اذهب بى الى فندق كوميه ·

ولم يكن فندق كوميه من بين الفنادق الفخمة فى مدينة المكسيك وان كان يقع على قيد عشرات الامتار من قلب المدينة ، ولكنه كان يمتاز بالهدوء ، ولذلك آثره تمبلار على سواه من الفنادق الحاشدة التى تبدو وكأنها سوق لكثرة ما يدخل اليها الناس أو يخرجون ·

واستوى القديس على حافة الفراش ، وبسط بين يديه دليل التليفونات وراح يجرى عليه ببصره باحثا عن اسم كارلوس اسكافييه · ولكن كارلوس لابد أن يكون الان خارج داره منهمكا فى تحقيق حادث السطو الذى وقع الليلة على بيت احد الزعماء السياسيين .. اذن فلينبذ كارلوس الان ولو بصفة مؤقتة ·

ثم راح يسأل نفسه ·· يرى فى أى فندق يمكن أن ينزل · آل انكلر ·· ؟ أنه تاجر ·· وتاجر سلاح ·· فلا شك أنه سينزل اذن احد الفنادق الفخمة حتى يحيط نفسه بجو يساعد على نجاح الصفقة · ولما كانت فنادق الدرجة الاولى محدودة العدد ، فانه لم يجد صعوبة فى الاهتداء الى مكانه ·

وبدأ بالفندق الاول ·· طلب الى عاملة التليفون أن تصله بفندق زيفورما ، وبعد لحظات كان الاتصال قد تم ·

وقال : أريد أن أتحدث الى مستر انكلر من فضلك ··

نعم ·· مستر شيرمان انكلر ·

ـ لحظة واحدة من فضلك ·

ولكنها لم تكن لحظة واحدة ، بل كانت عديدا من

اللحظات ، ثم جاءه صوت العاملة عبر الاسلاك :
ــ آسفة ·· ليس عندنا نزيل باسم مستر شيرمان انكلر .
ــ شكرا لك ·
واشعل سيجارة ، وتمدد على الفراش ، ومضى يتصفح دليل التليفون من جديد · ثم تناول السماعة قائلا :
ــ أعطنى فندق ديل برادو من فضلك .
وللمرة الثانية لم يكن حظه أوفر مما كان فى المرة الاولى ، فليس عندهم نزيل باسم شيرمان انكلر ·
ولكنه لم ييأس ·· سيتابع الفنادق الكبيرة واحدا بعد الاخر ، حتى يوفق الى الفندق الذى اتخذه مستر ومسز انكلر سكنا لهما ·
وعندما هم بان يرفع السماعة للمرة الثالثة ليستطلع الفندق الثالث ، سمع نقرا على الباب ، فرد السماعة مكانها ، وقام الى الباب يفتحه وهو ساخط متبرم ·· انه يريد أن يفرغ من هذه المهمة،فما الذى جاء بهذا الطارق السخيف لكى يقطع عليه المغامرة التى يسعى اليها ؟ ·
وفتح الباب ·· واذا بدوريس انكلر واقفة على عتبته ·
وقالت : لا حاجة بك الى الاستمرار فى البحث ، فقد جئتك بنفسى ·· الا اذا كان يطيب لك أن تستمع الى أصوات عاملات التليفون ··
وحين رأته صامتا لا يجيب ، وقد ادهشه قدومها المفاجيء قالت :
ــ هل ادخل او انصراف ·· ؟
ولو أن شخصا آخر مكانه لشلت المفاجاة تفكيره ، وتصرفه ، ورفع حاجبيه · ولكن دهشة تمبلار تبدت فى

شيء واحد : هو أنه أطال النظر اليها برهة دون أن يتكلم • فلما سألته ان يسمح لها بالدخول نحى سيجارته عن فمه ، وارتد عن الباب خطوة ليفسح لها مكانا وقال فى شبه ابتسامة :

ـ تفضلى بالدخول طبعا •• ان قدومك الفجائى معناه أن الاتصال بطريق قراءة الافكار خير من الاتصال عن طريق التليفون ، وأسرع أثرا •

ودخلت الى الغرفة ، وأوصدت الباب وراءها ، وقالت :

ـ كنت واقفة خلف الباب وأنت تدق التليفونات واحدا بعد الاخر ، وكان فى وسعى أن أدعك مستمرا فى هذه المهمة حتى تأتى على أرقام تليفونات جميع الفنادق ، لولا أن الوقوف أتعب قدمى فرأيت أن ادخل .

فقال لها متهكما : الحق أنى لم أعرف الا الان أن لك قلبا رحيما شفوقا •

ورفعت بصرها الى الشراعة التى فوق الباب ، فعرف أنها تريد أن تقول انها سمعت من خلال هذه الشراعة كل ما يدور فى غرفته ، فبادر الى غلقها •

واسترسلت قائلة : انى أعرف أن البحث عن الفندق الذى ينزل به شخص معين ليس بالامر السهل •• لقد كابدت أنا نفسى هذه المشقة الليلة فقد كنت أبحث عن الفندق الذى نزلت أنت به •• وهذا ما جعلنى أهتدى الى مكانك وأحضر اليك •

ـ ولكن كيف فرغت من الاخوين أنريكو بمثل هذه السرعة ؟ •

ـ لم أشأ أن أشترك فى المباحثات التجارية السخيفة ، فجاءوا بى الى فندقى أولا ، ثم انطلقوا لمتابعة البحث فى

موضوع الصفقة ·· وأكبر الظن أنهم رحبوا بانصرافى اذ يرون أن المرأة لا يمكن ان تؤتمن على صفقة سلاح ·· وما صعدت الى غرفتى حتى قررت أن أبحث عنك فى مختلف الفنادق ·· بنفس الطريقة التى اتبعتها أنت ·· وكل ما هنالك اننى كنت سعيدة الحظ فوفقت الى الاهتداء الى مكانك قبل أن تهتدى انت الى مكانى .

فقال يسألها فى لهفة : ـ وفى أى فندق تنزلين انت ·· ؟

فضحكت وأجابت : فى نفس هذا الفندق ·· غرفة رقم ٦١١ .. اننا ننزل فى فندق واحد .. انت وانا .

فقال باسما :ـ ولما كنت امرأة بسيطة التفكير فقد بدأت قبل أى شىء بالسؤال فى نفس الفندق الذى تنزلين به · فاهتديت الى عند أول سؤال : اما انا سيمون تمبلار البارع فى التحليل والمنطق ، فاخترت أن ابحث عنك فى الفنادق الفخمة لانى اعتقدت انه لا يمكن ان تسكنى فندقا من فنادق الدرجة الثانية ·

فقالت ضاحكة :ـ انى أحتج بشدة على أنك وصفتنى بأننى بسيطة التفكير فالواقع اننى اقتصادية مدبرة لا أريد ان أتحمل اجر مكالمات تليفونية كثيرة ، ولهذا قلت فى نفسى : هذا أجمل فنادق الدرجة الثانية فلابدأ به ، فاذا لم تكن أنت بين نزلائه فعلى اذن أن أتحول الى فنادق الدرجة الاولى · وهكذا وفقت الى مكانك عند أول سؤال ·

ودعاها تمبلار الى الجلوس ، وأشعل سيجارة لها وأخرى لنفسه · ثم استوى جالسا على طرف السرير · وكان يتساءل فى نفسه عن سر هذه الزيارة الفجائية .. ما الذى جعلها تسعى الى معرفة مكان اقامته ، ثم

تفاجئه بهذه الزيارة على غير انتظار ، وليس بينهما شيء سابق ،حتى ولا مجرد حديث عابر

كان قلقا متلهفا الى معرفة سر هذه الزيارة ، ومع ذلك بدا هادئا غير مكترث ، مطمئنا الى أن الاجابة على سؤاله ستأتيه بعد قليل دون اى سعى من جانبه • ومع ذلك فقد كان على يقين من أن هذه المراة من طراز خاص ، وخيل اليه أنها شبيهة بالفهد تبدو عليه النعومة ، ولكن فى مخالبه الموت والدم •

وابتسم القديس وقال : الحق أنه أسعدنى أن أعرف أن بين قلبينا هذا التوافق العجيب ، ففى الوقت الذى كنت تبحثين فيه عنى ، كنت أنا أجوب الأرض بحثا عنك .. توافق عجيب بين الخواطر يبشر بأمل كبير ، ولم تخيب الاقدار أملنا فجمعتنا على هذه الصورة الفريدة • ومع ذلك فهناك مسألة تحيرنى •• لقد سمعت اسمك يتردد أمامى أكثر من مرة فعرفته ولكن كيف عرفت أنت اسمى •• ؟

ـ لقد عرفتك يامستر تمبلار •• وما من شك فى أنك ادركت هذا •

ـ ولكن هل التقينا من قبل •• ؟

ـ كلا •• لم أحظ يوما بهذا الشرف •

ـ هل رأيت صورتى مثلا وقرأت عنى •• ؟

ـ تماما •• والان دعنى أنا الان أوجه اليك سؤالا واحدا لماذا كنت متلهفا الى مقابلتى •• ؟

فنظر اليها تمبلار باسما وقال :

ـ لو أنك تطلعت الى المرآة لادركت الجواب على سؤالك ••

فرفعت حاجبيها وقالت : ـ أتعنى أنك

فكان الجواب : هذا ما أعنيه •

ويعد لحظات استرسل : عندما رأيتك للوهلة الاولى جالسة وحدك تمنيت أن تطول وحدتك حتى تتاح لى فرصة للتعرف بك ، فقد كنت اذ ذاك أجالس صديقا لم أستطع منه فكاكا ٠٠ أتذكرين ٠٠ ؟ وعندما جاء زوجك ورأيته أدركت من فورى أنه ليس أهلا لك ، وخطر لى أنه من ذلك الطراز الذى يغرق نفسه فى العمل حتى وهو فى حضرة امرأة فاتنة مثلك ، وأنه لايعرف كيف يغرق نفسه فى الحب . ولذلك استقر رأيى على مقابلتك لاستطلع وجهة نظرك فى هذا الموضوع ٠

واتسعت عيناها دهشة وهى تستمع الى حديثه ، وكان القديس يتأمل عينيها فى اعجاب . كان لها عينان زرقاوان فى أعماقهما ظلال كثيفة فيها نار مشبوبة ، وكان هذا عجيبا ، فالزرقة توحى بالبرودة ولكن زرقة عينيها كانت من نوع شاذ ففيها تكمن نيران متأججة ٠

وقالت فى صوت خافت :

ـ يبدو لى أنك تحب أن تكون جريئا فى بعض الاحيان ٠٠ ؟

فأجاب : ليس دائما ٠٠ ولكن ما حيلتى اذا كانت الفتاة نفسها هى التى تلقننى درسا فى الجرأة ٠ فما أحسبك جئت الى غرفتى فى جوف الليل لتطلبى منى أن أوقع باسمى فى أتوجرافك أم لعل ان هذا هو قصدك ٠٠ ؟

ـ كلا بالطبع فان لى هدفا آخر ٠٠ والان جاء دورى لكى أوجه الاسئلة ٠ ماالذى تعرفه عن الاخوة انريكو ٠٠ ؟

ـ لا أعرف كثيرا ٠٠ انهم من كبار الاغنياء ، ومن كبار الأشرار فى الوقت ذاته . وقد تخصصوا فى سرقة

امــوال الشعب المكســـيكى عن طــريق عقــود المقاولات والتوريد وبمساعدة كبار الموظفين المرتشين ، فهم لا يكتفون بالسرقة وانما يضيفون اليها افساد الذمم ونشر الفساد ٠ ولما كانت الحكومة الحالية يتولاها قوم شرفاء أمناء ، فقد أمرت بالتحقيق معهم وتقديمهم الى المحاكمة ٠ ومن أجل هذا يتمنى الاخوة أنريكو أن يحدث انقلاب وتسقط الحكومة القائمة ٠ وبذلك ينجون من العقاب . وتحقيقا لهذا الهدف فان الاخوة أنريكو يؤيدون الحزب المعارض الذى يرأسه جوزيه جـاليسكو ، ويحرضونه على الثورة ، ولكن ما من ثورة يمكن أن تقــوم الا أذا توافر لهــا الســلاح ٠ وهنا ياتى دور الاخوة أنريكو فان لديهم من المال أكداسا مكدسة ، ولذلك وعدوا جاليسكو بأن يزودوه بما يريدمنأسلحة ٠ ومن هذا تستطيعين أن تدركى بسهولة أن الاخوة أنريكو متلهفون الى الحصول على السلاح بأى ثمن ٠

فقالت : ارى أن لديك معلومات كثيرة ٠

ــ ان الناس يتكلمون ٠٠ وقد جاءتنى هذه المعلومات من رجل مسئول ولذلك لا يداخلنى الشك فيها ٠٠ والان يجىء دورى لاوجه الاسئلة : لماذا جئت تبحثين عنى وتنشدين مقابلتى ؟

ــ لقد أردت أن أعرف رأيك فى صفقة السلاح التى ننوى أن نبرمها ٠

فابتسم القديس : وهل أنا على علم بتفصيلاتها حتى ابدى رأيى ٠٠ ؟

فهزت رأسها فى تخابث وقالت :

ــ وهل تخفى على سيمون تمبلار خافية ٠٠ ؟ ماهو رأيك ٠٠ ؟ خبرنى ٠٠ والتمعت عيناها ، وبدا الدهد الكامن فى أعماقها يتحفز ٠

وتأملها تمبلار برهة قصيرة ، ثم أطفأ سيجارته فى المنفضة ، ورفع اليهـا رأسه ، وقال فى كلمات بطيئـة متمهلة :

ـ انى لا أوافق على هذه الصفقة ٠٠

فنظرت اليه فى استغراب وقالت :

ـ هذا عجيب ٠٠ ترى هل أصبحت وطنيا تحب بلاد المكسيك حتى بت تخشى أن تقـوم فيها ثورة جديدة ٠

ـ هذا صحيح ٠٠ اننى حقا أهيم حبا بالمغامرات والثورات ، ولا تطيب لى الحياة الا اذا كنت غارقا فى ثورة أو مغامرة ٠٠ ولو أننى توقعت أن تكون لهذه الثورة أية فائدة لساهمت فيها بكل جارحة فى ، ولكننى أعرف عن يقين أهداف هذه الثورة ٠٠ ان لها هدفا واحدا ، وهو الاطاحة بحكومة صالحة شريفة ، لتحل مكانها حكومة فاسدة خربة الذمة ٠٠ انهم يريدون ازاحـة الحكومة القائمة ليتولى الحكم جماعة من تجار السلاح يغرقون البلاد فى الدم والموت حتى تتكدس الاموال فى خزائنهم ٠٠ كل بغيتهم المال والثراء ٠ ولو ساروا اليه على أكداس من الجثث وفى بحر من الدماء ٠٠ نعم ٠٠ انى لا أوافق ابدا على صفقة السلاح التى تريدين بيعها الى الأخوة انريكو .

فقالت وعلى شفتيها بسمة تتلاعب :

ـ وهل تظل متشبثا بالمعارضة حتى اذا أصابك جزء من هذا الثراء ٠٠ ؟ هل تصر على عدم الموافقة وأنت ترى حفنة من المال توضع بين يديك ٠٠٠

وتصلب فكاه وقال فى صوت يقطر برودا :

ـ لو أنهم وضعوا بين يدى مفاتيح خزائن بنك نيويورك لما رضيت عن هذه الصفقة ٠٠ اننى أستطيع بسهولة أن

أسرق مليونا من الجنيهات دون أن الوث يدى بدماء عشرات الالوف ·

وأطفأت سيجارتها فى حركة عصبية ، وتطايرت على السجاد نثرات من الرماد ·

وقالت تسأله : هل معنى ذلك أنك تحاول منع شيرمان من اتمام هذه الصفقة ؟

ـ اننى معتزم أن أذهب الى هذا المدى ·· لن أدخر وسعا فى العمل على افساد الصفقة والحيلولة دون تنفيذها ·· وفى سبيل تحقيق هذا الغرض سنالجأ الى كل سياسة مهما تكن ·

فقالت : هذا ما خطر لى ، غير أننى أردت فقط أن أتأكد ·

فقال : لو أنك درست مغامراتى كما ينبغى ، لادركت رأيى حتى قبل أن تسأليني ·· إن سيمون تمبلار لا يقبل ابدا أن يثرى على حساب التعساء والمظلومين ··

وأخذت من سيجارتها نفسا عميقا ، واعتدلت فى جلستها حتى تألق ما بصدرها من فتنة طاغية وقالت :

ـ حسنا ·· كان هذا ما توقعت ، أما الان فقد أصبحت على يقين .. الآن عرفت أنك ستقف فى صفنا . ليست هناك شحنة سلاح معروضة للبيع ·· وليست هناك مركب محملة بالاسلحة تجوب الكاريبى وتنتظر من يشتريها ·· ليس فى الامر شىء من هذا على الاطلاق ·· كل هذه الاحاديث لا تعدو أن تكون وسيلة من وسائل النصب والاحتيال ·· ليس لدينا ما نبيعه أونقدمه الى الاخوة انريكو ·· كل ما لدينا خطة بارعة لسلب أموال الاخوة انريكو ·

فى بطء وتمهل نهض سيمون تمبلار واقفــا ، وبنفس البطء والتمهل تناول سيجارة دسها بين شفتيه ثم أشعلها وأخذ منها نفسا عميقا ٠

كانت جميع حركاته متمهلة بطيئة حتى يفسح لنفسه مجالا للتفكير ، فقد كانت المفاجأة التى سكت سمعه أكبر من أن يستوعبها فى لحظات ٠٠ خيل اليه وهو يستمع الى كلماتها أن اعصارا جائحا هب على المكان وأخذ يضرب ساقيه فى عنف ويكاد يطيح به فى الهواء ٠

وقال : ما أغبانى ٠٠ ! ينبغى أن أدرك هــذا من تلقاء نفسى حين جاء زوجك وراح يتكلم فى صوت مرتفع ، كأنما يريد أن تسمع المائدة المجاورة حديثه ، كما ضمن حديثه كل ما يريد انسان أن يعرفه عن الصفقة ٠٠ الأخوان انريكو ، وأنه كان ينصب لهمـــا شركا بذكاء وبراعة ٠٠ وقد فهمت الان لماذا جئت وحدك فى أول الامر دون زوجك حتى تسترعى نظرهما بجمالك ، فاذا جاء زوجك بعد ذلك كنت مطمئنة الى أنهما سيظلان يتابعانك ببصرهما ويصغيان الى ما يدور بينكما من حديث ٠

ـ ولكنه تأخر قليلا عن الموعد المتفق عليه كرها عنه ، ولذلك أدركنى القلق حقيقة خشية أن يتخلف عــن الحضور ٠

ـ أذن فليست هنــاك أسلحة ، وليست هنــاك مركب تجوب البحار فى انتظار من يبتاع شحنتها .

فهزت رأسها وقالت :

ـ بل المركب موجودة فى الواقع ولكنها فارغة ٠٠ وهى الان فى خليج المكسيك ، ولكن ليس عليها الا

صناديق مشحونة بالحجارة ·· هناك طبعا عدد قليل من الصناديق به بنادق ومدافع رشاشة للايهام حتى نقدمها الى الاخوة انريكو بمثابة عينة للشحنة المعروضة · اذ ليس من المعقول ان يدفع الينا الاخوة نصف مليون دون ان يروا العينة ويفحصوها ·

ـ انها فى الحق صفقة طيبة .

ـ وصفقة سهلة فاننا على يقين من النجاح ·

وابتسم تمبلار وقال وهو يفرك كفيه فى نشوة :

ـ عملية نصب رائعة ·· دبرت ببراعة ، وخططت بذكاء ، ومولت باغداق ، ونفذت بدهاء ·· انها تدل بغير شك على أن صاحبها آية فى فنه ، وانى لاتحسر الان على أن مثل هذه الفكرة الجميلة لم تخطر لى على بال فى يوم من الايام ·

وشاع فى وجهها الابتهاج وأمارات السعادة وقالت :

ـ هل أعجبتك الخطة ·· ؟

ـ بكل تأكيد ·· لاسيما اختيار الفريسة ·

ـ اننى صاحبة الفكرة ·· أنا التى فكرت ·· وأنا التى خططت ورسمت ·· كل شىء كان من وحى تفكيرى وتدبيرى .. ولقد ترسمت فيها أسلوبك .. أسلوب سيمون تمبلار وحاولت أن أقلدك ..

فتأملها برهة فى أعجاب وقال :

ـ يبدو لى أنك انت العقل المفكر فى أسرة آل انكلر ·· عليك التدبير وعلى زوجك التنفيذ ·

ـ هو ما تقول ·· ولكننا عند ما تقابلنا أنا وشيرم كانت له خبطات رائعة · أما هذه « الخبطة » فهى ابنتى ·· أنها لم تنبثق الا من رأسى وحدى دون سواى ·

ـ وهل أنت ايضا التى فكرت فى ان تحضرى الى مقابلتى ·· ؟

ـ نعم ٠٠ وان كنا قد اتفقنا سويا على ذلك ٠٠ فعندما غادرنا المطعم مع الاخوين استطعت أن أهمس بخطتى فى أذنه فوافق على الفور على أن اقابلك واتحدث اليك .. لقد قلت له انى عرفتك واننى على يقين ٠٠ من أنك سيمون تمبلار ٠ وقلت له ان من رأيى ان نعيد النظر فى الخطة الموضوعة وأن نعد لها بما يتلاءم مع الظروف الجديدة ، فوافق ولكنه ترك الى أمر التعديل كلية،وعهد الى بأن افعل ما أشاء ٠

وما هى اذن خطتك الجديدة ٠٠ ؟

فنظرت اليه فى تمعن وقالت :

ـ لقد افضيت اليك بتفاصيل الخطة كلها ، فلعلك غير ناقم على لاننى حاكيت اسلوبك فى العمل .

فأجاب فى اخلاص :

ـ كلا بالطبع ٠٠ هذا اذا كنت تعنين انك القيت بطعم جميل فى طريق هؤلاء الاخوة المحتالين ٠٠ والواقع أننى اتمنى ان يسلك الكثيرون سبيلى ويحذوا حذوى ، ومع ذلك ..

وسكت لحظة خاطفة ، ثم شردت عيناه الى بعيد وأردف :

ـ ومع ذلك فقد كان الاخوة أنريكو محل اهتمامى ، وان كنت أنت قد سبقتنى الى العمل ٠

فضحكت وقالت : وعندما ينكشف الأمر ستجمع الدنيا بأسرها على انك صاحب «اللعبة» لان لها طابعك وأسلوبك ،وخصوصا بسبب وجودك فى هذه الناحية ، مع أنه لا شأن لك بالامر ، ولم تصب من الغنيمة سنتا واحدا ٠ وهكذا تعزى المكيدة اليك وأنت منها براء ٠

فأشعل القديس سيجارته ونظر اليها فى مجامع

عينيها فأشاحت عنه كأنما لا تتحمل نظراته النفاذة ·
وقال لها :

ـ ومعنى هذا أنك تظفرين بالغنيمة وأظفر أنا بالاتهام ·

فعادت تنظر اليه وقالت :

ـ ومعنى هذا انه ينبغى أن نعوضك عن الظلم الذى يصيبك ..

فنظر اليها مستطلعا دون أن يتكلم ، فاسترسلت :

ـ ما رأيك اذا تقاسمنا الغنيمة نحن الثلاثة ·· ؟

ولم تختلج عضلة واحدة فى وجهه ، وفى صوت هادىء لا ينم عما بنفسه قال :

ـ نحن الثلاثة ·· ؟ أتعنين : أنا وأنت وشيرمان ·· ؟

ـ نعم ·· ولا تنس أننا انفقنا مالا كثيرا فى أعداد هذه الخدعة ··· الاسلحة التى اشتريناها ·· والمركب التى استأجرناها ، والبحارة ··

ومشى تمبلار الى النافذة ، وتطلع برهة الى الخارج.
كان المطر قد أنقطع هطوله ، ومع ذلك كانت الطرقات لا تزال تلتمع من أثر الماء فى ضوء الانوار الكهربائية · وأخذت عيناه سقوف المنازل التى يسودها الظلام ، ولم يخطر له من قبل أنه تحت هذه الاسقف السوداء تجرى صفقات بالملايين ، ويأتى المال الى بعض الناس دون أن يسعوا اليه خطوة واحدة ـ كما جاءت اليه فى هذه اللحظة مئات الالوف ·

وذكر عند هذا شابا يعرفه .. كان فقيرا يتضور جوعا ، وكان يقترض من كل من هب ودب ، ولا يرجو من دنياه الا شيئا واحدا هو أن يلقى بين أصحابه من يدعوه الى العشاء على حسابه . وفجأة مات عم له ،

واوصى له بمـــا يملك من آبار البترول ، فانقلب فى غمضــــــة عين الى مليـــونير يســـيطر على عشرات الملايين .

ومع ذلك فان مفاجأة الثروة التى هبطت على القديس كانت عنده أقوى وأشد وقعا من مفاجأة الملايين التى نزلت على صـاحبه الشاب المعدم فى صـورة البترول المتدفق · فان آبار البترول لم تصل الى متناول يده الا بعد قضايا ومشاكل عرضت على المحاكم وتبارى فيها المحامون · أما هذه الثروة التى جاءته عن طريق صفقة السلاح فلا قضايا فيها ولا مشاكل ، وبصفة خاصة ليس فيها محامون يستولون لأنفسهم على نصف الميراث .

وأخيرا تحول اليها مبتعدا عن النافذة وقال :

ـ اذن فنصيبى هو الثلث ·· ؟

ـ تماما ·· هذا هو ما عرضت ·

ـ وستبعثين الى بنصيبى عن طريق البنك ، وانا جالس فى مقعدى هانئا ناعم البال ·· أم لعلك تريدين منى العون على صورة من الصور .. ؟

فقالت تسأله : وهل يرضيك هذا النصيب ، أم تراه يبدو ضئيلا فى نظرك ·· ؟

ـ بل انك لأكرم مما ينبغى .. ان النصيب بين ارباب مهنتنا لا توزع بهذه السهولة ولا يمثل هذا السخاء · ومع ذلك فان سخاءك يلذ لى ·

ـ اذن فأنت موافق وليس لك أى اعتراض ·· ؟

ـ بكل تأكيد ·

وندت من صدرها تنهيدة ارتياح حاولت أن تخفيها فى صدرها ، ولكنها أفلتت منها على رغمها ، وفطن اليها تمبلار ، وعرف من تلك التنهيدة انها كانت متوترة الاعصاب شديدة الاضطراب ، كأنما تخشى أن يرفض

عشرات الالوف التى جاءته عفوا دون كد أو تعب ٠

وقالت له : بل انى أتوقع منك بعض العون ، فان لك دورا معينا تقوم به ٠

ـ وما هذا الدور يا ترى ٠٠ ؟

واعتدلت فى جلستها وقالت :

ـ لا أكتمك أن الشىء الوحيد الذى كان يقلقنى فى خطتى هو الطريقة التى سيتم بها دفع ثمن الاسلحة ٠

فقال القديس باسما :

ـ الاسلحة التى لا وجود لها ٠

ـ تماما ٠٠ وهذا هو سر ما اعترانى من قلق ٠ فأولا سيطلب الاخوة أنريكو التأكد من أن لدينا الاسلحة المعروضة ٠ وقد اتخذنا العدة لمواجهة هذا الطلب ، ففى وسعهم أن يستقلوا قاربا بخاريا من فيرا كروز أو من تامبيكو ، يخرجون به الى عرض البحر ، وعلى مسافة بضعة أميال يجدون مركبنا فى انتظارهم ٠٠ وهنا تأتى مرحلة التسليم والاستلام ٠٠ تسليم الاسلحة واستلام الثمن . . انك تعلم طبعا أن انزال هذه الشحنة فى أحد موانى المكسيك أمر مستحيل لان الاخوة أنريكو انما يشترون هذه الاسلحة ليحاربوا بها الحكومة القائمة ٠ وهذا معناه انه لابد من انزال شحنة على الشاطىء فى نقطة سرية لا يهتدى اليها رجال خفر السواحل ، ولابد أن يتم ذلك طبعا فى جوف الليل ٠

وتأملها تمبلار برهة وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة تتراقص وقال :

ـ بالله عليك خبرينى : كيف يمكن أن تكونى جميلة الى

هذا الحد ، وفى الوقت ذاته ذكية الى هذا الحد ٠٠ ؟

فسرها اطراؤه وضحكت مسترسلة :

ـ اننى أحاول أن أفكر بأسلوبك وطريقتك ٠

فقال يطنب فى الثناء عليها :

ـ أخشى أن تكونى قد تفوقت على أستاذك ٠

واستطردت : وبالطبع سنوافق على هذا ٠٠ سنلبى رغبتهم وننزل الشحنة فى مكان سرى على الشاطىء ولكن هل من المعقول أن يدفعوا الينا الثمن مقدما اعتمادا منهم على وعدنا باننا سنذهب بالشحنةالى المكان السرى المتفق عليه ٠٠ ؟ هذا أمر بعيد الاحتمال ٠٠ والذى سيحدث غالبا هو أنهم سيشترطون الدفع فى مكان التسليم .. أى عندما يتم انزال الشحنة بكاملها الى الشاطىء.وسنجد انفسنا مضطرين الى قبول‌هذا الشرط المحرج ٠ والان هب أنهم كانوا ينتوون الغدر بنا ـ كما ننوى نحن الغدر بهم فيستولون على الشحنة عنوة واقتدارا دون أن يدفعوا الينا سنتا واحدا .. اليس من الجائز أن هذا هو ما يدور فى أذهانهم ٠٠ ؟

ـ ولكن الا يخشون أن تبلغوا الشرطة ضدهم ٠٠ ؟ ومع ذلك فأنهم أن خشوا أن تشوا بهم ، فأنهم لن يدعوكم أحياء ، بل سيطلقون عليكم النار على الفور،ثم يستولون على الشحنة ٠

فقالت : وشيرمان ليس من النوع الذى يقحم نفسه‌فى عراك مسلح ٠ وحتى اذا دفعنا بالمسدس الى يده فانه لا يعرف كيف يستعمله ٠

ـ وما شأن بحارتكم الموجودين بمركبكم ٠٠ ؟ الا يبادرون الى حمايتكم والدفاع عنكم ٠٠ ؟

ـ ما أحسبهم سيفعلون ٠٠ بل أكبر الظن انهم سينضمون الى المهاجمين ، فانهم ليسوا شركاء لنا فى الصفقة ، فقد أفهمناهم أن الشحنة الموجودة بالمركب عبارة عن آلات لعب القمار من الانواع المحظور دخولها الى البلاد ، ولذلك لم نمنحهم الا أجرا شبه عادى ٠٠ ويمكنك أن تتصور ما يمكن أن يفعلوه بنا اذا عرفوا أن الشحنة السرية عبارة عن بنادق ومدافع رشاشة ٠ فهل ترى بعد هذا الايضاح أنه يمكن الاطمئنان الى البحارة والاعتماد على معونتهم ٠٠ ؟

ـ كلا بالطبع ٠٠

فقالت : وهنا يأتى دورك ٠٠ فانك الوحيد الذى تستطيع أن تحمينا ٠٠ ولقد كان بودى أن أمنحك نصيبا يزيد على الثلث ، ولكنك ترى أننا حملنا نصيبنا أنا وشيرمان بجميع المصاريف ٠ فاذا نسبت نصيبك الى صافى الربح لبلغ النصف تقريبا ٠

فارتسمت على شفتيه ابتسامة غريبة لم تفهم مسز انكلر لها معنى وقال :

ـ على أية حال لا أرى ما يدعونى الى المساومة ومطالبتك بزيادة حصتى ٠٠ ومهما يكن فقد وافقت على حراستكم ضد غدر الاخوة أنريكو ٠

ـ تماما ٠٠ هذه هى مهمتك ٠

ثم أردف فى دلال وقد اقتربت منه وفى شفتيها جوع ونهم :

ـ اذا كان الاجر المعروض لا يكفيك ٠ فانى على استعداد لان أمنحك علاوة شخصية من نوع خاص ٠ ان

شيرمان لن يرجع قبل منتصف الليل ، وفى خلال هذه الفترة يتسع الوقت أمامنا لكى أمنحك علاوتك ٠ ! هذا اذا رغبت .. ؟

وبطبيعة الحال كان سيمون تمبلار راغبا ٠

عندما دقت الساعة تسع دقات فى صباح اليوم التالى رن جرس التليفون فى غرفة سيمو نتمبلار ، وكانت دوريس انكلر هى المتكلمة تطلب اليـــه أن يتناول طعام الفطور معها ومع زوجها ٠

وبعد دقائق معدودات كان ينقر على باب غرفتها ، وكانت هى التى فتحت له الباب ، وبدت فى روبهـــا المنزلى نضرة متألقـــة ، تنم عينـــاها على الرضـــاء والابتهاج ، وضغطت يده فى وله ، ثم استدارت تقدمه الى زوجها .

وقال انكلر وهو يصافح تمبلار :

ـ لقد أخبرتنى دوريس بتفاصيل الصفقة التى عقدتها معك ٠٠ والواقع انها هى التى وضعت الخطة كلها بجميع حذافيرها ولذلك لا اعتراض لى اطلاقا على ما تجريه فيها من تعديلات .. فالخطة خطتها ، والأمر اليها فى كل ما تراه .. ومع ذلك فأننى راض أتم الرضاء بانضمامك الينا ووقوفك فى صفنا ٠

وكان يبدو متعبا منهك القوى ، فلما رأى تمبلار يتأمله قال موضحا :

ـ لم أرجع الى الفندق الا فى الثالثة صباحا ٠٠ فقد طال النقاش بيننا ، واتخذنا جميع الترتيبـــات لاتمـــام الصفقة ٠

وجاء أحد الجرسونات يحمل صحاف الطعام ، فقال انكلر :

ـ لقد طلبنا لك الفطور قبل حضورك ، حتى لا تسرع فى تناول الطعام وأنت فى الانتظار ٠

ـ شكرا لكما ٠٠ فانى فى الحق أكاد أموت جوعا ٠

واسترسل انكلر : لقد كابدت مشقة كبيرة فى اقناع الاخوين انريكو بقبول الثمن الذى طلبته ٠

فقالت دوريس : وأنا كابدت مشقة أكبر فى اقناع مستر تمبلار بقبول الحصة التى عرضتها عليه ٠

ومن الغريب أن وجهها لم يحمر حياء وهى تقول ذلك ٠

وبعد أن انصرف الجرسون تابع انكلر الحديث بقوله :

ـ سيحضر الاخوان انريكو الى فندقنا فى منتصف الثانية عشرة ، وفى خلال هذه الفترة يكونون قد فرغوا من اعداد الثمن ٠ وبعد ذلك يذهبون بنا الى فيراكروز فنستقل قاربهم الى عرض البحر حيث يصعدون الى المركب ويعاينون الشحنة ٠ وقد أرسلت برقية فى الليلة الماضية الى ربان المركب أخطره بأن يكون فى انتظارنا على مسافة عشرين ميلا من الشاطىء ٠

فقال تمبلار يسأله : ولكن كيف ستقدمنى الى الاخوين انريكو ٠

فأجابت عنه دوريس : هذا أمر هين ٠٠ سنقدمك اليهما بوصفك شريك شيرمان الذى جاء توا من نيويورك ٠٠ وسنعلل حضورك الفجائى بأننا لم نكتب اليك منذ فترة بما تم فى أمر الشحنة فأدركك القلق وطرت الى المكسيك لتتبين حقيقة ما جرى ، ولتبذل لنا العون فى تصريف الشحنة ٠

وضحك القديس وقال : وكيف أقدم اليهما نفسى ؟ الا تعرفين انهما رأيانى وانا فى المطعم جالس على مائدة

قريبة لا اخاطبكما بكلمة ، فكيف أكون شريكا لكما وقد كان جليا أننى لا أعرفكما ولا تعرفانى .

ـ وهل نسيت أنت أن فى وسعك أن تتنكر على أية صورة تشاء؟ ان لك شهرة فائقة فى المقدرة على التنكر.

فقال القديس باسما : وانت لك فى ثقة كبيرة ٠٠ هل تعتقدين أن فى وسعى أن أجرى بوجهى تنكرا لا يكشفان منه حقيقة شخصيتى .

ـ أعرف أن لك هذه المقدرة الفذة ٠٠ ولكن بأى اسم مستعار نقدمك اليهما ٠٠ ؟ فليكن اسمك من الان فصاعدا سبستيان تومز .

وقال انكلر متسائلا :

ـ أمعك مسدسك ٠٠ ؟

وربت القديس على جانبه الايسر تحت ذراعه وهو يقول :

ـ انه رابض هنا يحن الى معركة حامية ٠٠ ان فى وسعى أن اتكفل بالاخوين مانويل وبابلو وربما أيضا ببعض أصحابهما اذا حاولوا أن يتدخلوا بيننا ، أما أن اتكفل برجال البوليس بأسره فهذه مسألة اخرى ٠٠ فانه ان سارت الامور على ما يرام فانهما سيكتشفان بمجرد انصرافنا ان صناديق الاسلحة المزعومة لا تحتوى الا أكداسا من الحجارة وعند ذلك سيبادرون من فورهم الى ابلاغ الشرطة .

فقال انكلر معترضا :

ـ انهم لن يجسروا على الابلاغ ضدنا ٠٠ كيف يعترفون على أنفسهم بأنهم كانوا يريدون شراء الاسلحة؟

فابتسم القديس قائلا : ومن أنبأك أنهم سيعترفون بهذا ؟ سيوجهون الينا تهمة زائفة لان هدفهم الوحيد هو

اعتقالنا ٠٠ ولا تنس أيضا أن جاليسكو سيطلق فى أثرنا اتباعه يبحثون عنا فى جميع الارجاء ٠ فما هى خطتك بعد قبض النقود ؟

ونظر انكلر الى زوجته التى بادرت تجيب :

ــ لقــد حجزت تــذاكر الى هافانا على طــائرة منتصف الليل التى تغادر فيراكروز فى تمام الساعة الثانية . . وهذا وقت مناسب نكون عنده قد فرغنا من كل شىء ٠٠ فهيا بادر الى التنكر فقد أزف الوقت ٠

ودخل تمبلار الى الحمام ، وكان دائما يحمل معه فى جيب سرى من أدوات التنكر ما يمكن به مواجهة المواقف الطارئة العاجلة ٠ واختلى بنفسه حوالى ثلاثين دقيقة ٠ ان ما يبغيه ليس هو التنكر الكامل وانما حسبه ان يجرى بوجهه تغييرات طفيفة لا يشك معها الاخوان انريكو انه هو نفسه ذلك الرجل الذى كان جالسا فى المطعم ساعة العشاء يخالس دوريس النظر ، ويستمع الى الحديث الذى دار بين الزوجين عن شحنة الاسلحة ٠

بث فى شعره الاسود خصلات من الشعر الابيض الشائب ، بأن نثر عليه دهانا بدا وكأنه خطى المشيب ، والصق تحت أنفه شاربا صغيرا أبيض طغى عليــه الشيب ، ووضع على عينيه نظارة ذات زجاج سميك واطار أسود عريض ٠٠ ثم راح يتأمل نفسه فى مرآة الحمام راضيا ٠٠ كان على يقين من أن الاخوين انريكو لن يفطنا الى حقيقة أمره ، وحتى عندما خرج على آل انكلر من الحمام لم يملك الزوجان الا أن يحملقا فيه دهشة ، فقد استحال عليهما أن يعرفاه ٠

وصل الاخوان انريكو الى الفندق فى الساعة المحددة دون أن يتخلفا دقيقة واحدة ٠ وقدم انكلر اليهما سيمون

تمبلار فصافحاه فى بساطة وتقبلا صفته كشريك دون أى استغراب او تساؤل ٠

وكان فى انتظارهما بباب الفندق سيارتان من طراز الكاديلاك ، يقود كل سيارة منهما سائق خاص ٠

وأشار مانويل الى آل انكلر بأن يستقلا احدى السيارتين ، وبادر السائق يفتح لهما الباب فى احترام ، اما تمبلار فاتخذ جلسته فى المقعد الامامى الى جوار السائق ٠ أما مانويل فجلس فى المقعد الخلفى بجانب الزوجين ٠ وابتسم مانويل قائلا فى شىء من الدعابة :

ـ اما بابلو فسيركب السيارة الاخرى وحده فانه هو الذى يحمل حقيبة المال ٠

كانت كلماته حقا نوعا من الدعابة ٠ ولكن تمبلار استشف حتى من هذه الدعابة ان الاخوين انريكو ليسا من أصحاب الغفلة والبلاهة ، بل يتميزان بالحرص والحذر ، وراح يسائل نفسه عما ينطوى فى هذه المخاطرة وهل تسير الامور فى هدوء فيتم الاستلام والتسليم وفقا لما رسمته دوريس ٠

وبجانب عينه استطاع تمبلار أن يتأمل سائق السيارة الجالس الى جواره ٠٠ لم يكن هناك شك فى أنه ملاكم محترف ، ولم يكن هناك شك أيضا فى أنه يحمل مسدسا ٠

ومع ذلك فليس فى هذه الحيطة ما ينذر بأنهم يبيتون الغدر لال انكلر ، فانهم يحملون قدرا كبيرا من المال فلم لا يتخذون من أسباب الحيطة ما قد يقع من انقضاض احدى العصابات المسلحة ٠

وكان مانويل مضيفا ممتازا رائعا ، فقد مضى طيلة الطريق يروى لهم حكايات مسلية رفهت عنهم طول الرحلة

وامتدادها ·· ولم يتحدث أبدا ـ ولو بكلمة واحدة ـ عن صفقة السلاح ·

وتناولوا طعام الغداء فى بويبلو ، ثم تابعوا طريقهم متجهين الى الشاطىء وما لبث تمبلار أن داعبه النعاس وغرق فى النوم ·

وبلغوا فيراكروز وقد هبط المساء ، واخترقوا الشوارع المزدحمة الصاخبة ذاهبين الى فندق موكامبو.
وقال مانويل : سنمضى الليلة هنا ، ويمكننا أن نتناول عشاءنا الان ·

وبعد أن فرغوا من الطعام ذهبوا الى نادى نوتيكو ، وعندما هبط من السيارة لاحظ ان بابلو لم يكن خلفهم فى سيارته كالمعتاد · وأجابه مانويل على تساؤله بقوله :
ـ اذا سارت الامور على ما يرام فانه سيحضر بعد قليل ·

وبعد أن امضوا فى النادى ساعة أو بعض ساعة استقلوا السيارة مرة أخرى وذهبوا صوب الشاطىء · وكان فى انتظارهم قارب بخارى مزود بالمقاعد الوثيرة فعاونهم بحارته على الصعود اليه · وكان البحارة من نفس الطراز الذى تبينه تمبلار فى سائق السيارة : كان جليا أنهم من الاشرار العتاة ، ولم يكن هناك شك فى أنهم من رجال العصابات ·

ودار محرك القارب ، وصدر عنه هدير مخيف ، وبدأت الميناء تتباعد وتتلاشى وهو يشق طريقه الى عرض البحر ·

وقال مانويل متسائلا :
ـ الى أين تريد أن تتجه ؟

ـ الى الشمال ‥ على مسافة عشرين ميلا من الشاطىء ٠

وأصدر مانويل تعليماته الى ربان القارب باللغة الاسبانية ٠

وقال مانويل مقترحا : فلنهبط الى باطن القارب ، فقد أعددت جميع أنواع الشراب ‥ ولن نبلغ المركب الا بعد انقضاء ساعة على الاقل ٠

وهبطوا الى بطن القارب ، وكان البار مزودا حقا بأجود أنواع المشروبات ٠ ولكن الجو فى الداخل كان حارا خانقا تضايق له تمبلار فضلا عن أن هدير الالات كان يزعجه ، وقد كان يتمنى أن يخلو بنفسه فى ركن هادىء من القارب حتى تتاح له فرصة للتفكير فيما يمكن أن يحدث ، وكيف يواجه الامور اذا تطور الموقف وتأزم ٠

وأخيرا هدأ القارب من سرعته ، وتضاءل هدير المحركات ، ثم توقفت تماما ، فصعدوا الى ظهر القارب ، ورأى تمبلار على البعد هيكل مركب راسية ، وكانت بها أنوار قليلة تتلالا فى الظلام ٠ وأشعل مانويل بطارية كاشفة قوية وأرسل ضوءها الوهاج عبر المياه تدور بأنحاء المركب وكانت صغيرة الحجم لا تزيد حمولتها على ثلثمائة طن ، وخطر لسيمون تمبلار انه لو كان مانويل دقيق الملاحظة لادرك على الفور ان مثل هذه المركب الصغيرة لا يمكن أن تكون قد عبرت المحيطات فى طريقها الى ايران ثم قفلت راجعة ٠ فلو أن مانويل كان على قدر كاف من الذكاء لداخله الشك فى هذه اللحظة فى أمر الصفقة مادامت هذه هى المركب التى زعموا أنها قادمة من ايران ٠

وأرسلت المركب ثلاث اشارات ضوئية متتابعة فقال انكلر :

ـ آه .. هذه هى الاشارة المتفق عليها .. هذه اذن هى مركبنا

وأصدر مانويل تعليماته بالاسبانية بالاقتراب من المركب ، فلما كادا يتلاصقان شد البحارة القارب الى المركب بالحبال ، ثم أنزل بحارة المركب سلما ولوحا من الخشب ثبت الى القارب .

وقالت دوريس انكلر :

ـ اصعدوا انتم الى المركب وسأنتظركم هنا .

وعبر مانويل اللوح الخشبى وارتقى الدرج وفى رفقته شيرمان انكلر اما زوجته فبقيت فى القارب وفى صحبتها سيمون تمبلار أو تومز سبستيان وهى الاسم المستعار الذى اتخذه لنفسه فى هذه الاونة .

وأشعل تمبلار سيجارتين ، ناول احديهما الى دوريس ، ولبثا مكانهما ينتظران ويترقبان .

وهمست دوريس فى صوت خافت تحدث تمبلار :

ـ هذا أول مكان يمكن أن تبدأ منه الكارثة لو أن مانويل اختار صدفة أحد الصناديق المملوءة بالحجارة وطلب معاينة محتوياته ، عندئذ تنكشف اللعبة وتسمع دوى الرصاص .

فقال تمبلار يهدىء من اضطرابها :

ـ لا داعى للقلق والتوجس .. انتظرى حتى يقع ما يمكن أن يقع ولكنه كان يشعر بتوتر أعصابها ، فقد كانت متعلقة بذراعه وهى ترتعد . وكان هو نفسه مشدود الاعصاب يستنجد برباطة جأشه .

ومضت نصف ساعة

واخيرا شاهد مانويل يظهر على رأس الدرج وفى أثره شيرمان انكلر · واستطاع بما ارتسم على وجهيهما أن يدرك ان الامور سارت على ما يرام ، وأن الخديعة لم تنكشف ·· حتى الان على الاقل ·

وأصدر مانويل تعليمات جديدة الى ربان القارب ، فابعد به عن المركب راجعا الى الشاطىء ·

وهبطوا جميعا الى بطن القارب للمـــرة الثانية .. وللمرة الثانية دارت عليهم أقداح الويسكى ·· ورفع مانويل كأسه وقال :

ـ نخب حظنا السعيد ·

وقالت دوريس وهى تدنى الكأس من شفتيها :

ـ هل كل شىء على ما يراه .. ؟ هـــل أعجبتكم الاسلحة .. ؟

فأجاب مانويل : ان زوجك رجل أعمال ممتاز ·· فلديه البضاعة المطلوبة للعملاء الذين يريدون الشراء ·

وهتفت دوريس : انك رائع ياشيرمان .. !

وطغى عليها شعور من الابتهاج ، وزال عنها ماعراها من توتر الاعصاب ، فما ملكت الا ان القت بذراعيها حول عنق زوجها وقد استطارها الفرح وقبلته ، ثم تحولت الى تمبلار فقبلته بدوره . ولبث مانويل يراقب هذا المشهد وهو يبتسم .

وقال مانويل : ان مركبك يتبع الآن قاربنا الى قرية منعزلة يسكنها الصيادون ، فقد أمرت رجالى بالانتظار هناك لتفريغ الشحنة ·

فقال انكلر متسائلا : أهى بعيدة هذه القرية ·· ؟

ـ سنصل اليها بعد ثلاث ساعات تقريبا ·· ولن نشعر بطول الطريق أبدا فان لدينا هنا المزيد من الشراب ·

والتفت انكلر الى تمبلار قائلا :

ـ وسيكون بابلو فى انتظارنا هناك ومعه ثمن الصفقة ٠

وذكر تمبلار عند هذا أنه بوصفه شريكا يجب أن يعرف المزيد من المعلومات ، ويجب أن يتدخل فى الحديث ، فقال :

ـ ومتى نقبض الثمن ٠٠ ؟ وأرجو أن لا يضايق هذا السؤال مستر مانويل فانه العمل ، ولا يمكن أن ينجح عمل تدخله المجاملات الكاذبة ٠٠ لقد طلب أن يعاين البضاعة قبل الدفع وهذا من حقه طبعا ٠ وأعتقد أنه من حقنا أن لا ننزل الشحنة من المراكب الا بعد أن نقبض الثمن ٠

فقال مانويل وهو يبتسم : سيدفع لكم بابلو الثمن بمجرد أن أخبره أن الأمر على ما يرام .. نصف مليون من الدولارات ٠٠ نقدا وعدا ٠

ولم يكن هناك ما يمكن أن يقال بعد ذلك ، فساد الصمت بينهم ٠

وخيل لسيمون تمبلار أن الرحلة الى قرية الصيادين لم تستغرق ثلاث ساعات فحسب ، وانما استغرقت ثلاثين ساعة على الاقل ٠ وكان على يقين من أن نفس الشعور خالط انكلر وزوجته أيضا ٠ ولكن كان هناك ـ كما قال مانويل ـ المزيد من الشراب ٠ ولكن تمبلار كان حريصا على أن لا يفرط فى تناول الخمر حتى لا تغلبه على أمره ، فتفقده السيطرة على نفسه فيجد نفسه عاجزا عن مواجهة المآزق التى قد يجد نفسه غارقا فى غمارها ، فمضى يجرع ما فى كأسه متمهلا ٠ أما انكلر فأخذ يعب من الشراب عبا ، وما يفرغ كأسه حتى يعاود ملئه من جديد ، لولا أن فطنت زوجته الى أمره فرمته بنظرة

محذرة ، فوضع الكأس أمامه ، وتباطأ فى افراغها فى جوفه ٠

وقال مانويل : أنى لشديد الامل فى أن نعقد فى المستقبل القريب صفقات أخرى ، ولكنها ستكون اذ ذاك صفقات علنية لا نجريها فى الخفاء كهذه الصفقة .. وحتى يحين ذلك الوقت فانى على يقين من أنكم ستنسون كل ما حدث الليلة .. نعم .. أنى مؤمن من أنكم لن تنطقوا أسماءنا بعد اليوم ٠

وتساءل تمبلار فى نفسه عما اذا كان لهذه الكلمات معنى آخر خفى ؟ . تراه يطلب اليهم الكتمان ، أم أنه يريد أن يقول انه سيخرس السنتهم فلا يتكلمون بعد الان ، لانهم سيكونون أمواتا ٠٠ أترى ينوى الاخوة أنريكو أن يغدروا بهم فيستولوا على الشحنة عنوة ، ثم يفرغوا فى صدورهم رصاصات مسدساتهم هم ورجالهم الذين ينتظرونهم فى قرية الصيادين متربصين .. ؟

واخيرا مرت الساعات الثلاث ، واقترب القارب البخارى من الشاطىء ، وهدأ من سرعته ، ثم ألقى مرساه ، وهبطوا منه جميعا ، وتمبلار فى حيرة من الامر لا يدرى ما يمكن أن يحدث ٠٠ أهو كمين منصوب تدوى فيه الطلقات النارية ، أم يظفرون فى سلام بنصف مليون من الدولارات ٠٠ ؟

كان الهواء ساكنا ومليئا بالرطوبة ، ومع ذلك كان منعشا لطيفا بعد هذا الجو الخانق الذى كابدوه داخل قمرة القارب البخارى ٠ وكانت السماء فوق رؤوسهم صافية زرقاء تلتمع فيها النجوم وتتالق ٠ وعلى مسافة اميال لمح تمبلار أنوار قرية صغيرة تبدو فى جوف الليل وكانها نظرات فهد تشع الشر فى الظلام الكثيف : ومضى

يتساءل عما تخبئه له القرية ومن فيها من رجال ٠٠ أتراهم من أعوان الاخوة أنريكو ، وانهم لن يلبثوا ان ينقضوا عليهم ويستولوا على الشحنة ويقتلوا بحارة المركب ؟

وكانت المركب التى تحمل الشحنة تتبعهم عن كثب ، فلما توقف القارب ألقت المركب بدورها مراسيها على مسافة قريبة من الشاطىء اذ استحال عليها أن تقترب منه والا أرتطم غاطسها بقاع البحر ٠

وقال انريكو يخاطب أنكلر :

ـ لقد استحال على المركب أن ترسو على الشاطىء مباشرة ، ولذلك يذهب اليها رجالى فى قوارب صغيرة فيأتون بالشحنة ٠

وهتف انكلر بالربان المكسيكى يطلب اليه أن يسمح للحمالين القادمين اليه بنقل الشحنة فى قواربهم ٠ ولكنه ما لبث أن أردف :

ـ ولكن اياك أن تسمح لهم بنقل الشحنة الا اذا أعطيتك الاشارة المتفق عليها ٠

وأجاب الربان صارخا من مركبه وسط المياه :

ـ حسنا ٠٠ سأفعل ذلك ٠

ومشوا بضعة أمتار حتى انتهوا الى رصيف مشيد بالحجارة ويمتد داخل المياه ٠ وكان على الرصيف نحو عشرين رجلا من الحمالين تفوح من ثيابهم رائحة السمك والعرق ٠ وكانت هيئتهم توحى بالخشونة والشراسة ٠ وتشبثت دوريس انكلر بيد سيمون تمبلار ، وكانت يدها باردة مثلجة ، وتردد أنكلر فى خطاه قليلا ٠ وكأنما شعر مانويل بما يلابس الموقف من توتر،او كأنما استشف ما جال بخواطرهم من بوادر الخوف والتوجس ، فلوح بيده ناحية الحمالين قائلا :

ـ انهم جميعا من اعوان صديقنا جـاليسكو ٠٠ فاطمأنوا ٠٠ أن هذه القرية أحدمعاقلنا التى يعتمد عليها الحزب

ولقد اراد ما نويل بهذه الكلمات أن يبعث الطمأنينة فى قلوبهم ولكنها فى الواقع بعثت المخاوف اشد ما تكون اثارة ٠ فاذا كانت هذه القرية احد معاقل الحزب ، فمعنى هذا ان هؤلاء الرجال العشرين ياتمرون بأوامر مانويل ، ويصدعون بتعليماته ٠ فحسبهم أشارة واحدة من يدهلكى ينقضوا على انكلر ورفاقه فيذبحوهم ذبح النعاج ، ثم يقذفوا بجثثهم الى جوف اليم دون أن يدرى بهم انسان

وقادهم مانويل الى رصيف المرسى.وكانت على مقربة منه عدة عربيات للنقل ، تبدو فى الظلام وكأنها وحوش كأسرة تتربص . وفى الضوء الخافت شوهد وجه رجل يدخن سيجارة ، وكان هذا الرجل هو الشقيق الثانى لمانويل ، وحامل المال ٠

وتبادل الاخوان ـ مانويل وبابلو ـ حديثا خافتا باللغة الاسبانية لم يتبين منه تمبلار الا قول بابلو : « طبعا .. طبعا .. لا مانع .. انى موافق » .

وقال بابلو يخاطبهم : تعالوا ورائى ٠

وابتعد بهم عن عربات النقل ، متجها الى حيث كانت السيارة الكاديلاك رابضـــة تحت شجرة كبيرة ، والى جانبها سائقها الضخم الذى له هيئة الملاكمين المحترفين ٠

وتحول بابلو الى مؤخرة السيارة ، وفتح حقيبتها ، فأضاءها نور أتوماتيكى ، كشف لانظـــارهم حقيبـــة متوسطة الحجم داخل تجويف السيارة .

وقال بابلو فى ايجاز :ـ هذا هو الثمن ٠٠ انه لكم ٠

وتقدم انكلر خطوة الى الامام ، وفتح الحقيبة فى بطء وتمهل ، كمن يتوقع أن تكون فيها قنبلة تنفجر بمجرد رفع الغطاء ، أو كأنما يخشى أن تكون فى داخلها حفنة من الافاعى السامة تثب عليهم وترديهم الموت بغير رحمة ·

وشعر تامبلار بدوريس وهى ترتجف بجواره وقد التصقت به ·

ولم تكن فى الحقيبة قنبلة أو أفاعى سامة،وانما كانت زاخرة بالاوراق المالية أكداسا فوق أكداس ·

وقال مانويل فى بساطة :ـ عدوها ·· !

وتناول انكلر احدى الرزم ، وجرى عليها بأصابع خبيرة حاذقة وسريعة · ثم أخذ يتناول الرزم الاخرى ويقارن سمكها بسمك الرزمة الاولى التى أتم عد أوراقها المالية . وانضمت اليه دوريس عندما بدأ يحصى عدد الرزم ذاتها · وبعد ذلك تناول عدة أوراق من مختلف الرزم وفحصها على ضوء بطارية صغيرة حتى يطمئن الى أنها غير مزيفة · وكانت جميعها من فئة العشرين والخمسين دولارا ·

وكان القديس واقفا على بعد يرقب ما يجرى ، ولكنه فى خلال ذلك كان يدور بعينيه من حين لاخر فينظر خلفه متفحصا متحفزا ·

اذا كان هناك كمين منصوب فانه لن يؤخذ على غرة ، وانما سيكون متأهبا للصدام · ولكنه لم يشعر بأية حركة أو ايماءة توحى بالغدر ·

وكان سائق السيارة واقفا فى مكانه جامدا ، كأنه تمثال من الحجر اما الاخوان انريكو فكانا يتبادلان الحديث فى صوت خافت · وتبين تمبلار من الكلمات

القليلة التى تناهت الى آذنه أنهما كانا يرسمان خطة لنقل الشحنة وتخزينها ٠

وانتهى انكلر أخيرا من مهمة فحص النقود وعدها ، فقال وهو يفرك يديه جذلا :

ـ كل شيء على ما يرام ٠

وأشعل مانويل سيجارة وهو يقول :

ـ حسنا ٠٠ والان يمكنك أن تصدر الاشارة الى مركبك لتسليمنا الشحنة ، فان رجالى هناك فى الانتظار ٠

ـ بكل ارتياح ٠

ومشى مانويل الى رصيف المرسى وانكلر فى رفقته ٠

واقفلت دوريس انكلر حقيبة المال واخرجتها من باطن السيارة ، وترنحت قليلا تحت ثقلها قبل أن تضعها على الارض ٠

وقالت وهى تطلق ضحكة نمت نبراتها على توتر أعصابها :

ـ يا لله ٠٠ ! ما أشد ثقلها ٠٠ !

وحين هم تمبلار بان يلمس الحقيبة ليتأكد من مدى ثقلها يدفعه الفضول قالت له :

ـ أعطنى سيجارة من فضلك ٠

وناولها سيجارة ، وتولى بابلو اشعالها ٠

وقال بابلو باسما : انه مبلغ ضخم من المال ٠٠ يمكن أن تشترى به أكداسا من الاشياء الجميلة ما دام لك زوج يحبك ٠

فقال القديس معقبا : ما أحسبنى أطمئن لحظة واحدة وانا أحمل مثل هذا المبلغ الضخم ٠ أن أعصابى لا تهدأ

الا اذا رايته مودعا فى البنك ، وفى جيبى بدلا عنه دفترا للشيكات •

وضحك بابلو ، واخذا يتبادلان حديثا عاديا لا أهمية له ، حتى سمع تمبلار وقع خطوات ، مانويل وانكلر وهما راجعان •

لو كانت هناك خدعة أو نية للغدر ، فهذا أوانها ، فليس منطقيا أن تبدأ الطعنة الخفية قبل عودة مانويل ، حتى يطمئن الاخ بابلو الى أن أنكلر أصدر تعليماته بتسليم البضاعة الى الحمالين •

وتحفز تمبلار وشد قامته ، وتوترت كل عضلة فى جسمه . وكانت يده مرهفة تترقب ايماءة بسيطة لكى يستل مسدسه فى سرعة البرق ، أو لكى يطلق قبضته بلكمة ساحقة .

ولكن شيئا مما توقع لم يحدث •

وقال مانويل ، أن تفريغ الشحنة من المركب يستغرق بضع ساعات ، فهل تحبون أن نعود الى القاربونتناول كأسا من الشراب ؟ •

ونظرت دوريس الى زوجها وقالت :

ــ الا يمكننا أن نعود الى الفندق .. ؟ انى متعبة واشعر بالجوع . وقد بدا الناموس يلذعنى بلسعاته .

فأجابها مانويل : اننى مضطر أن أبقى هنا مع أخى بابلو حتى نتابع تفريغ الشحنة . وسنكون فى حاجة الى جميع رجالنا • بل اننا قد نحتاج أيضا الى السائق • ومع ذلك فيمكنكم أن تستقلوا احدى السيارتين على أن يقودها أحدكم . والطريق الى فيراكروز سـهل معبد ، ولن تضلوا .

فقال انكلر متظاهرا بالاعتراض :

ـــ وما يكون من شأنكم أنتم .. ؟

ـــ سنلحق بكم فيما بعد..واذا لم تتسع لنا السيارة الاخرى جميعا ركب بعضنا سيارة من سيارات النقل ٠

وهكذا ـــ وعلى غـــير انتظار ـــ وجدوا أنفسهم وقد تهيأت لهم فرصة نادرة يتخلصون بها من الاخوين أنريكو ، فاتجهوا الى السيارة وقد امتلأت قلوبهم بهجة ورضـــاء ..

وحمل شيرمان الحقيبة المكتظة بأوراق البنكنـــوت ووضعها فى المقعد الأمامى للسيارة . وجلس الى جانبها وراء عجلة القيادة ٠ وقال ضاحكا :

ـ انى لا أريدها أن تغيب عن بصرى ٠

وقبل الاخوان أنريكو يد دوريس مودعين ، فصعدت الى المقعد الخلفى للسيارة ، وصافحهما تمبلار واتخذ مجلسه بجانبها ٠

وان هى الا لحظات حتى كانت السيارة منطلقة بالثلاثة فى طريق فيراكروز ٠

ويبدو انهم قطعوا نحو ميل وهم صامتون لا ينطقون بكلمة ، كأنما يخشون أن تتسرب كلماتهم الى آذان الاخوين انريكو ، رغم المسافة التى تفصل فيما بينهم ٠

وعلى حين فجأة ، شقت دوريس ستر السكون السائد بصرخة داوية تنبىء بالابتهاج ، وهتفت :

ـ لقد نجحنا ٠٠ ! حصلنا على المال ، ثم هربنا ٠٠ ! لقد نجحنا ٠٠ !

ثم مالت الى الامام وهى فى المقعد الخلفى للسيارة والقت بيديها على كتفى زوجها وهى تهزه فى انفعال ، وما فتئت تردد :

ـ لقد نجحت الخطة ٠

فقال زوجها ونبرات صوته تنبىء بما يعتمل فى صدره من انفعال :

ـ نجحت الخطة بأكثر مما كنت أتوقع ·· لقد خطر لى فى اللحظة الاخيرة أن السائق سيرافقنا ، فلا تكون أمامنا مندوحة من التخلص منه · ولكن ها نحن أولاء وحدنا ، وفى طريقنا الى خارج البلاد دون أن يعترض سبيلنا أحد ·· والان تماسكى والا اصطدمنا بشجرة ·

فرفعت يديها عن كتفيه ، وارتدت ثانية الى مقعدها ، وهى ما تزال تضحك فرحا ·

وفى خلال ذلك كان سيمون تمبلار قد مد يده خفية تحت سترته ، وتناول المسدس المهيأ للانطلاق ، والذى لم تدع الحاجة الى اطلاقه ، ونقله الى الجيب الذى يحتفظ فيه بعلبة سجائره ·

وقال القديس : اذن فلم تكونا فى الواقع فى حاجة الى حمايتى ·· لقد التزم الاخوة انريكو بأصول الشرف وفقا للمعنى الذى تؤمنون به ، ولم يتعرضوا لكما بسوء ·· ويبدو أنهم لا يتورعون عن اختلاس أموال الدولة وسرقة أموال الشعب وارسال أعوانهم للموت فى سبيل تحقيق مطامعهم ـ ولكنهم فى الوقت ذاته حريصون على الوفاء بديونهم بأمانة وشرف ·

ثم ضحك تمبلار وأردف :

ـ يخيل الى أن الشرف موجود حتى بين فئات معينة من اللصوص ·

وكفت دوريس بغتة عن الضحك ، واعتدلت فى جلستها ، ثم نهدت من صدرها تنهدة عميقة ، وقالت فى صوت متهدج :

ـ أتريد الحقيقة ·· ؟ اننا سعداء اذ التقينا بك ·· نعم ·· ما أعظم سعادتنا لوجودك معنا ·· !

وفجأة ·· كانت شفتاها على شفتيه ·· فى جوع ونهم ، والتصق جسدها بجسده ينفث حرارة ودفئا ، وطوقته بذراعها فى لهفة ، وراحت يداها تجريان على بدنه تتحسسه أناملها بلوعة واشتياق ·

وكما ألقت بنفسها عليه بغتة ، تناءت عنه بغتة ، ولاذت بأقصى المقعد متباعدة عنه ·

وحين نظر اليها ، وجد فوهة مسدس مصوبة اليه ·

وما كان هذا الا مسدسه الذى كان فى جيب سترته منذ لحظات ·

وقالت فى كلمات سريعة لاهثة :

ـ اذا كنت انت لم تستعمل مسدسك ، فأننى التى ساستعمله ·· حذار أن تأتى بحركة والا أطلقت عليك النار ·· !

ثم وجهت الحديث الى زوجها قائلة :

ـ شيرمان ·· قف بالسيارة ولا تخف ·· فانه تحت رحمة مسدسى ·· بل تحت رحمة مسدسه هو ان شئت ·

ـ ٦ ـ

لم يتحرك سيمون تمبلار من مكانه ·

بل لبث يتأملها بنظرة ثابتة ، بل قل بنظرة حزينة يشيع فيها الاسى ، على حين خفضت السيارة من سرعتها تدريجيا حتى وقفت على حافة الطريق ·

وهنا تكلم القديس لاول مرة ·· قال :

ـ الرجل الساذج كان يمكن أن يصدقك ويؤمن بما تقولين ، وبراعتك الفذة فى التمثيل كانت خليقة بأن تجعله يطمئن الى اخلاصك وولائك · ولكننى لست بالرجل الساذج ·· ولذلك توقعت أن تكون فى الامر خدعة ، ولم يغب عنى أنك لن تترددى فى أن تقذفى بى الى قارعة الطريق فى اللحظة المناسبة .

فضحكت وقالت فى سخرية :

ـ والرجل الساذج أيضا يمكن أن يتصور أننى سأرمى بك الى قارعة الطريق ·· ! كلا يا صديقى ·· انى ما مازلت فى حاجة اليك . . فى أول الأمر كنا نتوقع أن يجنح الاخوة انريكو الى العنف والشراسة ، ولم نستبعد أن تنشب معركة بيننا وبينهم نحتاج فيها الى مساعدتك وحمايتك ، فالدنيا تشهد لك بأنك خير من يستطيع أن يواجه المعارك الطاحنة ثم يفلت منها · ولذلك كنا فى مسيس الحاجة اليك فجئنا نسعى اليك ننشد عونك وحمايتك · ولذلك عرضنا عليك أن تشاركنا بحصة الثلث · أما الان ·· فأنت شريك باهظ الثمن ، ما دام الخطر الذى توقعناه قد انجاب عنا .

فقال القديس فى سخرية :

ـ وبذلك ستكون حصتى بضع رصاصات تستقر فى جسدى ·

ـ هذا يتوقف عليك ·· يكفى أن تأتى بحركة مخادعة لتنال حصتك على الفور ·

ـ على انها ما لبثت أن أردفت :

ـ مع ذلك ، فاننا لا نبغى قتلك ، فانك تفيدنا حيا أكثر مما تفيدنا ميتا · ففى وسعنا أن نتركك وراءنا ونهرب ·· نتركك لهم أو للشرطة ، وحين يعرفون شخصيتك ومن

تكون ، فانهم لن يحفلوا بنا ولن يهتموا بمطاردتنا ٠

فقال فى كلمات متمهلة :

— وهذا ماتوقعت منكم .. لقد خطر لى أنكم رسمتم خطتكم على هذا الأساس .

فرمته بنظرة نفاذة ، أعقبتها بضحكة ساخرة وقالت :

ـ أحقا خطر لك هذا ٠٠ ! ما أذكاك اذن ٠٠ !

وأدار زوجها رأسه اليها وهو ما زال جالسا فى مقعده الأمامى وقال يستحثها :

— حسبنا ثرثرة .. لا تضيعى الوقت يا دوريس ..

فقالت فى اقتضاب : اسكت يا شيرمان ٠٠ فانه يلذ لى أن أسمع ادعاءاته ومبالغاته ٠٠ فليس معقولا أنه استطاع أن يخمن خطتنا ٠

فقال تمبلار : انه ليس مجرد تخمين..بل هو تحليل عقلى واستنتاج منطقى ٠٠ واذا نسقنا المقدمات تنسيقا سليما فلابد أن نصل الى نتيجة سليمة ٠

فقالت ونبرات التهكم ما زالت تغلف صوتها :

ـ وكيف كان ذلك ٠٠ ؟

فقال تمبلار فى استخفاف :

ـ أتذكرين يا حبيبتى الغالية تلك المحاضرة الرائعة التى ألقيتها عليك ووصفتك فيها بالكرم والسخاء ٠٠؟ كانت هى البداية ٠٠ نقطة الارتكاز ٠٠ مفتاح اللغز ٠

وكانت تنصت اليه وهى لا تدرك تماما ما يعنيه ، فاسترسل :

ـ لقد جئت الى تعرضين على نصيبا بحق الثلث بعد أن قمت أنت وشيرمان بكل العمل ٠٠ الخطة رسمت بمعرفتكما ٠٠ وجميع الخطوات التمهيدية لم يكن لى شأن بها ٠٠ والاتصالات والتمهيدات وكل شىء ٠٠ ومع ذلك

عرضت على الثلث ٠٠ ! من أجل ماذا ٠٠ ؟ من أجل شيء تافه .. لم تطلبي مني الا أن أكون حارسا .. ! مجرد حارس مسلح ٠ ! فهل سمع أحد عن حارس يتقاضى ثلث الغنيمة،بينما واضع الخطة ومنفذها لن ينال الا اقل من الثلث اذا ادخلنا في أعتبارنا ما انفقت أنت وزوجك ٠٠ في مهنتنا هذه لا يحصل الحارس الا على بضع مئات من الدولارات ٠٠ أما ثلث الغنيمة ٠٠ ؟ فأمر يثير الشك ٠ ! وهذا ما حدث ٠٠ ثارت شكوكي ٠٠ كان الطعم كبيرا ٠٠ كان أكبر ٠٠ من المألوف ٠٠ وتيقنت من أن في الامر خدعة ٠

فسألته في استغراب : اذن فلماذا قبلت الاشتراك معنا ٠٠؟

ـ من باب الفضول وحب الاستطلاع ٠٠ أردت أن اعرف تفاصيل الخطة ، ومدى نجاحك في تنفيذها ٠٠ وخطر لي أيضا أن من المحتمل انني مخطيء في تصوراتي ٠٠ أليس من الجائز أن يكون في نيتك حقا أن تقدمي الى ثلث الغنيمة ٠٠ ؟ أما اذا كنت تنتوين خديعتي ، فانني أعرف كيف ألقنك درسا لا ينسى ، فما يليق أن يتجاسر التلميذ فيرفع يدا في وجه أستاذه ٠

فضحكت في غير مبالاة وقالت :

ـ وأنت الاستاذ طبعا ، وأنا التلميذة ٠٠ ! كم أنا في شوق الى هذا الدرس الذي لا ينسى ٠٠ !

ودون أن تحول بصرها عنه ، ودون أن تنحرف فوهة المسدس المصوبة الى صدره ـ مدت يدها الطليقة ففتحت باب السيارة وهبطت منها ، وتركت الباب مفتوحا وراءها ٠ وكذلك نزل شيرمان من الناحية الاخرى من السيارة ٠

وقالت فى صوت ثابت النبرات : انزل يا تمبلار ·
فقال تمبلار فى صوت بادى الرقة :
ـ لقد اعتدت أن أسمع هذه العبارة عندما توشك المعركة أن تبدأ وتستمر ·
ولكنه لم يحاول أن يقاوم ، وانما غادر السيارة فى هدوء فأومأت اليه بفوهة المسدس أن يبتعد قليلا عن السيارة ·
وكانت ممسكة بالمسدس بطريقة تدل على خبرتها ، وعلى أنها متدربة تحذق اطلاق النار ، وجعلت بينها وبينه مسافة كافية تأمن معها أن ينقض عليها فيجردها من سلاحها ·
وأراد أن يوليها فرصة أخيرة فقال :
ـ يبدو لى أنه يجب أن أتخلى عن أصول الشهامة والنبل ، فأتكلم بصراحة وان كان فى هذا ما يحرجك ، فأسألك المعذرة ·· لقد كان جليا فى الليلة الماضية أنك كنت تهيمين بى حبا وغراما ، فقد أخذتنى بين ذراعيك منتشية سكرى بالحب ، فلماذا لا نزيح زوجك من الطريق ، ونؤلف معا ـ أنت وأنا وحدنا ـ فريقا جديدا نغزو به الارض ؟
فهزت رأسها قائلة :
ـ وهل حسبته زوجى حقا . أنه أخى ·· ! ولكننا نظهر دائما بمظهر الزوجين ففى هذا ما يساعد على تنفيذ خططنا ·· ولا أكتمك يا تمبلار أننى أميل اليك ، ولكن وجودك يعرقل خطتى وأنا حريصة على هذا النصف المليون ·
فقال فى بساطة : هذا شىء يؤسف له ·
وفى هذه اللحظة لم تخطىء عينه ـ على ضوء أنوار

السيارة ـ البريق الخاطف الذى التمع فى عينيها والاختلاجة الخفيفة التى تبدت فيهما ، كما لم تخطىء أذناه الصوت الخافت الذى سمعه وراءه ·

وفى حركة سريعة مفاجئة استدار على غير توقع وانتظار ·

رأى شيرمان انكلر يتسلل خلفه وفى يد اليمنى شيئا يشبه الأجنة الحديدية وكانت يده فى هذه اللحظة تهبط بقوة تسعى الى رأس تمبلار ·

ولكن تمبلار كان أوفر منه سرعة ، فقد غاص بحركة سريعة وأبعد رأسه عن المرمى ، وفى الوقت ذاته دفع قبضته اليسرى الى أعلى مستقرة تحت ذقن انكلر فى لكمة ساحقة ، بدأ لها صوت كدقات المطرقة ·ومن المؤكد أن آنكلر كان قد بدأ يفقد الوعى وينهار قبل أن يعاجله تمبلار بيمينه بضربة قاضية طوحته بعيدا فارتطم بالسيارة ، وهوى الى الارض وقد فقد الوعى ·

وتحول تمبلار مستديرا الى دوريس انكلر ·

وفى تلك اللحظة كانت تصوب اليه مسدسها ، واصبعها على الزناد وفى عمد واصرار ضغطت الزناد · ولكن كان هذا كل شىء ·

لم يسقط تمبلار أرضا مضرجا بدمائه ، وانما ظل مكانه لا يهتز ولا يرتجف · بل كان على العكس يبتسم ·· وكانت فى ابتسامته سخرية مريرة ونقدم اليها فى خطوات متمهلة وانتزع المسدس من يدها ·

وقال : ما كان ينبغى أن تفعلى هذا ·· ! ما كان ينبغى أن تتعمدى اطلاق النار على ·· ؟ الا تدركين أنك بعملك هذا حرمت نفسك من تسامحى وعفوى عنك ·· ؟ لقد كنت وشيكة بأن تقتلينى لو لم أكن حريصا وعلى حذر ·

وخلال ذلك كان يفعل بمسدسه شيئا ما ثم دسه فى جرابه وهو يقول :

— انك تعرفين أننى أحمل مسدسا ، وكنت على يقين من أنك ستحاولين تجريدى منه قبل أن تبدئى تنفيذ خطتك ، ولذلك اغتنمت الفرصة ونحن فى السيارة ، ونزعت خزانة الرصاص من المسدس ، ثم وضعته فى جيبى دون أن تلحظى ما فعلت به • وعندما احتضنتنى ونحن فى السيارة ونشلت المسدس من جيبى — كنت تجهلين أنك جردتنى من مسدس خال من الرصاص ، وأنك حين تستعملينه ضدى ، فلن يصدر منه دوى الطلق النارى ، وانما مجرد تكة صغيرة •• هى ارتطام الزناد بالجسم المعدنى •• ولا شىء أكثر من هذا •

وراحت تسبه وتلعنه بأقذع الشتائم ، ولما أفلت الزمام منها وثبت عليه كالنمرة المتوحشة محاولة أن تنشب أظافرها فى وجهه • ولكنه قبض على رسغيها بعنف يرد هجماتها وقال :

— بودى أن أهشم وجهك بقبضتى .. ولكن قلبى لا يطاوعنى ، فقد يروق لى أن أقبلك مرة أخرى • ولذلك سأكتفى بلكمة خفيفة تفقدك الرشد ولكن دون أن تشوه جمال وجهك •• والآن قبلة واحدة قبل أن أنصرف •• قبلة الوداع •

وأقبل على شفتيها يقبلها ، وهى تحاول أن تتملص منه •

وحين رفع شفتيه عن فمها عاجلها بلكمة خفيفة ، فتداعت بين يديه غائبة عن الرشد ، فوضعها برفق على الارض وهو يغمغم لنفسه :

ـ أرجو أن يكون الدرس قد راق لك ٠٠ !

ثم لفتش جيوب زوجها الغائب عن الوعى ، واخذ منها تذاكر الطائرة ، ودس فى جيبه حفنة من أوراق البنكنوت تكفى لتغطية نفقات السفر ٠ ثم استوى فى السيارة الكاديلاك وانطلق بأقصى سرعة ، والى جانبه الحقيبة المحشوة باوراق البنكنوت ٠



عندما بلغت السيارة الكاديلاك مشارف مدينة فيرا كروز ، أوقف تمبلار السيارة ، ونزع عنه تنكره ، فأزال الشارب والنظارة واسترد فى لحظات هيئته الطبيعية ٠

ثم تابع طريقه حتى تبدت له أنوار البيوت وشوارع المدينة ، فأوقف السيارة فى مكان مظلم منعزل ، وحمل حقيبة المال فى يد ، ومشى على مهل حتى مر به تاكسى استوقفه ، وركبه متخذا طريقه الى المطار ٠

وقدم تذكرته الى المكتب المختص لختمها ، ونظر فى ساعته فوجد لديه فسحة من الوقت ، فاتخذ مجلسه أمام احدى موائد البار ، وطلب قدحا من البراندى ، ومضى يتأمل ما مر به من أحداث ٠

لقد نصبوا له كمينا ، فكان أدهى منهم ، واستولى على أموالهم ، فما داموا قد حاولوا خداعه فقد حقت عليهم الخدعة التى أوقعهم فيها ٠

وفجأة ، سقطت يد على كتفه وسمع صوتا يقول :

ـ أترحل عن بلادنا بمثل هذه السرعة ٠٠ ؟

وكان المتكلم هو الكابتن كارلوس اسكافييه حكمدار البوليس ٠

وقال سيمون تمبلار وقد سيطر على أعصابه ، ولبثت أساريره جامدة لا تنبىء بأثر المفاجأة فى نفسه :

ـ لن أتغيب الا بضعة أيام ، ثم أعود ثانية ٠٠ ان لى صديقا يقضى شهر العسل فى هافانا ، وقد سألنى أن أمضى معه بضعة أيام ، فرأيت ان لا احرمه متعة صحبتى ٠

فاحنى الكابتن كارلوس رأسه مؤمنا وهو يقول :

ـ أتكون عروسه دميمة حتى يدعوا اليه صديقا ، وهما مازالا فى شهر العسل ؟

فقال القديس : هذا منه بلا شك سلوك غير مهذب ٠٠ ولكنك لا تجهل ما عليه الشبان هذه الايام ٠

وبعد سكتة قصيرة قال الكابتن كارلوس :

ـ احسب أنه كانت لحديثنا بقية ، فتعال معى نتم ما بدأناه ٠٠ ولا تخش أن تفوتك الطائرة ، فقد أمرت بان لاتبرح المطار حتى أصدر اليها تعليماتى ٠

ورفع ذراعه تحت ذراع سيمون تمبلار ، ومضى به عبر صالة الجمرك ، والحقيبة المحشوة بالمال مازالت معلقة بيده ، واذ انتهى الى غرفة مكتوب عليها «ممنوع الدخول» دفع الباب ودخل وفى أثره سيمون تمبلار ٠

وقال الكابتن كارلوس مشيرا الى الحقيبة :

ـ أرأيت كيف تفيد من صحبة رجال الامن ٠٠ ؟ لو أنك دخلت فى غير صحبتى لالزمك رجال الجمرك بفتح الحقيبة ٠٠ أما الان ، ففى وسعك أن تنطلق من هنا الى الطائرة رأسا ، دون أن يتعرض لك أحد بسوء ٠

فقال القديس فى هدوء :

ـ وما يضيرنى أن أفتحها لهم ، وليس فيها الا متاعى الشخصى ٠ ؟

وابتسم كارلوس ابتسامة ساذجة وقال :

ـــ لكم يسعدنى أن ألقى نظرة على متاعك الشخصى هذا ٠٠ ؟ ألا تعلم أننى من أشد المعجبين بك ٠٠ ؟ ومن حقى كأحد المعجبين أن أحتفظ بقطعة من متاعك على سبيل التـذكار .. كمـا يفعل المعجبون مـع نجوم السينما ٠٠

ثم أردف فى لهجة جادة :

ـ افتح الحقيبة ٠

ووضع القديس الحقيبة فوق المكتب ، ولكنه لـم يفتحها ، وفيما كان الكابتن كارلوس منحنيا لـيـرفع غطاءها ، كان القديس قد تراجع خطوتين وشـهر مسدسه ٠

وتأمل كارلوس رزم البنكنوت المكدسة برهة ، ثم رفع راسه ولم تبد عليـه أية بادرة من الدهشـة حين رأى المسدس مصوبا اليه وقال فى هدوء :

ـ أليس هذا المال ملكا للاخوة أنريكو ٠٠ ؟

ـ نعم ٠٠ وقد دفعوه طواعية واختيارا وعن رضـاء كامل ثمنا لما اعتقدوه شحنة ضخمة من الاسـلحة والذخائر ، ليقدموها هدية الى جاليسكو وأعوانه ٠

فقال كارلوس فى تؤدة :

ـــ وقد باع اليهم الاسلحة المزعومة شيرمان انكلر وزوجته الحسـناء .

فحملق القديس فى الشرطى وقال : وكيف عرفت هذا ؟
فضحك كارلوس وقال :

ـ أما خطر لك أن تتساءل عما حملني على أن أدعوك الى تناول العشاء بالامس على حسابى فى فندق ريتز ٠٠ ؟ لقد دعوتك لانني أعلم أن الاخوة انريكو يترددون كل ليلة على هذا الفندق ٠ كما كنت أعلم أن انكلر وزوجته يحاولان الاتصال بهما ، ويتوسلان الى ذلك بكل وسيلة ممكنة ٠٠ فاذا أخفقا الليلة فقد يوفقان غدا ٠

وسكت برهة ثم أردف : أتريد أن تعرف المزيد ٠٠ ؟

فابتسم القديس قائلا : استمر ٠

ـ أنا الذى دبرت الامر بحيث أعقت انكلر عن الحضور ، فأمرت احدى سيارات الشرطة بأن تصدم عربته وهو قادم الى لقاء زوجته بالفندق ، فذهبوا به الى مركز البوليس ، وتعمدوا تعويقه قليلا عن الحضور ، وبذلك انفسح الوقت أمامى لاحدثك عن الاخوة انريكو ، وما يبذلون من جهد شرير فى سبيل اشعال الثورة فى البلاد وتعريضها للدمار واراقة الدماء ٠ وأنا أيضا الذى أمرت أحد أعوانى بأن يستدعينى بعد أن فرغت من حديثى بحجة أن هناك حادث سطو على بيت أحد السياسيين ٠ وبذلك تركتك وحدك فى الفندق حتى يتسنى لك أن ترقب ما يجرى حولك ٠٠ وبذلك كانت عينك وأذنك على الاخوين انريكو وعلى آل انكلر وبصفة خاصة الزوجة الحسناء الفاتنة ٠

وساد الصمت برهة ثم استطرد الكابتن كارلوس :

ـ نعم ٠٠ أنا الذى دبرت كل هذا حتى أقحمك فى الموضوع وأستدرجك الى المعركة دون ان تشعر ٠٠ وثمة شيء آخر ٠٠ أننى لم ابتعد عنك لحظة منذ ذلك الوقت ٠٠ بل كنت الى جوارك ٠٠ أراقبك وأحميك فى الوقت

ذاته ‥ أنا ورجالى ‥ وقد رأيت مسز انكلر وهى تدخل غرفتك فى الفندق ‥ وعلمت بحجز التذاكر على الطائرة بمجرد تمامها ‥ والان ‥ بدلا من أن تشكرنى أراك تشهر مسدسك فى وجهى أليس فى هـذا نكران للجميل ‥ ؟

وقال القديس : أسألك المعذرة ٠

ودس المسدس فى جيبه :

وعاد كارلوس يقول : ـ اما قلت لك أننى شرطى شاذ ‥ ؟ لقد تلقيت كلمة من البوليس الدولى ينبئنى فيها بأن آل انكلر جاءوا الى هذه البلاد ، ويطلعنى على ما خفى من أمرهم ، وأنهم يقومون بعمليات نصب واحتيال تتعلق بتوريد الاسلحة ، فى حين أنه لا أسلحة لديهم ، وانما يشحنون مركبهم بصناديق ملاى بـالحجارة ٠ وعلمت أيضا من تقرير البوليس الدولى أنهم مارسوا هذه اللعبـة فى بلاد أخـرى ، وأنهم جاءوا الان الى المكسيك ليجربوا حظهم . وتوقعت أن ينصبوا شباكهم حول الاخوة انريكو محـاولين أن يسـتنزفوا بعض اموالهم .

وسكت الكابتن كارلوس ثم أردف :

ـ وبذلك واجهتنى مشكلة عويصة ‥ فواجبى يقضى على بأن لا أدع انكلر وزوجته ينصبان على أحد ٠ وفى الوقت ذاته كنت أكره الاخوة انريكو لما فعلوه ببلادى ولم يكن فى نيتى أبدا أن أضفى عليهم حمايتى ‥ وهكذا كانت المشكلة : يجب أن امنع انكلر من العمل ‥ وفى نفس الوقت يجب أن أتركه يعمل ضد انريكو ‥ ولهذا

سعدت غاية السعادة حين ظهرت أنت على المسرح ، وقلت فى نفسى • هذا هو الرجل الذى سيجد حلا للمشكلة •

فقال القديس : وهكذا دبرت الامر بحيث تستخدمنى لكى أحل لك مشكلتك •• فهل ترانى أخطأت فى اختيار الحل الملائم •• ؟

ـ كلا •• مطلقا •• بل أحسنت صنعا •• أنك تركت انكلر يعمل وينصب على انريكو ، ثم جردته من ثمرة احتياله ، وهذا عين ما كنت أبغى •• منعت انكلر من العمل بتجريده من المال ، كما تركت انريكو دون أن نحميه •

وساد الصمت برهة ، ثم ما لبث الكابتن كارلوس أن قال :

ـ ان فى حقيبتك نصف مليون من الدولارات •• وليس لدى أى بلاغ عن سرقة هذا المبلغ •• كما أن احدا لم يتقدم بشكوى ضدك ، وحتى اذا تقدموا فما جدواها •• ؟ انهم سيقدمونها ضد من يدعى سبستيان : الرجل ذى الشارب والنظارات ، وهو يختلف تماما عن شخصية سيمون تمبلار بعد أن تجردت من تنكرك ، وبذلك لن يكون لى أى حق قانونى فى اعتقالك .. ليست هناك شكوى ضدك فكيف يحق لى أن أقبض عليك •• ؟ انك مطلق الحرية فى الرحيل •

ونظر اليه القديس فى دهشة وقال : شكرا •• الحق انك رجل عجيب ••

فابتسم الكابتن كارلوس وقال : ألم أنبئك أننى شرطى شاذ ٠٠ ؟

فضحك القديس وقال : وأنا رجل يعجبنى كل شرطى شاذ ٠٠ !

وهم بأن يغلق الحقيبة ، ولكن كارلوس استوقفه باشارة من يده وقال :

ـ الا ترى أن الحقيبة مكتظة بأوراق البنكنوت أكثر مما ينبغى مما يخشى معه أن تنفجر جوانبها ممزقة ٠٠ ؟ يحسن بك أن تخفف منها بألف أو ألفين من الدولارات ٠

فتناول القديس بضع رزم دفع بها الى المكتب وهو يقول :

ـ هاك خمسة آلاف ٠

ـ بل قلت ألفا أو ألفين ، وان كان ضميرى لن يؤنبنى اذا أخذت ثلاثة آلاف ٠

ورد الألفين ٠

وبعد دقائق ، كان تمبلار فى الطائرة ٠

الى جانبه حقيبة بها نصف مليون دولار ، وعند الباب ضابط شرطة يلوح له مودعا ٠٠ !!

القسم الثالث

العصابة السرية

لم يكن هناك شك فى انها احتفلت من قبل بأعياد لا يقل عددها عن الخمسة والثلاثين ، وما كان هناك شك أيضا فى انها كانت أعواما بهيجة حافلة بالمتعة والسعادة · أما اليوم فقد بدأت تخطو الى فترة من العمر لا يجدى فيها الشباب وحده ، وانما لابد الى جانبه من وسائل مفتعلة تجعل العمر يتضاءل وينكمش عشرات من الاعوام · بل ان المرأة وهى فى الاربعين تبدو أوفر شبابا وأكثر حيوية من بنت الثلاثين · فالماكياج الفنى الدقيق وباروكات الشعر الجميل والثياب الانيقة المحبوكة تضفى على المرأة فى هذه السن ما جردته منها السنوات المنصرمة ، وان كان لابد فى سبيل ذلك من مال ينفق ووقت طويل يمضى بين أيدى الخبراء وتحت الاجهزة الفنية البارعة ·

وقالت فى كلمات سريعة متلاحقة :

ـ انك سيمون تمبلار ·· أليس كذلك ·· ولقد أخبرنى بذلك أحد المشرفين على الروليت فى ملهى تروبيكانا ·

وقال تمبلار فى غير مبالاة ولا اهتمام :

ـ وهل حذرك يا ترى من ملاعبتى الورق .. وهل حذرك من الاقتراب منى حتى لا أستل قلادتك الماسية من جيدك الجميل الفتان ·· ؟

فابتسمت وقالت : لا تكن سخيفا ·· اننى مسز كارينجتون ويمكنك أن تنادينى باسم بيريل حتى نرفع

الكلفة فيما بيننا ٠٠ وحسبى ذلك لكى أقدم اليك نفسى ٠
فقال فى احترام : مرحبا بك ٠
وأدارت رأسها ونظرت وراءها فى حركة عصبية وقد عراها شىء من الاضطراب ، ثم عادت ونظرت اليه قائلة :
ـ اننى لست مخمورة ٠٠ صدقنى اننى لست مخمورة ٠٠ ولكننا فى مسيس الحاجة الى المعونة ، وقد خطر لى أنك الوحيد الذى يمكن أن يساعدنى ٠
ونفث تمبلار عدة أنفاس من سيجارته ٠٠ « ونحن فى حاجة الى عونك ومساعدك ٠٠ » كم من مرة ترددت هذه العبارة فى أذنيه ٠٠ لقد سمعها من قبل ألوف المرات حتى ليخيل اليه أنه فى حاجة الى آلة حاسبة لتحصى كم مرة سمع هذه الكلمات ٠
وانه ليعرف طراز هذه المساعدة التى يرجوها منه الناس ٠ انها مساعدة على مخالفة القانون انهم يسألونه أن يفعل من أجلهم شيئا يكون من مغبته أن يلقى فى السجن أو يضرب بالرصاص ، أو الاثنان معا ، فقد كان يعرف من تجاربه السابقة أن هذه هى المكافاة الوحيدة التى يمكن أن يتوقعها ٠ السجن أو الموت أو كليهما ٠
ومن أجل هذا كان يحاول دائما فى هذه المواقف أن يغفل فى نفسه كل مشاعر العطف والحنان ، وأن يسدل على وجهه قناعا من الجمود يخفى به ما يعتمل فى حنايا صدره ٠

وقال وقد بدأ صبره ينفذ : ـ ولكن ما الذى جرى ٠٠ هل تاه منك زوجك أو فر هاربا ٠٠ أم لعلك أنت التى تريدين الفرار ٠
ـ أرجوك .. كفاك مزاحا .. اننى جادة أشد الجدة وليس لدى من الوقت الا دقيقة واحدة .

وتنهد يائسا ·· لقد جاء الى هافانا وهو يمنى نفسه بأن بمضى عطلة هانئة سعيدة ، وبصفة خاصة عطلة هادئة لا يقع فيها حادث ـ من تلك الحوادث التى ألف أن تنقض عليه كلما هفت نفسه الى عطلة يستريح فيها ويستجم ـ فانه لا يكاد يمضى يوما أو يومين فى المكان الذى اختاره لعطلته حتى تلاحقه الاحداث كالصاعقة ، فاذا به غارق فى خضم من النضال والصراع ·

وشرد ذهنه الى المرات السابقة التى لمح فيها هذه المرأة ، فقد سبق له أن رآها كما سبق لها بطبيعة الحال أن رأته ·

ولقد كانت المرة الاولى منذ يومين فى المتحف الوطنى ·

ولم يكن من عادة تمبلار أن يزور المتاحف أو يهتم بالآثار فى رحلاته الاجتماعية ، فالتماثيل لا تروقه ، والمبانى الاثرية لا تسترعى انتباهه ولكنه جاء الى هذا المتحف راكضا مهرولا لان أحد سائقى التاكسى أنبأه وهما يمران أمام باب المتحف أن فى المتحف ماسة لا يقل ثمنها عن مائة ألف جنيه ، ومنذ هذه اللحظة عشق تمبلار المتاحف والاثار ، وبصفة خاصة هذا المتحف الذى ينطوى على ماسة قيمتها مائة ألف ·· !

حقيقة انقضى العهد الذى كان فيه لا يتردد فى سرقة هذه الماسة حين يعرف بوجودها ، أما الان فقد تاب عن السرقة ، وأصبح مواطنا صالحا ، ولكن ما كان هذا ليحول دونه والتفكير فى هذه الماسة النادرة ، فتراه يتخيل انه رجع الى عهد المغامرات ، فيضع فى نطاق خياله خطة للاستيلاء عليها ، دون أن يحاول بطبيعة

الحال أن يعمد الى تنفيذها ، فاذا كان قد عدل عن السرقة فما الذى يضيره فى أن يتخيل أنه يسرق ٠٠ واذا كان قد كف عن المغامرات فلم لا يقدم على المغامرات فى اطار الخيال وأحلام اليقظة ٠

ولذلك ـ عند ما نظمت الشركة السياحية زيارة للمتحف الوطنى كان أول المرحبين السعداء بهذه الزيارة ، وكانت الماسة النادرة الثمينة هى السبب الوحيد الذى دفع به الى زمرة السياح الذين ازدحمت بهم قاعة الفردوس فى المتحف ، ولكنه لم يكن ينصت كما ينصتون الى أقوال المرشد السياحى ، وانما كان شاردا بذهنه الى الماسة يرسم ويدبر ويخطط طريقة لسرقتها ولو فى الخيال ٠

وكان المرشد السياحى منتصبا وسط جمهرة السائحين وهو يقول :

ـ وهذه قاعة الخطوات الضالة ٠٠ أكبر قاعة من نوعها فى العالم ٠٠ مساحتها ٤٠٠ قدم ٠٠ وهى مشيدة على طراز عهد النهضة الفلورنتينى ٠٠ أرجوكم أن تلاحظوا أيها السادة أن السقف مغطى بنفس البلاط الذى غطت به الارضية ٠

ثم أومأ المرشد الى تمثال ضخم مرتفع وهو يقول :

ـ وهذا التمثال الهائل هو رمز الجمهورية ٠٠ انه أكبر تمثال فى العالم بالنسبة الى التماثيل المنصوبة داخل أبنية مغلقة ٠٠ ان الرمح وحده يزن طنا ٠

ثم يتوجه المرشد بجماعة السياح الى بقعة تتوسط القاعة تحت القبة الضخمة ، وقد أحيطت بسياج من الحبال ، وقال مسترسلا فى الوصف والشرح :

ـ وهنا أيها السادة ترون الماسة النادرة . أتعلمون من الذى اشتراها ودفع ثمنها ٠٠ لقد ساهم فى ثمنها العمال الذين اشتركوا فى تشييد هذا البناء الضخم ،ثم قدموها هدية الى بلادهم ان موضعها هـو « مركز » المسافات فى كوبا ، فعندما نقول ان مكانا معينا يبعد عن هافانا مائة ميل مثلا ، فهذا معناه أن هذا المكان يبعد المائة ميل عن هذا المركز ، أى عن هذه الماسة ٠ وأرجو أن تعلموا ان لهذه الماسة اثنين وثلاثين سطحا ، وهو ما يعادل عدد اتجاهات البوصلة ٠

وكان لابد للسياح أن يصدقوا ما يقول المـرشد السياحى دون جدل أو نقاش ، اذ كانوا لا يريدون الماسة التى يتحدث عنها ، ولا يرون منها ولا سطحا واحدا من الاثنين وثلاثين سطحا التى مضى يطنب فى وصفها فقد كان كل ما يرونه يعدو مربعا صغيرا من النحاس فى الارض وسط سياج الحبـال ، وفوق المربع النحـاسى الصغير لوح من الزجاج ومن المفترض أن الماسة تحته فى الاعماق فلك ان تتخيل عندئذ أن لها اثنين وثلاثين سطحا بل لك أن تتخيل أن لها مائة سطح أذا شئت ٠٠ !

ولما لم يكن فى كلمات المرشد ما يغرى تمبـلار بالاستماع ، فقد مضى يسلى نفسه بتصفح وجـوه السائحين من حوله ، فراح يدير عينيه فيمن حوله ، وكانت مسز كارينجتون صاحبة أول وجه استرعى بصره وكان ذلك اولا لما تميز به وجهها من جمال مجلوب من صالونات التجميل ـ مما أضفى عليه رونقا وجاذبية اخاذة ٠٠ وثانيا بسبب الرجل الذى فى رفقتها ، فقد كان يتابط ذراعها طيلة الوقت ويكاد يلتصق بها ٠ ولم يكن من العسير أن تدرك للنظرة الاولى أن المرأة اجنبية كسائر

هؤلاء السياح ، اما رفيقها فقد كان فى شعره الاسود وبشرته السمراء وأنفه الطويلة وقسمات وجهه ـ ما يؤكد انتمائه الى أهـل البلاد . وكان الغريب فى الأمر أنك لا تجد عادة كوبيا من أهل هافانا يندمج فى مثل هـذه الزمرة الاجنبية . وكان واضحا أيضا ان هذا الكوبى فى سن صاحبته لا يكاد يكبرها الا بشهور .. وكان فى هذا كله ما حفر صورة المراة والرجل فى ذهن سيمون تمبـلار .

وتباطأ تمبلار وهو يغادر المتحف حتى ألقى نفسه فى مؤخرة السواح ، اذ كانت به رغبة ملحة فى أن يتبين ما ستفعله مسز كارينجتون وصاحبها المواطن الكوبى ـ عندما ينصرفان . وقد رآهما يستقلان سيارة ميركورى جديدة كانت رابضة فى ساحة الانتظار عند باب المتحف ، وتحمل لوحة عليها شعار ولاية انديانا ، وتولى الشاب قيادتها بنفسه اذ لم يكن بها سائق يقودها .

وما انطلقت السيارة براكبيها حتى أطلق تمبلار لنفسه عنان الخيال ، وراح يتصور ما يمكن أن يقوم بينهما من غرام مشبوب ولكن قبل أن ينفض صورتهما من ذاكرته، اذا به يلتقى بهما مرة أخرى .

وكان اللقاء الثانى فى ملهى تروبيكانا فى الليلة الماضية .

ويزعم اصحاب التروبيكانا أنه اكبر واجمل ناد ليلى فى العالم ولم تكن هناك شبهة قط بالنسبة الى ضخامته واتساعه ، فقد كان يقوم على قطعة أرض فسيحـة الارجاء ، ترك شطرا منها مكشوفا لايغطيه سقف وانما تعلوه قبة السماء الزرقاء ، وقد انتشرت فى جوانبه أشجار النخيل التى زينت بالاضواء المختلفة الالوان ، وجعلت فوق أغصانها مواضع يجلس فيها الموسيقيون،

فكان فى هذا ما أضفى على المكان جمالا وسحرا ٠

ولكن على الرغم من هذا كله كانت الاستعراضات التى يقدمها الملهى من التفاهة بحيث لم يطق عليها تمبلار صبرا ، فكان سعيدا بأن يغادر مقعده عند البار ويندس وسط الجموع التى يزخر بها الكازينو ، وهناك لمح مسز كارينجتون جالسة الى مائدة الروليت والمواطن الكوبى نفسه منتصبا وراء مقعدها ٠

واستطاع القديس بعينيه المدربتين الفاحصتين أن يدرك أنها تلعب دون انفعال وتوتر،فاذا خسرت تضايقت فى اعتدال ، واذا ربحت فرحت فى اعتدال أيضا ٠ ولكنها كانت دائما من التماسك والاتزان بحيث تستطيع ما بين وقت وآخر أن تتبادل بضع كلمات باسمة مع رفيقها ٠ وكان واضحا من هذا أن روح المقامرة لم تكن مسيطرة عليها ، وأن الربح المالى لم يكن هو الهدف الذى تسعى وراءه ٠ ولاحظ تمبلار أيضا أنها تقامر بمبالغ معتدلة ، ولما ذكر أن سيارتها الميركورى لم تكن من أغلى انواع السيارات فى العلم ــ لم يكن من العسير عليه أن يعرف أن بالبنك أكداس من الارصدة المتضخمة التى تغرى صيادى النساء بأن يحوموا حولها متربصين بها طمعا فى أموالها . اذن فما شأن هذا المواطن الكوبى الذى يلازمها ما دامت ليست من الثراء بحيث تشبع نهم صيادى النساء .. ؟ أيكون ما بينهما اذن حبا حقيقيا ومغامرة عاطفية صادقة .. ؟ ان فى كوبا ــ كما فى غيرها من البلاد ــ رجالا عاطفيين مخلصين ، وهى بعد امرأة جميلة بمالها .. ؟ ورآها تدفع اليه بقبضة من الفيشات ، وهى تحثه فى الحاح أن يلعب

بها ، ولكنه هز رأسه رافضا فى اصرار ولكن فى تأدب ورقة . وعندئذ أحسا بنظرات تمبلار مسددة اليهما فرفعا اليه بصرهما . فما كان من تمبلار الا أن استدار واشاح عنهما منصرفا ، فان أمرهما لا يعنيه فى شىء ، وسواء كان ما بينهما حبا أو لم يكن — فان هذا ليس من شأنه .. حتى هذه اللحظة .. !

وعندما مر تمبلار بجوار المشرف على مائدة الروليت احنى له رأسه وخاطبه بقوله :

— ألا تنوى الذهاب الى بورتوريكو هذا الشتاء يا سيدى .. ؟

وهز القديس رأسه نفيا ، وقد علت شفتيه ابتسامة خفيفة ، وتابع طريقه دون أن يذكر متى التقى بهذا المشرف من قبل ، فلابد انه لقيه يوما وان كان الامر قد غاب عن ذاكرته .

وأذن فلا شك أن هذا المشرف هو الذى حدث مسز بيريل كارينجتون عنه وذكر لها اسمه .

أما وقد أنبأته أنها تدعى مسز كارينجتون ، فقد أيقن أن صاحبها المواطن الكوبى لا يمكن أن يكون زوجها ، فان الكوبيين لا يتخذون لانفسهم مثل هذه الاسماء .

ولعل الصدفة شاءت للمرة الثالثة أن تدبر له لقاء جديدا ، فما ان تخطت قدماه فى تلك الليلة عقبة ملهى بامبو حتى وجدهما جالسين الى مائدة قريبة . وملهى البامبو من نفس طراز التروبيكانا يغشاه السائح وهو يعلم أنهم سيفرغون كل ما فى حافظته من مال ، ولكن لقاء لا شىء . وقد اختلف تمبلار الى البامبو هذه الليلة ليكتشف أى سحر يجذب السياح الى هافانا من شتى أرجاء العالم . وما أن رأياه داخلا حتى تدانت منهما الرؤوس وكان واضحا أنه محور حديثهما .

وحاول القديس جاهدا أن لا ينظر اليهما ، وكان اذا دار ببصره فى أرجاء المكان تخطاهما بعينيه الى سواهما من الناس ، ولكن ها هى ذى الان جالسة الى مائدته تتحدث اليه وتسأله فى ضراعة وتوسل أن يمد اليها يد المعونة ، وان كان لم يعرف بعد اى نوع من المعونـــة تبغى ..

ولم يكن ثمة ما يحول دونه الان والنظر الى المائدة التى كانت تشغلها منذ لحظات ، ولكن المقعدين كانا خاليين ، ولم يكن صاحبها الكوبى فى انتظارها .

وقالت وقد لاحظت اتجاه عينيه :

ـ لقد ذهب الى غرفة الاغتسال ولا يلبث أن يعود ولهذا ليس لدى وقت أضيعه فانى لا أحب أن يرانى اتحدث اليك . فهذا لن يطيب له بكل تأكيد .

فغمغم تمبلار : ما دمت تعرفين هذا فلم جئت الى ، وفى هذا ما يجعلنى استهدف الى طعنة خنجر فى ظهرى

ـ اننى مقيمة فى فندق كومودورو وادعى مسز كارينجتون فهلا اتصلت بى صباح الغد .. ؟ أرجوك .. اى وقت تشاء .

ثم دارت بعينيها فيما وراءها وقد غشى القلـق نظراتها ، ثم ارتدت اليه ببصرها ثانية . وقالت فى صوت متهدج النبرات :

ـ أرجوك .. أرجوك أن تتصل بى .. أما الآن فيجب أن أنصرف .

وقبل أن تسنح له فرصة للاجابة كانت قد أولته ظهرها ، وارتدت جالسة الى مائدتها ، وبدت منهمكة فى تجميل شفتيها بالطلاء وكانت الفترة التى استغرقتها فى

الانصراف عن مائدتها والعودة اليها من القصر بحيث لا يمكن لاحد أن يلحظ أنها تركت مكانها ٠

وشرع تمبلار يحتسى كأسه ، وقد اكتسى وجهه قناعا جامدا حتى لا يفطن أحد الى أن حديثهما ينطوى على أمر ذى بال ٠

وشرعت الاوركسترا تعزف الحانها ٠٠ وكانت الحانا صاخبة داوية ترج المكان رجات وتدوى فى الآذان حتى لتكاد تخرقها وكانت هناك عشرات من الالات الموسيقية ترسل ضجيجها خلال الميكروفونات حتى لكأن الهدف منها ايقاظ الاموات من سباتهم ولكن أهل كوبا معذورون فى هذا الشأن فقد عرفوا عن الامريكان انهم يـؤثرون الموسيقى الصاخبة ويكرهون الانغام الحالمة ٠ ولما كان أصحاب الملاهى لا يهدفون الا الى اجتذاب السياح ، فلم يكن أمامهم مفر من أن يقدموا الى السياح ما يشتهون ، وعجب تمبلار فى نفسه لاذواق هؤلاء الامريكيين ٠٠ انها فى الحق أذواق فاسدة تافهة تدل على أنهم رغم ثرائهم العريض ، ورغم الرفاهية التى يعيشون فيها ــ ما زالت نفوسهم منطوية على الوحشية والبدائية فهذا الضجيج الذى يصم الاذان ليست الا لونا من ألوان الحياة فى الغابات ، والانسان الذى لا تروقه الا هذه الموسيقى لا يمكن ان يكون انسانا متحضرا ولو ركب افخر السيارات وسكن ناطحات السحاب ٠

وجلس القديس ساكنا جامد الوجه ، لا تنم قسماته عن شىء مما يدور بخاطره ، ولكنه من ركن عينيه كان يرقب خلسة مائدة مسز كارينجتون ورأى صاحبها الكوبى يعود اليها دون أن يجلس ، ثم رأى العجوز المتصابية تنهض واقفة ، فيمضيان معا الى حلبة الرقص ، ويندسان وسط

الجموع الراقصة ، الذين كانوا يقفزون ويتمايلون على أنغام الرومبا والسامبا والمامبو ، وغيرها من تلك الرقصات العجيبة المتوحشة التى افتتن بها الناس فى هذا العصر الجنونى ٠

ورأى تمبلار انه ليس ثمة ما يدعوه الى البقاء فى هذا الجو الصاخب ، فهذه الضجة كفيلة بأن تشل العقل وتحطم الاعصاب وهو بلا ريب فى حاجة الى عقله وأعصابه حتى يتسنى له أن يقدم الى مسز كارينجتون ما تنشد منه من عون ومساعدة ٠

وأومأ تمبلار الى الجرسون باشارة خاصة ، تلك اللغة العالمية التى لا يجهلها انسان فى العالم ، فهى وان كانت لغة صامتة ، الا انها معبرة بما فيه الكفاية بحيث لا يمكن أن يلتبس معناها على انسان رفع يده وبسط كفه وبأصبع من يده الاخرى جرى على كفه المبسوطة كأنما يخط عليها شيئا ــ وهذا معناه : يا جرسون ٠٠ هات الفاتورة من فضلك ٠

وأقبل الجرسون مهرولا وقدم اليه الفاتورة ، فدفع الحساب صامتا وهو يقول فى نفسه :

ــ هذا قصاص عادل ٠٠ ! ان الامريكيين يسرقون شعوب العالم ويستنزفون ثرواتها ٠٠ وهذه الملاهى تسرق السياح بدورها وتضاعف الاسعار بضع مرات ، فهو فى الحق انتقام الهى ٠٠ ! فكما يسرق الامريكيون الناس يسرقون ٠٠ !

خرج القديس الى الطريق ووقف على الافريز ينشد سيارة تنقله الى المكان الذى يريد . وكانت هناك ثلاثة سيارات واقفة فى الانتظار ، وسائقوها الى جانبها

ينظرون اليه مترقبين وهم يلوحون اليه بأيديهم يدعونه الى الركوب ، وقد علت وجوههم ابتسامات عريضة مرحبة · ولكن أحد الثلاثة ـ وكان طويل القامة ضخم الجسم ـ تقدم منه وأخذ بذراعه يقوده الى سيارته وهو يقول :

ـ تفضل معى الى سيارتى · انها أجمل السيارات يا سيدى وأرخصها ·

ومشى القديس معه متجهاً الى ساحة انتظار السيارات وهو يعجب فى نفسه لهذه الطريقة فى اغراء العميل ·· لقد قرأ فى كتب فن البيع أن للبائع أن يضع نفسه فى خدمة عميله ، وأن يحاول أن يغريه بشراء سلعته بكل الوسائل المشروعة ·· ولكنه لم يكن يتصور أبدا أن يبلغ الامر من البائع أن يدس يده فى ذراعه وأن يقوده الى السيارة عنوة ·

وحين أشرفا على ساحة الانتظار حدث شيء عجيب ، تخلى السائق فجأة عن ذراع تمبلار ، واستدار اليه يواجهه ، ورأى فى يده خنجرا مشرعا

وقال السائق فى نبرة خشنة تنم على التهديد :

ـ متى تنوى أن تغادر هذه البلاد يا سنيور ؟

فقال القديس وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو ينظر الى الخنجر بغير مبالاة :

ـ سأغادر هذه البلاد عندما أضيق بهذه الموسيقى الصاخبة ! الا تعلم يا صديقى ان موسيقاكم تكاد تصيبنى بالصمم ·· ! لقد جئت الى بلادكم لاقضى فترة استجمام ، وما خطر ببالى أنه يجب بعد رحيلى أن أذهب الى أطباء الاذان ·

وقال الرجل ونصل الخنجر يلتمع فى يده فى الظلام :
ـ يجب أن تغادر هذه البلاد صباح الغد ·· الا اذا أردت أن أغيب هذا الخنجر فى ظهرك ·· اننا لا نريد منك أن تتجسس علينا ·· ان وجودك هنا يضايقنا ويزعجنا ··

فابتسم القديس وقال فى صوت ناعم النبرات ، وان كانت نعومته تخفى فى طياتها ما هو أمضى من نصل الخنجر المسدد اليه :
ـ أسمع يا صديقى باتشو ·· أننى كما ترى رجل مطيع وديع ولا أحب المشاكل ، ولذلك سأرحل فورا عن هذه البلاد نعم سأرحل عنها بمجرد أن ترحل أنت الى الجحيم ·

ولو اننا سألنا الرجل عما حدث بعد ذلك لعجز عن الاجابة · نعم ·· انه لا يعرف فى الواقع ما حدث ، ولا كيف حدث ·

كل ما شعر به مطرقة هائلة ، كأنها رفسة جواد هائل ، استقرت فوق فكه ، دون أن يدرى من أين جاءته : هل جاءته من قبضة تمبلار أو من قدمه ·· ؟ انه لا يدرى ·· ! هل هى لكمة أو ركلة ·· ؟ أو لعلها رفسة من جواد هبط بغتة من السماء ·· !

كل ما أحس به ضربة على فكه ، أطارت عقله ، وانسابت معها قوته ، فتراخت أصابعه عن الخنجر وأفلتته ·

والشىء العجيب أنه حين سقط الخنجر من يده ، وتهاوى سابحا فى الهواء ـ لم يقع الخنجر على الارض ، وانما تحول بقدرة ساحرة كأنما جذبه خيط مشدود اليه ، واستقر فى يد تمبلار ·

وفى اللحظة التالية كان نصل الخنجر يلمس عنقه ٠
وقال القديس والابتسامة الساخرة لا تزايل شفتيه :
ـ عد لمن أرسلك وقل له أننى سأغادر هذه البلاد عندما اشاء ، وأننى أكره أن يضايقنى أحد ٠ وأذا تضايقت فاننى أفعل أشياء مثل هذا ٠
وجرى بنصل الخنجر على عنق السائق ، واختلجت عينا الرجل وهو يحس برودة المعدن فوق رقبته ٠
وللمرة الثانية هبطت على أنفه ومن حيث لا يدرى لكمة أخرى ترنح لها وتهاوى على الارض ، وقد غامت عيناه ، وتراقصت أنوار الملهى أمام بصره ، كأنما بدأت هى الاخرى ترقص الرومبا والسامبا والمامبو ٠٠ وقبل أن يطبق عينيه كان تمبلار قد اختفى كأنما ابتلعته الارض ٠
ورأى سيارة تتسكع عن كثب فصعد اليها ، فقال له السائق :
ـ أتريد فتاة تؤنس وحدتك الليلة يا سيدى ٠٠
فأجابه تمبلار
ـ شكرا لك ٠٠ ليس الليلة ٠٠
ـ ولكن كيف تقضى ليلتك وحيدا ٠٠ ؟ ان ابنة عمى فتاة لطيفة طيبة ، ويمكنها أن ٠٠
فقاطعه تمبلار قائلا :
ـ ولكنى لن أقضى ليلتى وحيدا ، فهناك من ينتظرنى ٠
ـ أهى امرأة جميلة ٠٠ ؟
ـ ربما كان رجلا ذلك الذى ينتظرنى وربما كان امرأة ٠
ـ رجل ٠٠ وهل فى هذا شىء من التسلية ٠٠ ؟
ـ بل انها فى اعتقادى ستكون أعظم تسلية ٠٠ !

قالت بيريل كارينجتون تخاطب سيمون تمبلار :

ـ ان رامون احد زعماء الجمعيات السرية فى هذه البلاد

فقال تمبلار : حقا !

وللمرة الاولى بدأت غوامض السر تنجلى أمام عينيه ٠

وكانت تبدو قلقة مهتاجة الاعصاب ، وفى قسمات وجهها امارات الانفعال ، كأنما هى نفسها مشتركة فى هذه الجمعيات السرية وتساهم فى أعمالها ٠

وقالت ونبرات صوتها تنبىء بما يغشاها من انفعال من أثر هذه المغامرة التى تعيشها :

ـ اليس الامر عجيبا ٠٠ ! ما كنت أتصور أن للجمعيات السرية وجودا فى هذا العصر ٠٠ كنت اعتقد أن عهدها قد انتهى منذ زمن طويل ٠٠

وسألها : ولكن ما الذى أقحمك أنت فى الامر وأنت امريكية لا شأن لك بهذه البلاد ؟

فحملقت فيه فى استغراب وقالت مستنكرة :

ـ ما أعجب أن يصدر هذا السؤال منك أنت بالذات ٠٠ ؟ لو لم أكن على يقين من أنك انت سيمون تمبلار شخصيا لخطر لى وأنا أسمعك توجه الى هذا السؤال انك لابد أن تكون شخصا آخر تنتحل شخصيته ٠٠ اليست الحرية والدفاع عن الحرية هدف كل انسان حر فى هذه الايام ٠٠ ؟ فاذا كانت هناك جمعية

سرية تسعى الى الحرية وتكافح فى سبيلها ، فكيف يحجم الانسان عن مد يد المعونة اليها ٠٠ ؟

فقال وابتسامة خفيفة تتلاعب على شفتيه :

ـ أعرف هذه الكلمات الرنانة والخطب الحماسية ولكننى قصدت بسؤالى أن اعرف ما الذى أقحمك أنت بالذات فى هذا الموضوع ؟

ـ عندما التقيت برامون وجدت نفسى غارقة فى هذه المغامرة ٠

ـ وأين التقيت به ٠٠ ؟ هنا فى هذه المدينة ٠٠ ؟

ـ نعم ٠٠

ـ انك من مقاطعة انديانا ٠٠ فمن أية جزء منها ٠٠ ؟

فقالت فى استغراب :

ـ وكيف عرفت أننى من انديانا ؟ ٠٠ هل لهجتى واضحة الى هذا الحد ٠٠ ؟

ـ كلا ٠٠ ولكن لوحة الارقام على سيارتك تحمل اسم المقاطعة ٠

ثم اردف ومازالت الابتسامة تتلاعب على شفتيه :

ـ ارجو الا يضايقك منى أن استجوبك كأننى وكيل للنيابة ، فانى احب ان اجمع اكبر قدر من المعلومات عن القوم المفروض ان اهب الى نجدتهم ٠

فأجابته فى استسلام : انى ادرك ما تعنى فسل ما بدا لك ٠٠ أننى من مدينة بروسبرج فى مقاطعة انديانا ، ولعلك لم تسمع من قبل بهذا الاسم فهى بلدة صغيرة لا شهرة لها ، ويجهل مكانها الكثيرون ٠٠ لقد ولدت ونشأت فى هذه البلدة ، فأمضيت فيها حياتى كلها لم أبرحها الى بلد آخر ٠٠ وقد اقترنت بأحد

زملائى فى المدرسة العليا ، وكان والده صاحب أشهر مصنع للمظلات فى المقاطعة ٠٠ ألم تسمع أبـدا ان « مظلات كارنجتون ، تصد المطر الهتون » ٠٠ ؟ هذا هو شعار المصنع الذى تنشره الاعلانات دائما ٠ وقد ورث زوجى المصنع بعد وفاة أبيه وتولى ادارته ٠٠ وزوجى رجل طيب القلب مسالم ، ولكنه كرس كل وقته لعمله لا يغادر مصنعه الا سـاعات وجيزة ٠ وقـد أنهكه العمل وضعفت صحته ، فأصيب بنزلة رئوية قضت عليه فمات منذ بضع سنوات متأثرا بها ٠ وقد أدركت بعد وفاته ان حياتى معه كانت قاحلة مجدبة خالية من الاستمتاع ٠ فرأيت أن أعوض ما فاتنى ٠٠ اننى لست فى الواقع غنية واسعة الثراء ، ولكن لدى ما يتيح لى أن اعيش فى يسر اذا تحاشيت الاسراف ، ولدى ما يمكننى من أن أقوم ببعض الرحلات لارفه عن نفسى ، قبل أن تدب الى الشيخوخة ويطوينى القبر ٠٠ فهل فى هذا ما يغنيك أم لديك سؤال آخر تحب أن توجهه الى ٠٠ ؟

وكانت مسز كارنجتون جالسة أمامه تتناول فطورها ، وهى تتحدث اليه ، فصب لنفسه قدحا من القهوة ، ورفع اليها بصره قائلا :

ـ وهكذا قابلت رامون خلال هذه الرحلة ٠٠ ؟

فأجابت : ولكن الامر لم يكن مجرد صدفة عابرة ٠

ـ ماذا تقصدين ٠٠ ؟

وروت له كيف ان مندوب شركة السياحة افهمها أن برنامج الرحلة مرسوم على أساس مشاهدتها مـدنا معينة ، ولكن اذا كان يطيب لها أن تخرج عن البرنامج المقرر وان تشاهد من كوبا أجزاء اخرى غير داخلة فى

نطاق الرحلة فعليها أن تأخذ معها سيارتها ، اذ يمكنها اذ ذاك أن تطوف بأى مكان تريد دون أن تتكلف الا القليل ٠ وأخذت مسز كارنجتون بنصيحة المندوب السيــاحى وصحبت سيارتها معها ٠

ثم روت لسيمون تمبلار كيف شق عليها الامر بعد ذلك ، وأن الخرائط السياحية لم تساعدها على الاهتداء الى طريقها وروت له كيف جفلت ثلاث مرات وهى فى طريقها من الميناء الى الفندق ، حتى باتت تسائل نفسها عما دعاها الى أن تجىء معها بسيارتها ٠٠ وبينما كانت فى غرفتها منهمكة فى افراغ حقائبها دق جرس التليفون وسمعت صوتا رقيقا مهذبا يقول لها :

ـ اننى أسف يا سيدتى ، فقد احتكت سيارتى بسيارتك وهى مركونة فى ساحة الفندق ، فهل يمكن أن تتفضلى بمقابلتى حتى نسوى الامر فيما بيننا ؟

وقــالت مســز كارنجتون أنهـــا نزلت الى مكتب الاستعلامات فى الفندق ، فوجدت محدثها فى انتظارها ، وقدم اليها بطاقة تحمل اسم رامون فينينو ، وكان شابا مهذبا لطيفا ، وبدا مرتبكا لا يدرى كيف يعتذر عن فعلته ٠ وقالت مسز كارنجتون تخاطب تمبلار :

ـ ولا أكتمك ان وسامته استرعت بصرى ، فقد كان مديد القامة فياضا بالحيوية والشباب ٠

واسترسلت مسز كارنجتون تتم حديثها ، فقالت ان الشاب تقدم اليها وصافحها فى احترام ثم قال لها :

ـ لقد أفلتت يدى عجلة القيادة فصدمت سيارتك ، وليس هــذا بالعــذر الــذى أبرر به فعلتى أو أعتــذر عنها ،فاننى مقر بخطأى وأن الغلطة غلطتى ، وانى على

استعداد كامل لاصلاح التلف الذى نجم عن سوء قيادتى للسيارة ·

وخرجا معا الى ساحة الانتظار ليفحصا التلف الذى أصاب سيارتها فوجدت الامر تافها لا يعدو التواء حاجز الصدام ·

وقال لها رامون فينينو وهو مازال يكرر اعتذاره :

ـ أرجوك أن تعطينى مفتاح السيارة فأذهب بها من فورى الى الجراج لاصلاحها ، ثم أعود اليك بها غدا أو بعد غد فى حالة جيدة ·

وقالت مسز كارنجتون وهى تروى قصتها لتمبلار أنها ترددت فى الامر وتوجست ، فما يدريها أن هذه المصادمة مجرد حيلة ابتدعها هذا الشاب حتى اذا أخذ هذا الشاب مفاتيح سيارتها اختفى مع سيارتها ، ولم يظهر له أثر بعد ذلك ، فأجابته معتذرة :

ـ شكرا لك ·· ان الامر بسيط ·· وسأذهب بها الى الجراج بنفسى لاصلاحها ·

فأومأ برأسه موافقا وهو يقول : لك ما تشائين ·· ولكننى أصر على أن أتحمل نفقات الاصلاح ويمكنك أن تسالى ادارة الفندق عن ورشة صالحة ترسلين اليها السيارة لاصلاحها ·

واشار عليها كاتب الاستعلامات بالفندق بورشة معينة ، فودعها رامون وانصرف . ولكنها حين ذهبت الى الورشة وجدته عند بابها فى انتظارها بجانب سيارته · فلما فرغت من أمرها أشار الى تاكسى يقف فى الانتظار وقال لها :

ـ لقد أتيت بهذا التاكسى ليكون تحت تصرفك . فلك أن تستعمليه فى جميع تنقلاتك حتى ينتهى اصلاح السيارة • وقد دفعت أجر التاكسى مقدما فلا تدفعى اليه شيئا • وأكرر اعتذارى عن الحادث الذى تسببت فيه برعونتى •

ثم انحنى يحييها وصعد الى سيارته منصرفا قبل أن يتيح لها أن تقول شيئا •

وفى صباح اليوم التالى عرفت صوته وهو يتحدث اليها تليفونيا فى غرفتها .

قال لها : لقد أتيت بنفسى بسيارتك حتى تفحصيها قبل أن أدفع أجر اصلاحها ، وهى الان فى الساحة فى انتظارك •

ونزلت اليه فوجدت السيارة على أطيب حال ، وقد أصلح حاجز الصدام ، وطليت المواضع التى أصابها الاحتكاك بطريقة بارعة تدل على الدقة • وعرفت مسز كارنجتون أنها ظلمت رامون فلو أنه كان من لصوص السيارات لرفض الجراج أن يسلمه السيارة بغير موافقتها ، ولكان أحرى به أن يستلمها من الورشة ثم ينطلق بها هاربا ، فلا تعود تراه بعد ذلك • أما وقد جاءها بنفسه بالسيارة فما من شك فى أنه رجل شريف أمين •

وقالت له مسز كارنجتون : شكرا لك •• انها تبدو الان كأنها سيارة جديدة ، ولا أثر فيها لاى اصلاح •

فقال فى صوت رقيق مهذب النبرات :

ـ أكرر اعتذارى مرة أخرى • ولقد وددت لو أننا التقينا فى ظروف أخرى فما أحسبك الان الا قائلة عنى اننى شاب متهور لا أحسن قيادة السيارات •

فابتسمت فى وجهه وقالت :
ـ الحق أنك شاب لطيف مهذب ‥ ولو أن كل انسان فعل كما فعلت وأصلح على نفقته العطب الذى يتسبب فيه ، لاثرت شركات التأمين ثراء فاحشا ولما أنفقت شيئا من أرباحها ٠
فأحنى رأسه شاكرا وهو يقول :
ـ انى ماسمعت فى حياتى أرق من هذه الكلمات ، فهل يمكننى أن أتجاسر فأدعوك الى العشاء فانى مازلت أخشى أن تكونى ناقمة على ٠
فابتسمت فى وجهه وقالت :
ـ انى ألبى دعوتك بكل ارتياح وسرور ‥ أما أنى ناقمة عليك فهذه مسألة يمكننا أن نتحدث فيها ونحن على مائدة العشاء ٠

وتابعت مسز كارنجتون روايتها أنها أمضت مع رامون أجمل سهرات حياتها ، وأنه كان طيلة السهرة مثال الشاب المهذب ، فكان نبيلا فى تصرفاته ، حريصا فى حديثه ، ولم يحاول أبدا أن يسىء السلوك فيغازلها أو يتحبب اليها ٠ ولهذا لم تر ما يدعوها الى الرفض حين عرض عليها أن تخرج معه فى صبيحة اليوم التالى ليريها معالم المدينة ، وقد أمضت معه النهار بطوله ، وانتهى بهما الامر الى تناول العشاء معا للمرة الثانية ، وكما حدث من قبل أنتهى العشاء بالاتفاق على اللقاء فى اليوم التالى ‥ وهكذا تتابع الامر : عشاء يعقبه لقاء فى الصباح ، ثم لقاء يتلوه العشاء ٠

وقالت مسز كارنجتون أنه استرعى بصرها بعد ذلك حدوث أشياء غريبة فقد كانت تبدر منه فى كثير من الاحيان تصرفات أثارت انتباهها وعجبها ،فما يخرجان

مرة من الفندق أو الملهى أو المتحف أو أى مبنى الا لاحظت أنه يقف عند الباب متريثا ثم يدير بصره فى الطريق هنا وهناك قبل أن يخطو الى الشارع ٠٠ وكانت تراه وهما يسيران يتلفت وراءه فجأة بعيون فاحصة من حين لاخر ، واذا وقفا يتكلمان فى الطريق كان حريصا دائما على أن يستدير الى الجدار بحيث يجعل الحائط وراء ظهره ٠

وفى اليوم الثالث لم تتردد مسز كارنجتون فى أن تسأله عما يدعوه الى هذا الحذر والحيطة ٠

فقال تمبلار : ـ وهكذا أنبأك بأنه زعيم من زعماء الجمعيات السرية ٠٠ ؟ ٠

فقالت مسز كارنجتون :

ـ لقد تردد لحظة ثم مالبث أن صارحنى بالحقيقة ٠ ويبدو أن من أسباب اطمئنانه الى أننى كنت أجنبية غريبة عن البلاد فلا يمكن أن أكون منحازة الى خصومه فان من كانت مثلى لا شأن لها بالخلافات السياسية فى البلاد ، ولا يمكن أن تكون على صلة بالجماعات المتصارعة المتنافسة ٠ وهكذا توطدت بيننا أواصر الصداقة ٠٠ ولا احسبك تجهل أن حدوث هذا الامر ليس بالشاذ الغريب ٠

فقال تمبلار يسألها وقد بدت عليه امارات الاهتمام ٠

ـ ولكن ما الذى يخيفه ويجعله دائما على حذر وحيطة ٠ ؟

ـ أغاب عنك أن هذه البلاد خاضعة لحكم الفرد ، ويحكمها ديكتاتور يتفرد بالسلطة وليس فيها برلمان ٠٠ ؟

ورامون واحد من أولئك الزعماء الذين يريدون الاطاحة بهذا الديكتاتور ، ويسعون الى أقامة حكم ديموقراطى سليم ٠٠ الا تعلم ما يمكن أن يصيب رامون لو انه وقع فى أيدى المخابرات السرية ٠٠ ؟

وأجابها تمبلار : الواقع أننى لا أتابع مجريات السياسة فى كوبا ولا أعرف شيئا عن احزابها المتناحرة، ولهذا لا أستطيع أن أجيبك على هذا السؤال ٠

فقالت مسز كارنجتون : ــ ان كوبا يحكمها الان ديكتاتور غاشم ينقض على الابرياء ويزج بهم فى السجون بلاسبب ، ويأبى أن يرتفع صوت ينادى بالحرية ، ولهذا يطارد الاحرار ويطلق عليهم النار غيلة وغدرا ، ولا يتردد لحظة واحدة فى اغتيال خصومه وأعدائه السياسيين ٠ ومما يؤسف له أنه يلقى تأييدا كاملا من حكومتنا ، فهى التى تسانده ضد خصومه ، وتمده بالأموال والاعانات ٠

فقال القديس : ــ وأية غرابة فى هذا والسياسة الامريكية فى الخارج قائمة على اشاعة الفساد والانحلال ، فهى تكره أن ترى فى منصة الحكم حكومات شريفة نزيهة لان مثل هذه الحكومات تعارض أهداف السياسة الامريكية التى ترمى الى الاستغلال والاحتكار ، ولذلك تسعى أمريكا دائما الى اقامة حكومات موالية لها من المنحرفين الانتهازيين حتى يتسنى لها عن طريق هذه الحكومات أن تستنزف ثروة البلاد ، ولذلك تعمد دائما الى اغراق هؤلاء الحكام فى الرشوة والفساد ٠٠ ولكن

خبرينى ماهى الخطة التى وضعتها جمعية رامون السرية للتخلص من هذا الديكتاتور ٠٠؟ أينوون اغتياله أم اشعال نار الثورة فى البلاد ٠ ؟

ـ لا هذا ولا ذاك ٠٠ فان رامون وصحابه ليسوا من رجال العصابات ، وهم يعرفون أنه لا سبيل الى اقامة حكم صالح على أساس من القتل واراقة الدماء ٠٠ ان الاغلبية الساحقة فى الشعب الكوبى تنشد الحرية وتسعى اليها ، وهذه الجمعية السرية تسيطر على الجماهير وتحركها ، ولكنها تكره أعمال العنف ، ولها وكلاء فى جميع المناطق ، وفى البوليس وفى الجيش ، فاذا حانت اللحظة الحاسمة قامت الجمعية باعتقال رجال الحكومة وأعوانها دفعة واحدة وألقت بهم فى السجن، وتولت تقاليد الامور مكانهم» وبذلك يتم« التغيير » المنشود دون أن تراق قطرة دم واحدة ٠

فقال تمبلار : يالها من خطة رائعة ٠٠ ! أن هذه الجمعية فيما يبدو ذات قلب رحيم رقيق ٠٠ ! لقد كان عهدى بالثورات فى أمريكا الجنوبية أنها حافلة بالدم والموت ٠٠ ولكن متى ينتظر أن يقع هذا التغيير ٠٠ ؟

ـ فى القريب العاجل ٠٠ ربما اليوم ٠٠ ربما غدا ٠٠ ومهما يكن فهو وشيك الوقوع ٠

فسألها القديس فى بساطة :

ـ ولكن ما دام هذا التغيير وشيكا بأن يقع ، وما دامت هذه الجمعية السرية منظمة ومسيطرة على

جماهير الشعب ، وما دامت خطتها معدة بهذه البراعة التى حدثتنى عنها ـ فما حاجتك اذن الى معونتى وطلب المساعدة منى .. ؟

فنهضت واقفة وقد استبد بها الانفعال وقالت :

ـ هناك شىء يتوجسون منه خوفا ·· ؟

ـ وما هذا الذى يخافون ·· ؟

ـ انهم يخشون أن يكون فى الجمعية عضو خائن ·· ؟

ـ حقا ·· ؟ هذا اذن شىء خطير ·

ـ اذا كان بين الاعضاء أحد الخونة · فهو لا شك يعرف أن رامون هوالوحيد الذى لديه قائمةكاملة بأسماء جميع أعضاء الجمعية ·· أفتدرى ما معنى هذا ·· ؟ اذا قبض رجال المخابرات السرية على رامون ضاع كل شىء وعرفت المخابرات أسماء جميع الاعضاء والوكلاء ·· ان رامون بطبيعة الحال وطنى شجاع ، فمهما عذبوه ونكلوا به فلن ينالوا منه ، ولن يفضى اليهم بأسرار الجمعية ولو مزقوه أشلاء صغيرة ·· ولكن هبهم وضعوا أيديهم على قائمة الاسماء فهل تغنى عنه شجاعته شيئا ·· ؟

فقال القديس :

ـ الحق انى معجب بشجاعة هذا الفتى رامون ·· ولكنى فهمت من حديثك أن هذه القائمة ليست فى تلافيف مخه ·· ؟

ـ طبعا لا ·· فمن المحال أن يحفظها عن ظهر قلب وهى تضم من الاسماء والعناوين آلوفا وآلوفا · أى عقل

بشرى يستطيع أن يعى هذه الاكداس المكدسة من أسماء الاعضاء ·· ! انها مكتوبة مسطورة ، وما أحسبك تجهل خطورة المسئولية التى تقع على عاتق الانسان حتى يطلب اليه الاحتفاظ بهذه القائمة فى مكان أمين ·

فحدجها بنظرة ثابتة نفاذة وقال :

ـ نعم ·· لست أجهل خطورة مسئوليتك حين طلب اليك رامون الاحتفاظ بهذه القائمة لديك ·· !

فاتسعت عيناها دهشة وقالت :

ـ ولكنى لم أقل ان هذه القائمة موجودة لدى ·· !

ـ وهل بى من حاجة الى مثل هذا الاعتراف منك ·· يبدو أنك تغمطيننى حقى من الذكاء والمقدرة على الاستنتاج ·· نعم ·· انى موقن من أن رامون عهد اليك بهذه القائمة السرية ·

فعضت على شفتيها ولاذت بالصمت ، ثم ما لبثت أن هزت كتفيها بغير اكتراث وقالت :

ـ فليكن اذن ·· ؛ لا داعى للمراوغة والكتمان ·· نعم ·· ان القائمة موجودة لدى ·· فى هذه الليلة سأغادر كوبا راجعة الى الولايات المتحدة الامريكية ، وسأحمل القائمة السرية معى ، وهناك سأودعها خزانة فى البنك حتى يحتاج اليها رامون ، وبذلك يستحيل على المخابرات السرية الكوبية أن تصل اليها

فقال القديس : ولكنك تخشين أن تسافرى والقائمة معك ، فقد شوهدت كثيرا فى رفقة رامون ، ومن الجائز أن يكون البوليس السرى قد تنبه الى أمرك ، ومن الجائز أنك موضوعة تحت المراقبة وأنت لا تدرين ٠ فاذا كانت المخابرات قد اشتبهت فى رامون ، فلم لا يكونون قد اشتبهوا فى أمرك أنت أيضا ٠٠ ؟

ـ ان رامون يرى العكس ٠٠ فهو يقول اننى أمريكية غريبة عن هذه البلاد ، وهذه أول زيارة لى لكوبا ، فمن المستبعد أن يشكوا فى أمرى ، أما عن علاقتى برامون ، فأغلب الظن أن البوليس السرى سيعتقد أنها علاقة عابرة طارئة ولا يمكن أن تصل به الى حد مكاشفتى بأسرار الجمعية واعطائى القائمة التى تتضمن أسماء الاعضاء ٠

وسكتت هنيهة ثم أردفت وفى نبراتها بادرة من التوجس :

ـ ومع ذلك فانه لا يسعنى أن أغفل الاعتبار الاخر ٠٠ ! أليس من الجائز أن أكون موضوعة تحت المراقبة ٠٠ ؟ أليس من الجائز أنهم يرتابون فى أمرى ٠٠ ؟ ما يدرينى أنهم سيقبضون على وأنا فى طريقى الى السفر ويفتشون حقائبى ٠٠ ! وعند ذاك ٠٠

ـ وعند ذاك يعثرون على القائمة السرية ويضيع كل شىء ٠٠ ؟

ـ تماما ٠٠ وهذا ما جعلنى أفكر فيك عندما وقع بصرى عليك للمرة الثالثة ليلة الامس ٠٠ كنت أعرف عندئذ حقيقة شخصيتك بعد أن ذكر لى اسمك أحد

المشرفين بصالة القمار • ولذلك رأيت أن أهرع اليك واستنجد بك •

ونظرت اليه برهة ثم قالت :

ـ أرجوك أتوسل اليك أن تساعدنى ••

وتأملها تمبلار دون أن يتكلم ، فعادت تقول :

ـ لعلك الان تحتقرنى •• ! امرأة فى مثل سنى ، عاشت حياة هادئة من المغامرات ، ثم تغادر بلدتها لاول مرة وتسافر الى الخارج ، وتأتى الى هذه البلاد فتقابل رامون ، وتميل اليه وتكاد تتفانى فيه غراما • ولكنه رجل شجاع وبطل من الابطال ويستحق أن تضحى كل امرأة فى سبيله بما تملك •• أتجدنى حمقاء تافهة ! ولكن ارجوك أن تذكر أن حياتى كانت ناضبة مجدبة ، وهذه أول مرة أقدم فيها على أمر عظيم •• أول مرة أجدنى فيها فى خضم مغامرة حافلة بالاثارة ، كتلك المغامرات التى أطالعها فى الصحف والمجلات : جمعيات سرية ، ومؤامرات ، وبوليس سرى • ولذلك أخذتنى روح المغامرة واندمجت فى غير وعى منى • ولا تحسب اننى حين هرعت اليك مستنجدة كان الخوف على نفسى هو الذى راودنى •• ؟ كلا •• انى لا أخشى أبدا أن يقبض على وأن يزج بى فى السجن ، فان التضحية تهون اذا كانت القضية كبيرة ومثالية ، ولكنى أخشى على الالوف الذين تتضمن القائمة السرية أسماءهم ، فلو أن هذه القائمة وقعت فى يد البوليس السرى لنكلوا بهم تنكيلا •• وليت الامر يقف عند هذا ، بل سينكلون بنسائهم وأطفالهم ايضا • وسأعتبر نفسى مسئولة عن الكارثة التى ستحل بهم • فهل تراك تحتقرنى الان وقد ركبنى الخوف •• ؟

فأجابها تمبلار : بل انى على النقيض أحتـرمك واقدرك ·· فليست الشجاعة أن يقدم المرء على عمل أخرق لا قبل له به ، وانما الشجاعة الحقة أن يعرف مواطىء قدمه قبل أن يخطو ، وان يحاول أن يتوقى الهاوية ويحذر قبل أن يقع فيها ·

وسكت القديس لحظة ثم قال يسألها :

ـ لقد خيل الى أن رامون فطن الى بالامس ، فقد لاح لى من نظراته حين رجع اليك أنه حدثك عنى ، فما الذى قاله يا ترى ؟

ـ لقد لامنى على أنى اتصلت بك ، فقلت له ان الامر جاء مصادفة ، ولعلها مصادفة فيها الخير ، وأكدت له أنه يستحيل أن تكون أنت من خصوم الحرية والثورة ، ولكنه مع ذلك لبث قلقا متوجسا ، وقد حاولت أن أقنعه بأن الدنيا بأسرها تعرف ما أنت عليه من شهامة وولع بنجدة من يلجأون اليك ، ولست أدرى اذا كان قد اقتنع بهذا أم لا ، ولذلك كتمت عنه اننى دعوتك الى مقـابلتى ، واقتصرت على أن أذكر له أن كل ما جرى بيننا لا يعدو مجرد التحية والتعارف ·

واشعل تمبلار سيجارته وهو يقول :

ـ والان ·· أين هذه القائمة السرية الخطيرة ·· ؟

ـ إنها فى احدى حقائبى فقد تركها معى بالامس ·

وغشيها التردد برهة ، ثم ما لبثت أن اتجهت الى احدى الحقائب وفتحتها ، وغاصت بيدها تحت أكداس من الثياب ، وأخرجت من تحتها حافظة أوراق مصنوعة من جلد التمساح ، وأذ تناولها منها ندت من صدرها تنهدة ارتياح وهى تقول :

ـ الحق أنى فى حيرة من أمرى لا أدرى هل أثق بك أم لا ؟ ولكن ليس ثمة الان ما يدعو الى التفكير فى هذا ، فها أنذا قد كشفت لك سرى وقدمت اليك الحافظة ٠

فابتسم القديس فى وجهها وهو يقول :

ـ لا يندم أبدا من وثق بسيمون تمبلار ٠٠ اننى دائما رجل الاسرار الكتوم ٠

كانت الحافظة جديدة ، وقد زودت بحزام يدور حولها ثبت فيه قفل متين الصنع قد يستعصى على الهواة ، وان كانت الحافظة نفسها لا يمكن أن تستعصى على نصل المطواة ، فليس أهون من أن تشقها بالمطواة وتخرج ما فيها ، دون أن تحفل بالقفل أو تتعرض له بسوء ٠

وقال القديس يخاطبها :

ـ استمرى فى حزم متاعك ولا تذكرى لرامون شيئا عن هذا اللقاء ، ودعيه على اعتقاده فى أن الحقيبة ما زالت عندك مخبأة وسط ثيابك ، وبذلك تتفادين نقاشا لاداعى له ٠

ـ وبهذه المناسبة متى تلتقيان ٠٠ ؟

ـ سيحضر لزيارتى هنا فى تمام الساعة الواحدة بعد الظهر ، فنتناول الغداء معا لاخر مرة لانى راحلة الليلة ٠ ولابد من حضوره لان سيارتى معه فقد كانت سيارته معطوبة بالجراج ، فسألته أن يستقل سيارتى فى عودته الى داره ليلة الامس ٠

وضـــاقت عينا تمبلار وهو يستمع الى هذه الكلمات وقال :

ـ يبدو لى أنك شديدة الاهتمام بهذا الفتى ٠٠ ؟

فقالت : أنه بطل عظيم يدافع عن قضية عظيمة ٠٠ قضية الحرية ٠٠

فقال فى بساطة :

ـ أصبت ٠٠ انه رجل عظيم ٠

ولم تدرك ما فى صوته من نبرات التهكم والسخرية ٠

وحمل الحقيبة واستدار متجها الى الباب ، ثم التفت اليها قائلا :

ـ شكرا لك على أن حذرتنى عند قدومى اليك مما قد أتعرض له من الرقابة والجواسيس ٠ ولذلك لم أدخل الى الفندق من الباب الرئيسى ، وانما غشيت قليلا على *الشاطىء كمن يتنزه ، ثم انعطفت فجأة الى الحارة* الخلفية ٠ وصعدت اليك من سلم الخدم وبذلك تفاديت أن يرانى أحد من الجواسيس اذا كان هناك من يراقبك ٠ وسأخرج بنفس الطريقة حتى أتحاشى الانظار ٠

وقالت فجأة وقد امتقع وجهها اذ يبدو أن فكرة ما طرأت على ذهنها :

ـ ولكن متى أراك مرة أخرى ٠٠ ؟

فقال باسما :

ـ هذا ما لا أدريه ٠٠ قد تجديننى أمامك بعد ساعة واحدة ، وقد لا ترينني الا وأنت موشكة أن تستقلى الطائرة ٠ ومهما يكن فثقى أننى سأظهر فى الوقت المناسب ، وحين تكونين فى حاجة الى ٠

وربت بيده على الحقيبة وهو يقول :

ـ ولكن ثقى أن الحافظة ستكون معى دائما فىأمان ٠

وأومأ اليها برأسه محييا وغادر الغرفة ٠

وحين شرع يهبط الى الطريق من سلم الخدم سمع وقع أقدام صاعدة ٠ وكان جليا أن الاوان قد فات لكى يرتد راجعا ، فلو أنه استدار لكان من المؤكد أن القادمين سيلمحونه عند منعطف السلم ٠ كما أن هذه الحركة الفجائية منه كفيلة بأن تسترعى أنظار القادمين وان تثير الشكوك فى نفوسهم ٠ ومع ذلك فما يدريه أن القادمين ليسوا من خدم الفندق ، فلم يعود أدراجه بغتة ويثير شبهاتهم ؟ ولهذا استقر رأيه على أن يتابع طريقه فى سكون ، وهكذا استمر يهبط بلا تردد وان كان أعصابه متوترة متحفزة لما يمكن أن يجرى ٠

وكان هناك رجلان يرتقيان الدرج ٠ وعليهما ثياب سوداء وتنبىء سحنتها ونظراتهما الفاحصة بأنهما من

رجال البوليس السرى . ونظر اليه الرجلان فى فضول واهتمام ، ولكنه لم يعرهما التفاتا ، وتابع هبوطه دون أن يحفل بهما وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة ، ابتسامة سائح برىء لعله جاء يزور احدى زميلاته فآثر هذا الطريق الخلفى حتى لا يسترعى اليه الانظار .

وعندما بلغ أسفل الدرج سمع أحد الرجلين يقول لزميله باللغة الاسبانية فى صوت هامس :

– اختبىء هنا وافتح عينيك جيدا ، واذا رأيت أحدا جاء يزورها فأخطرنى على الفور .

٣

لم تمض لحظات حتى كان سيمون تمبلار فى الحارة الضيقة التى يفضى اليها سلم الخدم فى فندق كومودورو . ثم ما لبث أن خرج الى الطريق العام المزدحم ، وهو معروف باسم « الشارع الخامس » ، وان كانت الحكومة منذ سنوات قد أطلقت عليه اسم شارع أمريكا ! مجاملة منها للولايات المتحدة الامريكية واظهارا للولاء نحوها . وذلك على الرغم من أن أهل البلاد ظلوا على الاسم القديم لا يطلقون عليه الا اسم « الشارع الخامس » كراهية منهم لامريكا ولكل ما يمت اليها بصلة : اذ كانوا لا يجهلون انها السبب فيما يفشو فى البلاد من رشوة وانحراف .

وتمنى تمبلار لو أنه عثر من فوره على أحدى سيارات التاكسى ، فقد كان يخشى اذا طال تجواله بحثا عن احدى

السيارات أن يكون المخبران السريان قد استرابا فى أمره فهبطا الى الطريق يبحثان عنه • وليس هذا فقط وانما خشى أيضا أن يراه رامون فينينو عند قدومه الى زيارة مسز كارنجتون فى الموعد المضروب بينهما .

ولكن القلق لم يطل به ، فما ألقى نظره على الشارع حتى رأى سيارة تاكسى تتهادى على قيد خطوات تبحث عن فريستها ، فقد عرف سائقوا التاكسى فى هافانا كيف يتشممون السياح على قيد مئات الأمتار ، كمايتشمم كلب الصيد فريسته فينقض عليها فجأة وينشب فيها أسنانه •

وقال السائق فى جذل وقد اوقف سيارته على قيد خطوة من سيمون تمبلار :

– الى أين يا سيدى •• ؟ أتريد أن تقابل احدى الفتيات أم أن زوجتك فى رفقتك •• ؟ ان لى ابنة عم على غاية من الجمال •• انها فتاة لطيفة ، يمكنك أن تقضى معها سهرات ممتعة ، وهى مولعة مفتونة بالامريكيين •

وكان تمبلار لا يجهل هذه القصة • فلكل سائق تاكسى فى هافانا « ابنة عم » لطيفة ، وبنات العم جميعـــــا مولعات بالامريكان •• وهى قصة معروفة شائعة على الالسن ، ومن المحتمل جدا أن لا يكون لسائق التاكسى ابنة عم على الاطلاق ، ولكنه دائما يزعم هذا ، فاذا وافقت قادك من فوره الى احدى بائعات الهوى المحترفات لقاء عمولة يتقاضاها منها ، ولكنه يزعم وهو يحدثك عنها انها ابنة عمه حتى تطمئن الى حديثه وتنخدع فيما يقول• ظنا منك انه انما يذهب بك الى فتاة ساذجة لا خبرة لها

بالحب من قبل ٠

وأجابه تمبلار فى صوت ناعم :

ـ شكرا لك يا صديقى ، ولكنى مصاب بمرض القلب ، وقد نصحنى الطبيب بأن أبتعد عن « صنف النساء » ٠

فقال السائق فى اصرار :

ـ اذن يمكننى أن أذهب بك الى ابنة عم أخرى تجيد مهنة التمريض ، واذا احتجت الى حقنة أمكنها أن ٠٠

وقاطعه تمبلار بقوله :

ـ وما حاجتى الى ابنة عمك الممرضة ، ولدى ممرضتى الخاصة ٠

ولكن السائق لم ييأس وانما قال :

يمكننى أن أذهب بك اذن الى ملهى ترقص فيه الفتيات متجردات من الثياب ٠٠ ؟

وهز تمبلار رأسه نفيا ٠ فقال السائق دون أن تعروه خيبة الامل :

ـ أتحب أن أفرجك على معالم المدينة ٠٠ ؟ حديقة النباتات أو الكاتدرائية القديمة أو ٠٠

ولم يجب القديس على العرض الذى تقدم به ، وانما نظر الى الحافظة الجلدية التى تحت ابطه ٠٠ انها جديدة اشتريت حديثا ، وجدتها كفيلة بأن تسترعى الانظار اليها ، ولم يكن فى وسعه أن يذهب بها الى فندق اذ من الجائز أن يكون فى الردهة بعض رجال البوليس السرى أو بعض أعوان رامون ــ فاذا رأوها فى يده فقد يعرفونها

ويحاولون انتزاعها من يده أو سرقتها من غرفته ، فكيف اذن يخفيها ٠٠ ؟

وقال القديس : وما رأيك فى أن تذهب بى الى أحد معامل تقطير النبيذ ٠٠ ؟

فقال السائق فى ابتهاج : فليكن يا سيدى ٠٠ سأذهب بك من فورى الى تركاديرو ـ أشهر معمل للتقطير فى هذه البلاد ٠

وصعد القديس الى المقعد الخلفى ، وانطلقت به سيارة تطوى الطريق ، واذ هى الا نصف ساعة حتى توقف التاكسى أمام بناء كبير له أبواب منزلقة من الحديد تدخل منها سيارات النقل ٠

وهم تمبلار بأن يدفع حساب التاكسى ويصرفه عن الانتظار ، ولكن الرجل أبى أن يتناول أجره قائلا :

ـ سأكون فى انتظارك عندما تخرج ٠

ولقيه مراقب المصنع عند الباب ، فحياه فى ترحاب وقال له :

ـ فى هذا المصنع يا سيدى نستقطر أجود الانبذة الكوبية وأشهرها فى هذه البلاد ، ونحن نصدر الجزء الاكبر من منتجاتنا الى الولايات المتحدة الامريكية والى سائر بلاد أمريكا اللاتينية ٠٠ تفضل من هنا يا سيدى ٠

ودخلا الى ساحة كبيرة مسقوفة ملأى بأكداس من عيدان قصب السكر ٠ وقال مراقب المصنع :

ـ أترى هذه الالة الضخمة التى هناك يا سيدى ٠٠ ؟ هنا تعصر عيدان القصب ، ثم ينقل العصير الى هذه القزانات الضخمة حيث يترك فيها فترة معينة ليتخمر ، وبعد ذلك نمرره من خلال هذه المصافى حتى ينقى من شوائب ، واخيرا يستقر فى هذه البراميل ويترك فيها حتى يصبح من أجود أنواع الروم المعتق ٠٠ والان تفضل من هنا يا سيدى ٠

ونفذا من باب آخر الى قاعة فسيحة مدت فيها الموائد ، ورأى تمبلار فى القاعة نفرا من السياح وقال له المراقب :

ـ اننا ندعوك الان يا سيدى الى تذوق أنبذتنا الشهيرة ، فتفضل بالجلوس واشرب ما شئت فلست على عجلة من امرك ٠

وكانت كل مائدة فى القاعة مزودة بثلاثة مقاعد تدور بجوانبها الثلاثة ، أما الجانب الرابع فصفت فيه مجموعة كبيرة من زجاجات الروم والانبذة المختلفة التى ينتجها المصنع .

واستوى القديس على أحد المقاعد ، فى حين وقف المراقب عند الجانب الذى صفت فيه الزجاجات ، وتناول الرجل قدحا كبيرا وهو يقول :

ـ هذه يا سيدى زجاجة من الروم الخفيف ، وهذا هو الروم الاسود ، وهذا أجود أنواع الروم التى تنتجه مصانعنا ٠ لك ان تشرب يا سيدى ما تشاء ، فانك الان ضيف على الادارة وهذه بعض المشروبات الخفيفة براندى المشمش ، براندى الكريز ، نبيذ المانجو ٠٠٠ ا

لدينا كل أنواع المشروبات ، فخذ منها ما تشاء فانه يسعدنا أن نكرم ضيوفنا ٠٠ أترى هذه الزجاجة ٠٠ ؟ انها روم مصنوع من الموز ، وهذا روم الاناناس وعند مغادرتك هذه البلاد فانه مسموح لك بأن تحمل معك خمس زجاجات معفاة من الرسوم الجمركية ، فاختر لنفسك ما يحلو ٠٠ أتريد أن تأخذ معك النبيذ الاستوائى ٠٠ ؟ أم لعلك تفضل اكسير النبيذ ٠٠ ؟

فقال القديس مجيبا :

- بل أوثر أن أشترى خمس زجاجات من النبيذ العادى ، وأرجوك أن تضعها فى احدى هذه السلال التى تقدمونها الى عملائكم هدية مجانية ٠

- بكل ارتياح يا سيدى ٠٠ خمس زجاجات من النبيذ العادى ٠٠ ؟ حسنا ٠٠ سأعدها لك يا سيدى فى لحظات ، فأرجوك أن تتناول كأسا من أى مشروب تشاء ريثما أعود اليك ٠

وصب تمبلار لنفسه كأسا من احدى الزجاجات المفتوحة واحتساها ، ولكنه لم يكن يحفل بتذوق الانبذة المعروضة ، وما جاء الى هذا المصنع ليدرس فن التقطير ، وانما جاء وفى ذهنه هدف واحد ، هو الحصول على احدى السلال التى تباع فيها الانبذة حتى يخفى فى داخلها المحفظة الجلدية التى تحتوى على قائمة أعضاء الجمعية السرية ، ففى هذه السلة يمكنه أن يودع

المحفظة . فاذا رجع الى فندقه لم يفطن أحد الى ما فيها ، وحسبوها لا تضم الا زجاجات النبيذ .

ورجع مراقب المصنع بعد فترة وجيزة يحمل حقيبة مصنوعة من القش المجدول ، مطبوعا عليها اسم المصنع ، والى جانبه بطاقة عليها هذه الكلمات .

« خمس زجاجات من النبيذ معفاة من الرسوم الجمركية » .

وتناول القديس السلة ونقده ثمن ما اشتراه ، وغادر المصنع عائدا الى سيارة التاكسى التى كانت مازالت فى انتظاره .

وقال للسائق :

ــ والان اذهب بى الى فندق بلتيمور .

وأخرج الزجاجات الملفوفة من الحقيبة القش ، ووضع الحافظة السرية فى قاعها ، ثم قال يسأل السائق :

ــ أتحب شرب النبيذ يا صديقى .. ؟

فأجابه السائق فى غير اهتمام :

ــ أحيانا يا سيدى .

فناوله تمبلار احدى الزجاجات وهو يقول :

ــ اذن اليك هذه الزجاجة هدية منى ، فاشربها عندما تشعر بالظمأ .

ــ شكرا لك يا سيدى .. هل أعجبك معمل

التقطير ٠٠ ؟

ـ طبعا يا صديقى ٠٠ وأجمل مافيه هذه السلة التى يقدمونها الى الزوار ٠ والان اليك هذه الزجاجة الثانية هدية منى الى ابنة عمك اللطيفة التى تحب الامريكان ٠ أما ابنة عمك الاخرى التى تجيد فن التمريض فيكفى أن تقدم اليها تحياتى ٠

وضحك السائق قائلا :

ـ شكرا لك يا سيدى ٠٠ انها فى الحق فتاة لطيفة ، ويؤسفنى أنك مريض بالقلب والا لأمضيت سهرة لا تنسى .

فقال القديس :

ـ وددت لو أننى تعرفت اليها ، فانى لا أبالى أن أموت بين ذراعيها ، ولكنى أخشى أن أنا فعلت أن أعرضكما لاستجوابات رجال الشرطة المزعجة ٠٠ ولكننى سأهرع اليها فى السنة القادمة عندما أعالج نفسى وأشفى من داء القلب .

وأعاد تمبلار الزجاجات الثلاث الباقية الى السلة ، ووضعها فوق الحافظة المنزوية فى القاع ، فبدت وكأنما ما زالت تضم خمس زجاجات .

وهبط القديس من السيارة أمام باب الفندق ، ونقد السائق أجره ، فقال له هذا :

ـ أتريد منى أن انتظرك يا سنيور ؟ ..

ـــ ليست هذه المرة .. شكرا لك .. فقد لا أغادر الفندق اليوم مرة أخرى .

وهرع اليه احد حمالى الفندق ، وحمل عنه السلة الى الداخل وهو يسأله :

ـــ ماهو رقم غرفتك ياسيدى حتى اذهب بالسلةاليها؟

فقال القديس فى صوت مرتفع حتىيبلغآذانالجالسين فى الردهة :

ـ لا داعى لذلك ، يمكنك أن تحتفظ بها لديك فى مخزن الامانات فانى سأغادر الفندق الليلة ، ولا أحب أنأفرط فى الشراب وأنا موشك على السفر .

ومضى الحمال بالسلة الى المخزن الواقع وراء مكتب الاستقبال ثم رجعالى تمبلار وقدم اليه بطاقة تحملالرقم الذى أعطى للسلة حتى يستردها حين يشاء ، وانجه القديس الى ناحية المصعد . وقبل أن يبلغه استدار فجأة الى ممشى الى يساره يفضى الى باب جانبى للفندق قلما يستعمله النزلاء . ولحسن حظه وجد هناك احدى سيارات التاكسى فوثب الى داخلها وقال للسائق :

ـ الى مطعم التوليدو .. وعجل من فضلك

فقال السائق :ـ اذا كنت تبغى مطعما ممتازا أمكننى

ان أذهب بك الى ٠٠

فقاطعه تمبلار :ـ قلت لك التوليدو ، وعجل ، فانى على موعد هناك ٠

وكأنما اراد أن يقطع على السائق ما قد يخطر له من حديث عن بنات العم اللطيفات فقال مستطردا :

ـ وهى فتاة لطيفة ، وقد تمل الانتظار فيختطفها منى احد المنافسين ، فهل يرضيك هذا ٠٠ !

ـ لا يرضينى طبعا ، ولذلك سأطوى بك الطريق اليها طيرانا ٠

ـ شكرا لك ٠

وكانت القصة كلها مختلقة لا أساس لها من الواقع ، ولكنه اراد ان يبتدع أمام السائق سببا يبرر به تعجله ورغبته فى الاسراع حتى لا يستريب فيه الرجـل ، فقد كان يهدف فى الواقع من وراء اسراعه ان لا يتيح لاحد تعقب خطواته ٠ وقد اختار هذا المطعم بالذات اذ تردد عليه من قبل ٠ وكان يعرف أنه مكان لا يزدحم بالرواد ، ولم يكن يريد أن يظهر فى المطاعم المزدحمة الغاصة ٠

وجلس الى احدى الموائد ، وأقبل عليه الجرسون ماشا ، فطلب طبقا من الجمبرى مع المايونيز ، ثم قال يسأل الجرسون :

ـ أيمكنك أن تأتينى باحدى الصحف ٠٠ ؟

ـ سأبحث لك يا سيدى •

وأشعل سيجارة وجعل ينفث دخانها فى لذة واضحة ، ومن حين لاخر يجرع رشفة من كأس من النبيذ حمله اليه الساقى • ثم مضى وهو فى هذه الجلسة الهادئة ينسق الاحداث التى مرت به ، ويديرها فى ذهنه ، محاولا أن يربط بين الوقائع المختلفة حتى يضع خطته المقبلة •

اذا كان الرجلان اللذان فى ثياب مدنية واللذان لقيهما على سلم الخدم فى فندق كومودورو من رجال الشرطة السريين ، كان سائق التاكسى الذى لقبه باسم « بانشو » والذى شهر عليه خنجره ــ لا يمكن أن يكون شرطيــا سريا ، فما جرت العادة أن يهاجم المخبرون السريون من يتعقبونهم بالمدى والخناجر ، واذا كان السائق شرطيا فانه ما كان ليتسامح ابدا وينسى هذه اللكمة التى سددها الى أنفــه ، بل انه كان حريصا بأن يفتش جميع فنادق المدينة حتى يعثر على تمبلار ثم يقوده الى السجن • ولو أن هذا السائق كان ينتمى الى عصابة منظمة فان أعوانه ما كانوا ليترددوا لحظة فى البحث عنه ، وقلب المدينة رأسا على عقب حتى يهتدوا الى مكانه •

ورتب تمبلار على هذا أن هذا السائق بانشو مجرد أجير يعمل لحساب رامون فينينو ، ولكن لماذا اختفى السائق ، ولم يظهر ثانية محاولا ان يعترض طريق تمبلار

مرة أخرى ، او يحاول على الاقل ان يقتفى آثاره ٠٠ ؟ أتكون مسز كارينجتون قد استطاعت ان تقنع رامون أن تمبلار رجل يمكن الاطمئنان اليه ولا يتوقع الخطر من جانبه،ولذلك أمر رامون سائقه بالانزواء وعدم التعرض لسيمون تمبلار مرة أخرى ٠٠

ولكن لم لا يكون هذا هو ما اراد رامون أن يبثه فى نفس تمبلار ٠٠ ؟ لم لا يكون قد انتهج خطة جديدة اراد ان يقنع بها تمبلار أنه اطمأن اليه ، ولم يعد يخشى جانبه ٠٠ ؟

فلماذا يفعل رامون هذا ٠٠ ؟ لماذا هاجمه فى أول الامر ، ولماذا عاد الان مسالما لا يحفل به ولا يتعرض له بسوء ٠٠ ؟

لا ريب أنه الان يدبر مؤامرة خفية ، فما هى تلك المؤامرة يا ترى ٠٠ ؟

وجاء الساقى يحمل الطعام . ومعه نسخة من صحيفة « أنباء الصباح » المحلية ٠

وقال الجرسون فى لهجة اعتذار :

ـ هذه هى الصحيفة التى لدينا الان ، ولكن اذا احببت امكننى أن أبعث فى شراء احدى الصحف الامريكية التى تصدر فى ميامى ٠

فقال القديس مجيبا :ـ شكرا لك فهذه فى الواقع هى

بغيتى . ولكن أمعنى ذلك أن دخول صحف ميامى مباح فى هذه البلاد ؟

فتبدت الدهشة فى أسارير الساقى وقال متسائلا :

ـ ولم لا يكون دخولها مباحا يا سيدى .. ؟

ـ لأنها تهاجم سياسة رئيس جمهوريتكم وتحمل عليه حملات شعواء . لذلك ظننت أن دخولها الى هذه البلاد محظور .

وهز الجرسون كتفيه وقال :

ـ وأى رئيس جمهورية سلم من النقد وهجمات الصحف ؟ .

فنظر اليه تمبلار نظرة فاحصة وقال :

ـ وأنت .. ؟ هل تنقد رئيس جمهوريتك أحيانا .. ؟

ـ ولم انتقده وأنا رجل لا شأن لى بالسياسة ؟ . ان السياسة كالاديان ، ليس للجهلاء من أمثالنا أن يتعرضوا لها بالنقد .

ـ وهبك انتقدت سياسة الحكومة .. الا تخشى ان يزج بك فى السجن .. ؟

ـ ان السجن لم يخلق الا لمعارضى الحكومة من السياسيين المحترفين .

ـ وما رأى الشعب فى حكومته الحاضرة .. ؟ أهو راض عنها أم هناك ثورة مبيتة .. ؟

فضحك الرجل وقال :ـ الا تبا للثورات ، فانها تقضى

على الحركة التجارية وتشل النشاط · وأذا كان هناك من يفكر في الثورة فانهم جماعة من السياسيين المحترفين يهدفون الى الاستيلاء على مقاليد السلطة ·

وانصرف الجرسون الى خدمة الزبائن، وانهمك تمبلار في قراءة الصحيفة المحلية · ولم يكن مهتما بقراءة الاخبار السياسية، وانما كان يسعى وراء السرقات الكبيرة ·

كان في هذه اللحظة موقنا من ان حكاية القائمة السرية لا وجود لها ، وان الأمر لا يعدو احبولة للخداع، ولا يزيد على أن يكون مناورة للتضليل · وكانت هناك سرقات صغيرة اشارت اليها الصحيفة ، ولم يبال تمبلار بها ، فقد كان يتوقع أن يطالع نبأ السطو على مجموعة كبيرة من الماسات مثلا ، أو السطو على أحد البنوك واختلاس مئات الالوف ، فرامون ليس من الطراز الذى يقدم على سرقة تافهة ·

واخيرا ـ وفى أحد الاركان المنزوية من الصحيفة ، وفى سطور قليلة موجزة ـ أشارت الصحيفة الى أن التحقيق ما زال دائرا في حادث السطو على عربة بريد كانت تحمل سبائك ذهبية وهو الحادث الذى وقع منذ أسبوع ولم يكتشف فيه الفاعلون حتى الان ·

وقال تمبلار في نفسه :

ـ اذا كان رامون هو صاحب اليد في السطو على هذه السبائك فلا شك أنه يريد أن يشترى بها أسلحة للثوار ومن المحال بداهة ان يكون قد أخفى السبائك في هذه

الحافظة الجلدية الصغيرة ، فما الذى • تحتوى عليه أذن • • ؟

وفرغ القديس من طعامه ، واستقل احدى سيارات التاكسى عائدا الى فنـــدق بلتيمور ، وصعد الى غرفته مبـــاشرة ، ثم اتصـــل تليفونيا بمكتب الاستقبال وقال للموظف المختص :

ـ هل لك أن تبعث الى فى غرفتى بسلة النبيذ التى أودعتها فى مكتب الأمانات .. انها رقم ٣٧ .

وما أعاد السماعة مكانها حتى سمع الصوت من ورائه •

كان صوتا خفيفا غير ملحوظ ، أشبه بحفيف الثوب ، وقبل أن يستدير ليتبين حقيقة الأمر ألقيت فوق راســـه ملاءة سرير ، وشعر بيدين قويتين تطوقان ركبتيه ، وحمله مهاجمه من فوق الأرض حمـــلا وجرى به عبر الغرفة . وعرف تمبلار من الاتجاه الذى اتخذه مهاجمه أنه يسير به صوب النافذة ، ولم يخف عليه الغرض من وراء ذلك ، فلابد أنه خصمه يريد أن يقذف بهمنالنافذة الى عرض الطريق •

وحاول تمبلار أن يتملص من قبضة مهاجمه القوية ، وراح يدفع مرفقيه فى كل موضع استطاع أن يناله من جسده ، وتراخت الملاءة قليلا من فوق ذراعيه ، وأمكنه أخيرا أن يدفع بمرفقه فى عنف الى أسفل بطن خصمه ، وفجأة تراخت القبضة عن بدنه ووجد نفسه يسقط على

الارض فدفع الملاءة عن رأسه وانبعث واقفا فى سرعة خاطفة ٠

ودق الباب فى هذه اللحظة ٠ فمضى اليه تمبلار يفتحه فاذا به ازاء أحد حمالى الفندق وقد جاء اليه يحمل سلة النبيذ ٠

وقال القديس فى غير مبالاة :

ـ لصان ارادا مهاجمتى ٠٠ فأرجوك أن تستدعى رجال الشرطة ٠

واستدار الفتى وهرع راكضا ٠ وقد ركبه الرعب كأنما هو الذى هوجم واعتدى عليه لا ذلك النـزيل الذى بالغرفة ٠

وجلس تمبلار على حافة الفراش ٠ وتناول سماعة التليفون مرة أخرى ، وطلب الاتصال بفندق كومودورو ٠

واذا أجاب الفندق النداء طلب الاتصال بمســز كارنجتون ٠

واخيرا جاءه صوتها فقال لها :

ـ مسز كارنجتون ٠٠ ؟ اننى سيمون تمبلار ولكن لا تذكرى اسمى ٠٠ وأجيبى بنعم أو لا فقط ٠٠ هل رامون عندك ٠٠ ؟

فقالت :

ـ نعم ٠٠ لقد فرغت لتوى من حزم حقائبى ٠

ـ تظاهرى أمامه بأنك تتحدثين الى مندوب الشركة السياحية ٠٠ أما زال يعتقد أن الحافظة لديك ٠٠ ؟

ـ نعم ٠٠ سأسافر رأسا الى نيويورك ، والغالب انى سأسافر أيضا الى اوروبا ٠

ونظر تمبلار الى الشيء الذى انساب من الشق الذى أحدثه فى الحافظة ٠٠ انه لم يكن الا دليل التليفون الخاص بمدينة هافانا . !

وقال لها :

ـ لا تغادرى الفندق حتى أحضر اليك ٠ وحاولى أن تستبقى رامون معك حتى أوافيك ٠

وأعاد السماعة مكانها ٠ وعاد ينظر من جديد الى دليل تليفون هافانا الذى تكشفت عنه الحافظة ٠٠ ولاحت على شفتيه ابتسامة غريبة ٠٠

ابتسامة النضال والمعركة القادمة ٠٠

ـ ٤ ـ

ما أن رد تمبلار سماعة التليفون مكانها حتى بادر يغادر الفندق ٠٠

وما كان القديس ليخشى أن يعتقله رجال البوليس فانه لا يلبث أن يقنعهم ببراءته فيطلقوا سراحه ٠ ولكنهم لن يطلقوه الا بعد مضى بضع ساعات ٠ وهو فى مسيس الحاجة الى هذه الساعات ٠

واتخذ سبيله الى السلم الخلفى ، وان هى الا لحظات حتى كان فى الحارة الخلفية التى يطل عليها الفندق يبحث عن تاكسى يقله الى فندق كومودورو ٠

بعد أن فرغت مسز كارينجتون من حديثها التليفونى مع تمبلار التفتت الى صاحبها رامون وقالت :

ـ ان المندوب السياحى هو الذى كان يتحدث الى ·· سيحضر المندوب حالا ليراجع مستندات السيارة وسيأتى بتذكرة لنقلها بواسطة احدى بواخر البضاعة ·

وتأملها رامون بنظرة فاحصة وقال يسألها :

ـ أهذا كل شىء ·· ؟ لقد كان يبدو عليك الاضطراب وأنت تتحدثين حتى لقد حسبت ان هناك أمرا يزعجك ·

ـ لا شىء أكثر من هذا ·· ولكن ترتيبات السفر دائما تزعجنى وتشغل بالى ·

ـ هونى عليك فكلها اجراءات شكلية لا اهمية لها · ولكن ما الذى يدعوه الى الحضور الى الفندق ·· ؟ اما كان فى وسعه أن يراجع الاوراق فى الميناء ؟

فهزت كتفيها فى غير اهتمام وقالت :

ـ كان أولى به حقا أن يفعل هذا ·· انها اجراءات عتيقة سخيفة ··

فقال وقد سرح ببصره بعيدا :

ـ ارجو أن ينتهى كل شىء على ما يرام ·· ارجو أن لا يقع حادث يفسد الامور ·· ان أمر هذين الرجلين مازال يزعجنى ويثير فى نفسى الهواجس ··

وذلك انه عندما جاء رامون يزورها ، وهبطت الى قاعة الاستقبال فى الفندق لتلقاه ، لمحت وهى تغادر غرفتها رجلا يتلصص عليها من فرجة الباب فى الغرفة

المقابلة • ولم يحاول الرجل أن يتوارى أو ينسحب اذ يبدو أنه ظن أنها لم تفطن الى وجوده• وكانت على يقين وهى تجتاز المشى أنه يتابعها بنظراته .

ثم قابلت رامون ، وذهبا معا الى البار يحتسيان كأسا ، وفطنت الى أن هناك رجلا فى ثياب سوداء يتعقبها ، وعندما ذهبا الى قاعة الطعام ليتناولا الغداء كان نفس الرجل فى أثرهما وقد اتخذ لنفسه مائدة على مقربة منهما ، وانضم اليه زميل له ، ولعله ذلك الرجل الذى كان فى الغرفة المقابلة لغرفتها يتلصص عليها •

ومضى الرجلان يتابعانها ورامون بنظراتهما ، ومن حين لاخر كانا يتهامسان وهما ينظران اليهما •

وحدثت مسز كارنجتون صاحبها رامون بما كان من أمر الرجلين ، وسألته عما يرى فى شأنهما •

وقال يجيبها : لقد فطنت الى أمرهما ، ورابتنى نظراتهما الينا ، واغلب الظن أنهما يتجسسان علينا ••• ومع ذلك فانه قطعا لم يكن يراقبك انت وانما كان يراقبنى أنا •

فقالت تسأله وقد نمت قسمات وجهها على الانزعاج :

ـ ولكن اذا كانوا فى أثرك ومهتمين بمراقبتك والتجسس عليك ، فهذا معناه أن أحدهم وشى بك •

فشرد بذهنه قليلا ، ثم قال :

ـ يخيل الى أمام هذه الظروف انه يحسن بنا أن نؤجل الانقلاب الذى نزمع ان نقوم به ولا أعنى بذلك أن نعدل

عنه كلية ، وانما نؤجله قليلا ٠٠ وقد خطر لى أنه يحسن بى أن أسافر الى الخارج ، وأقضى شهرا فى فرنسا ٠٠ فى مصيف الريفييرا ، وبذلك يقع فى روعهم انه لا شأن لى بالانقلابات والثورات ، اذ ليس معقولا أن يعيش فى الريفييرا من يدبر لاحداث انقلاب ٠٠ وبهذه المناسبة ٠٠ اتحبين أن تزورى الريفييرا ؟

ـ اذا وعدتنى باللقاء هناك فلا أحب الى من السفر اليها ٠

ـ دعينى افكر فى الامر قليلا ، فانى لم أحزم رأيى بعد على تأجيل الانقلاب ، وان كنت أعتقد ان التأجيل من مصلحة البلاد ٠

وبعد ساعتين من هذا الحديث كان فى غرفتها يطل من النافذة وقد استغرقته الخواطر ، أما هى فكانت منهمكة فى اعداد حقائبها وحزم متاعها تأهبا للرحيل .

والتفت اليها رامون فجأة ، وقد انعقد حاجباه مفكرا وقال لها :

ـ لقد فكرت طويلا فى الامر ٠٠ هل أؤجل القيام بالانقلاب أم لا ٠٠ ؟ وقد استقر رأيى على التأجيل ٠٠ فعندما سمعتك الان تقولين للمندوب السياحى انك قد تسافرين الى أوروبا أدركت من فورى أنك على صواب ٠٠ نعم ٠٠ يجب تأجيل الانقلاب قليلا ٠٠ وسأقضى معك شهرا فى الريفييرا ٠

ثم رمقها بنظرة فاحصة وقال :

ـ اتعتقدين أننى جبان متردد ٠٠ ؟

ـ انت جبان ٠٠ ! محال يا رامون ٠٠ ! انك عندى أشجع من رأيت ٠٠

وأقبل عليها وتناول يدها بين يديه يضغطها فى رفق وحنان ، ثم مال عليها يلثمها فى احترام ٠

وقال : اذن فقد حزمت أمرى ٠٠ ستسافرين أنت الى نيويورك ، ثم تحجزين لنفسك مكانا على أحدى البواخر المسافرة الى فرنسا ، وتأخذين سيارتك معك لانها أحدث عهدا وأصلح من سيارتى،وبذلك نستطيع أن نطوف بها جميع أرجاء فرنسا ، ولكنى بطبيعةالحال سأتكفل بجميع النفقات ٠ وبعد اسبوع من رحيلك سأستقل طائرة الى فرنسا ، وهناك أكون فى انتظارك على الميناء ٠

وتطلع فى ساعته وقال :

ـ أظن أنه يحسن بنا أن نأمر الان بانزال الحقائب ، ويمكننا أن ننتظر مندوبك السياحى فى قاعة الانتظار .

وهبطا الى الطابق الارضى من الفندق ومعهما الحقائب ، وأشرف عليها رامون والحمالون يودعونها فى السيارة ٠

والان وقفا وحدهما ينتظران المندوب السياحى الى جانب السيارة ٠

وفجأة اقترب منها رامون ، واخذ بيدها ثم وضعها الى صدره ومن الغريب أنها وجدت نفسها لا تستجيب الى مغازلته ، وهى التى كانت تحلم بها منذ لحظات ٠

وقالت وقد تباعدت عنه قليلا ٠

ـ رامون ٠٠ أرجوك ٠٠

فقال لها وما زال ممسكا بيدها ، وذراعه حول خصرها :

ـ لا داعى الان تقلقى على٠٠فليس ثمة ما يزعجنى أو يتهددنى ٠

وقبل أن تجيب ارتفع صوت من ورائهما يتكلم ، وكان هو صوت تمبلار البارد النبرات ، الحاد كأنه نصل سيف .

قال القديس : ولم لا ٠٠ ؟ ان هناك الكثير مما يمكن أن يزعجك أو يتهددك ٠

والتفت الاثنان فى انزعاج الى مصدر الصوت ٠

كان تمبلار وراءهما على قيد خطوات منهما ، وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة ٠٠ أهى ابتسامة تحية وترحيب ٠٠ ؟ أهى ابتسامة سخرية وتهكم ٠٠ ؟ أهى ابتسامة تحد ونضال ٠٠ ؟ هذا ما لا كان يدريه أحد ٠

واتسعت حدقتا مسز كارنجتون هلعا حين رأت تحت ابطه الحافظة التى تضم القائمة السرية ٠ أما رامون فينيزو فقد أربد وجهه ، ثم ما لبث أن امتقع وعلاه الشحوب كأنما يرى أمامه شبحا انشقت عنه الارض ٠

وبدوره رأى الحافظة تحت ابط سيمون تمبلار ، وبرزت حدقتاه من محجريهما ٠

ودار تمبلار حول السيارة واقترب منهما ، وقال فى صوت ناعم النبرات :

ـ ولكنك مصيب على أية حال فيما تقول ، فليس ثمة خطر يتهددك من ناحية جمعيتك السرية المزعومة ٠

ورفع رامون بصره عن الحافظة ، ونظر الى مسز كارنجتون وقال فى صوت حانق أجش النبرات :

ـ ما معنى هذا ٠٠ ؟ كنت أظن أن الحافظة مازالت معك ؟!

فقالت وقد غشيها شىء من الاضطراب :

ـ لقد عهدت بها الى مسيو تمبلار ليحتفظ بها ، فقد خطر لى أن البوليس يشتبه فى أنا أيضا وأننى موضوعة تحت المراقبة ، فخشيت أن يفتش البوليس متاعى ويعثر على الحافظة ٠٠ ولكنى حدثتك عنه ، وذكرت لك أنه رجل شهم أمين يمكن الاطمئنان الى اخلاصه ٠ وقد وعد بأن يسلمنى الحافظة فى فلوريدا ٠

فقال القديس وابتسامته الغامضة مازالت تتراقص على شفتيه !

ـ هذا صحيح ٠ فكن مطمئنا من هذه الناحية ٠٠ بل انى على استعداد لان أسلمها اليك فى حراسة الشرطة ٠

وما نطق تمبلار بهذه الكلمات حتى برزت بين السيارات المتراصة الرجلان اللذان سبق أن رأتهما مسز كارنجتون يتجسسان عليها ٠

أقبل الرجلان على تمبلار ، ودفع كل منهما بيده يمسك ذراعه فالتفت اليهما تمبلار باسما وقال :

ـ ما هذا ٠٠ ؟ أتريدان أن تقبضا على ٠٠ ! أحسب أنكما قبضتما على الرجل غير المقصود ٠

والتفت أحد المخبرين السريين الى مسز كارنجتون وقال يسألها ٠٠ أهذا هو الرجل الذى كان يضايقك يا سيدتى ٠٠ ؟

فقالت مسز كارنجتون فى دهش واستغراب :

ـ يضايقنى ٠٠ ؟ ما الذى تعنيه بهذا ٠٠ ؟

فقال أحد الشرطيين السريين مفسرا عبارته :

ـ لقد اتصل بنا رجل قال انه يتكلم باسمك ، وذكر لنا ان هناك رجلا دأب على معاكستك تليفونيا ، وأنه هددك بأنه سيقتحم عليك غرفتك عنوة ٠ ولذلك أمرنا الضابط بأن نراقب غرفتك وأن نتعقب خطواتك حتى اذا حاول هذا الرجل أن يتعرض لك بسوء قبضنا عليه ٠

فقالت مسز كارنجتون ومازالت الدهشة مرتسمة على وجهها :

ـ ولكنى أؤكد لك أن ليس هناك من ضايقنى أو عاكسنى تليفونيا ٠

فقال الرجل متسائلا وقد بدت الحيرة فى عينيه

ـ ألست أنت مسز كارنجتون ٠٠ ؟

ـ نعم ٠٠ اننى مسز كارنجتون ٠٠

ـ مسز بيريل كارنجتون ٠٠ ؟

ـ نعم

ـ اذن ما معنى هذا ٠٠ ؟ أهى دعابة من أحدهم أراد بها أن يسخر منك أو منا ٠٠ ؟

فقالت مسز كارنجتون :ـ ان هذا السيد صديق لى

فأرجوك أن تدعه وشأنه ٠

وتبادل الشرطيان النظرات ، ثم تخليا عن ذراع تمبلار وقال احدهما وهو ينظر الى رامون فينينو :

ـ الحق انى فى حيرة من أمرى ٠

فقال رامون : ـ ان الامر لا يمكن أن يخرج عن هذا ٠٠ اما انها غلطة أو دعابة ٠

وقال أحد الشرطيين يخاطب مسز كارنجتون :

ـ نسألك المعذرة يا سيدتى ٠

ثم استدارا وانسحبا بعيدا ، وان ظلا واقفين على قيد خطوات بين السيارات المتراصة فى الساحة ٠

وقالت مسز كارنجتون : ـ هذا في الحق شيء عجيب ٠٠ ! ما معنى هذا ٠٠ ؟ ومن الذى اتصل بالشرطة وزعم انه يتكلم باسمى

فقال رامون : ـ هذه احدى حيل البوليس السرى والاعيبه ٠

فقال القديس فى لهجة مرحة :

ـ بل انها احدى ألاعيبك وحيلك أنت يا رامون ٠٠ ! انك أنت الذى اتصلت بالشرطة وزعمت أنك تتكلم باسم مسز كارنجتون وزعمت أن هناك من يتعرض لها بسوء ، وطلبت من الشرطة أن يوفدوا بعض رجالهم لحمايتها ، حتى اذا فطنت مسز كارنجتون الى أن هناك من يتعقب خطواتها زعمت عندها أن هؤلاء المخبرين انما يراقبونك أنت ، وبذلك يتاح لك أن تحدثها عن تأجيل الانقلاب ،

وتحاول أن تقنعها بالسفر الى أوروبا ٠

ثم التفت تمبلار الى مسز كارنجتون وقال يسألها : ـ

ـ خبرينى يا بيريل ٠٠ متى قررت أن تسافرى الى اوروبا ؟ ألم تقررى هذا بعد ظهر اليوم فقط ٠٠ ؟

فقالت وهى مازالت فى حيرة من أمرها لا تدرى شيئا مما يدور أمامها :

ـ هذا صحيح ٠٠ لقد فكرت بعد ظهر اليوم فقط فى السفر الى أوروبا ٠

ـ وكيف عرفت أن رامون مستهدف للخطر ، وأن هناك من يراقبه ٠٠ ؟ ألم يكن دليلك الوحيد هو هذان الشرطيان

ـ هذا صحيح ٠

فقال رامون متدخلا فى الحديث :

ـ لا تصدقى حرفا مما يقول ٠٠ انه يريد أن يشوش ذهنك ويضلك يجب أن نستعيد منه هذه الحافظة ٠

فقال القديس باسما فى سخرية وتهكم :

ـ أيهمك أمر هذه الحافظة ٠٠ ؟

ثم أمسك بها من مقبضها ورفعها فى يده جاعلا الشق الذى أحدثه فيها الى أسفل ، فاذا دليل التليفونات ينزلق منها من فجوة الشق ، ويسقط أرضا ٠ فقال تمبلار :

ـ هذه هى القائمة السرية الخطيرة ٠٠ !

وتناولت مسز كارنجتون الدليل من على الارض وهى

تقول : ما هذا ؟

وأجابها القديس : هذه هى القائمة التى تتضمن أسماء أعضاء الجمعية السرية ٠٠

واختطف رامون فينو دليل التليفونات من يدها وهو يقول :

ــ أيها المجنون ٠٠ أتريد أن تفسد كل شيء ٠٠ ؟ الا تعلم أن هناك علامات بحبر سرى أمام أسماء الاعضاء ٠٠ ؟ لو أن البوليس السياسى اكتشف هذا لضعنا جميعا ٠

وكانت مسز كارنجتون تحملق فى الرجلين وقد استبدت بها الدهشة ٠

وقهقه القديس ضاحكا وهو يقول :

ــ الحق انك يا رامون ذكى سريع البديهة ٠٠ ! ولكن اتحسب أن من كان مثلى يمكن أن تجوز عليه خدعك والاعيبك ٠٠ ؟

ثم التفت الى مسز كارنجتون وقال يخاطبها :

ــ والان استمعى الى يا مسز كارنجتون ، وان آلك ما أقول ٠٠٠ أتعتقدين حقا أن زعيما من زعماء جمعية سرية تبلغ به الحماقة والرعونة الى حد يجعله يحتفظ لديه بقائمة كهذه تتضمن اسماء الاعضاء ومن السهل مهاجمته أو تفتيش بيته والاستيلاء عليها ٠٠ ؟ وهل تعتقدين أن رجلا له من الذكاء والدهاء ما جعله زعيما من زعماء الجمعية السرية ومدبرا لانقلاب ثورى ــ أتعتقدين أن هذا الرجل يمكن أن يبلغ به الحمق بعد بضع رقصات ما يجعله يعهد الى امرأة لا يعرفها بقائمة الاعضاء ويأتمنها

عليها بكل بساطة ؟ أيكشف هذا الرجل بسهولة عن مثل هذه الاسرار الخطيرة لامرأة لا يعرفها لمجرد انه رقص أو تعشى معها ٠٠ ؟ ألا ترين أن سلوكه هذا شاذ عجيب ٠٠ ؟

فصاح رامون فينيزو فى غضب وانفعال :

ـ لا تصدقيه ٠٠ انه مجنون يهذى ٠

واسترسل تمبلار دون أن يعبأ بما يسمع :

ـ ان الانقلابات تدبر فى سرية كاملة ، وأسرارها تصان عن أى غريب ، فسلوكه هذا لا يعنى الا شيئا واحدا : هو أنه كاذب محتال ٠ لقد ابتدع هذه القصة لهدف آخر يرمى اليه ٠

وقالت مسز كارنجتون :

ـ انى فى حيرة من الامر وأكاد أفقد رشدى ٠

فقال القديس ضاحكا : اذن حسبى حديثا ، فانى لا أحب أن تفقدى رشدك الا بعد أن استلم منك السيارة ٠

ونظرت اليه مسز كارنجتون فى استغراب دون أن تتكلم ، فقد كان رامون فينينو هو الذى بادر الى الكلام قائلا :

ـ تستلم السيارة ٠٠ ؟ أية سيارة ٠٠ ؟ ماذا تعنى ٠٠ ؟

ـ سيارة مسز كارنجتون طبعا فقد اشتريتها منها ٠٠

لقد عرضت عليها فيها ثمنا مغريا فقبلت ، فانها تريد أن تشترى سيارة أخرى حديثة الطراز · ولابد أن الوقت لم يتسع أمامها لكى تخبرك بأمر هذه الصفقة .

وقال رامون فينينو وهو يرتعد لفرط ما عراه من الغضب :

ـ ولكننا سناخذ هذه السيارة معنا فى رحلتنا الى أوروبا ·

فقال القديس باسما :

ـ ولم هذه السيارة بالذات ·· ؟ يمكنها أن تشترى السيارة الجديدة وتذهب بها بدلا من هذه ·

فقال فينينو فى اصرار :

ـ لن أسمح بهذا أبدا ·

ونظرت اليه مسز كارنجتون فى استغراب وقالت متسائلة ،

ـ ولم لا ·· ؟ أليس من الافضل أن نطوف أوروبا بسيارة جديدة بدلا من هذه السيارة العتيقة .. ؟

فقال رامون وقد أسعفته بديهته برد مقنع :

ـ قد تكون سيارتك قديمة عتيقة الطراز ، ولكنها عندى غالية عزيزة ، فقد كانت لها ذكريات لا تنسى ·· لقد كانت هى السبب فى تعارفنا ولقائنا ، وقد ركبنا فيهامعا ، وتنزهنا فيها معا ، ومحال أن أفرط فيها ·· لو أنك بعتها

لتمزقت نياط قلبى حسرة عليها ·· ! قد ترين قولى هذا سخيفا لا معنى له ، ولكن لا تنسى أننى لا تينى مشبوب العاطفة وللذكريات عندى قيمة غالية ·

وأشعل القديس لنفسه سيجارة وقال :

ـ انه يريد أن يقول يا بيريل أن السيارة الجديدة لا يمكن أن تساوى فى قيمتها هذه السيارة القديمة المستهلكة ·· وهو محق فى هذا فسيارتك القديمة هذه لا يمكن أن تباع فى اوروبا باقل من ربع مليون دولار ،فى حين أن السيارة الجديدة لا تساوى الا بضعة آلاف ·

وحملقت فيه مسز كارنجتون وقالت :

ـ ماهذا الذى تقول ·· ؟ سيارتى تساوى ربع مليون دولار ·· ؟

لقد صدق رامون فينينو حين قال لك انه من كبار الزعماء ، ولكنه ليس زعيما لاحدى الجمعيات السرية السياسية ، ولكنه زعيم عصابة من اللصوص ، ومنذ أسبوع تقريبا هاجمت عصابته عربة بريد واستولت على ما كان فيها من سبائك الذهب ، وهى تقدر بربع مليون جنيه ·· ثم واجهتهم المشكلة المعروفة ·· كيف يخرجون السبائك من هذه البلاد ·· ؟ لو أنهم حاولوا تهريبها عبر الحدود فلربما فطن رجال الجمارك الى أمرهم ، ولربما اشتبه فيهم رجال الشرطة ·· اذن فما العمل ··· ؟ تفتق ذهن رامون عن حيلة لطيفة ·· أضمن وسيلة لتهريب هذه السبائك هى أن تحملها معها سائحة

امريكية غريبة عن البلاد ، وجاءت لزيارتها لاول مرة ، ولم تقض فيها الا أياما معدودات ، وبذلك تكون بمنجاة عن الشبهات . فأين هذه السائحة الغريرة السانجة التى يستطيع رامون أن يستغلها ..؟ انه أنت ياسمز كارنجتون .. ! وهكذا دبر رامون حادث الاصطدام بسيارتك حتى يتخذ من الحادث وسيلة الى التعرف بك ، وبقليل من اللباقة والكلام المعسول استطاع أن يسيطر عليك ، وان يظفر باعجابك وتقديرك بعد أن زعم عندك أنه بطل من الابطال ، وأنه وطنى مخلص يسعى الى انقاذ بلاده من المظالم والهوان ، ثم ابتدع قصة القائمة السرية وعهد اليك بدليل التليفونات يوزع مجانا فى الاسواق ، وزعم أن مافى الحقيبة انما هى القائمة الخطيرة حتى تزدادى اطمئنانا اليه وتعلقا به .

فقالت مسز كارنجتون متسائلة :

ـ ولكن ما حكاية سبائك الذهب ..؟

ـ آه .. عندما أخذ سيارتك بالامس معه بحجة أن سيارته معطوبة يجرى اصلاحها ـ ذهب بسيارتك الى ورشة يديرها أحد شركائه من اللصوص وثبتوا السبائك الذهبية وراء حاجز الاصطدام ، فقد تسللت خفية الى الورشة بعد منتصف الليل ورأيتهم يفعلون ذلك .. ومع هذا فاليك الدليل .

وأخرج تمبلار مطواة من جيبه وهو يقول :

ـ لو اننا بردنا باطن حاجز الاصطدام لتناثرت منه برادة الذهب ، وانى لاراهن على هذا بربع مليون

دولار ٠٠ ومع ذلك فلنجرب ٠٠

ومال تمبلار ناحية الصدام ٠٠ ولكن صوت رامون فينينو ارتفع مهددا متوعدا وهو يقول :

ـ كفى هذيانا ٠٠ والان اركبا معى السيارة أنتما الاثنان ٠

وحين نظر اليه تمبلار وجد فى يده مسدسا مصوبا اليه ٠

فقال القديس وهو ينظر الى ما وراء رامون :

ـ لقد أخطأت مرتين يا صديقى فانكشفت لى بذلك حقيقة أمرك ، ولولا ذلك لاعتقدت كما اعتقدت مسز كارنجتون أنك وطنى مخلص ٠ وغلطتك الاولى هى أنك بعثت الى بسائق التاكسى يأمرنى بأن أغادر البلاد فورا ٠٠ أما غلطتك الثانية فى أنك أوفدت الى رجلين صباح اليوم يحاولان أن يقذفا بى من النافذة الى الطريق جثة هامدة ، ولكننى صرعتهما وأرسلت أستدعى البوليس للقبض عليهما ، غير أننى انصرفت قبل وصول رجال الشرطة ، ولذلك أرسلت الشرطة اثنين من رجالها يتعقبانى لاستدعائى الى التحقيق ، أما غلطتك الثالثة فهى أنك اذا حاولت قتلى الان ، فستطلق على النار على مشهد من رجال البوليس ، أنسيت المخبرين السريين اللذان كانا هنا منذ لحظات ٠٠ ؟ وهل نسيت أن رجال الشرطة يبحثون عنى الان لاستيفاء التحقيق ٠٠ ؟ انك طبعا لاتصدقنى ، ولكن لو أنك نظرت الان وراءك لرأيت ٠٠

فقاطعه فينينو ساخرا :

ـ أتحسبنى ساذجا حتى اصدقك ٠٠ !

ولكن صوتا ارتفع من ورائه يقول :

ـ ولكنه لا يكذب ياصاح ٠٠ انه ماذكر لك الا الحقيقة ٠٠

واستقرت فوق كتفيه يد ثقيلة ٠٠ وشعر بالمسدس ينتزع من يده ٠

ـ ٥ ـ

قالت مسز كارنجتون تسأله ونظرتها ساهمة حزينة:

ـ ولكن خبرنى ٠٠ لم اختارنى أنا بالذات ٠٠ ؟

فأجابها القديس : تريدين أن تعرفى السبب فى اختياره سيارتك أنت بالذات دون سيارته لكى يخبىء سبائك الذهب وراء حاجز الاصطدام بها ٠٠ والسبب واضح ٠٠ كان رامون يعرف أن رجال الشرطة قد يرتابون فى أمره فاذا سافر وليس معه الا حقيبة صغيرة لا تضم الا ثيابه فلا سبيل لهم اليه ٠ ولذلك كان لابد له ان يقع على سيارة بعيدة عن الشبهات ٠

ـ ولكن لم اختارنى أنا بالذات ٠٠ ؟

حار القديس كيف يجيب ٠٠ أيقول لها انهـا بدت بسذاجتها فريسة سهلة ٠٠ ؟ أيقول لها ان الحرمان الذى كابدته رسم على وجهها لهفة الى المغامرات ، فكان

واضحا فى قسماتها أنها كانت تتوق الى أن تصادف شابا يطارحها الغرام ٠٠ !

ولكنه أجابها فى لباقة ــ من حسن الحظ أنه اختارك ، فهناك جائزة مقدارها عشرون ألف دولار سنتقاسمها معا ٠

فقالت بغير اكتراث : لست أحفل بهذه الجائزة ٠

ــ ولكن عشرة آلاف ليست بالمبلغ الذى يستهان به ٠

فتنهدت فى أسى وقالت :

ــ لا أريد شيئا ٠٠ انك أنقذتنى حقا من هذا المحتال ، ولكنى أتمنى لو أننى لم أقابلك ٠

فنظر اليها فى عطف واشفاق وقال :

ــ أتدرين ما كان يمكن أن يحدث عندما تلتقيان فى فرنسا أنت ورامون ٠٠ ؟

ــ ما الذى كان يمكن أن يحدث ٠٠ سنعيش معا فى سعادة وهناء ٠

ــ انت واهمـــــة فى هذا ٠٠ فبمجـــرد أن يســتعيد سبائكه الذهبية سيتخلى عنك ويفر هاربا ٠

فقالت وهى تتطلع فى وجهه :

ــ أتعنى أننى عجوز دميمة لا يفكر أحد فى أن يطارحنى الهوى ٠٠؟

وطغى عليه شعور بالرحمة ، وأحس موجة من الشفقة تجتاح قلبه ، فأخذ بيدها بين يديه ، وضغطها فى حنان وقال :

ــ أيجسر أحد أن يقول هذا ٠٠ ؟

ـ حقا ٠٠ ؟ أترانى جميلة فاتنة ٠٠ ؟

وللمرة الثانية أخذته الحيرة ولم يدر كيف يجيب ولكنه ما لبث أن رفع يدها الى شفتيه ولثمها ٠

وأشرق وجهها ومدت يدها تضمه الى صـــدرها وقبلته ٠

ولم يتردد فى أن يقبلها ٠

انه معروف بالشهامة والعطف ، فلم يبخل عليهـــا بقبلة تسعدها .

انها لا تعدو أن تكون مجرد قبلة لا شأن لها ، ولكنها عندها لها الشأن كله ٠

« تمـــت »